الجامعة الإسلامية – غزة

عمـــادة الدراسات العليا

كليــة أصـــول الديـــن

قسم التفسير وعلوم القرآن



القدرة الإلهية في آيات النَّفس البشرية

(دراسة قرآنية موضوعية)

إعداد الطالب

عامر فوزي يوسف عودة

إشراف الأستاذ الدكتور

زكريا إبراهيم الزميلي

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن

١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣م



قال تعالى :

﴿وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ * وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾

[الذاريات: ٢٠-٢١]

وقال تعالى :

﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾

[فصِّلت:٥٣]

الإهـداء

أهدي بحثي هذا إلى كلٍّ من

روح أبي رحمه الله، وإلى والدتي أطال الله عمرها،

وأدام برها، وإلى زوجتي العزيزة،

وأبنائي: عمار، وعبد العزيز، وعبد القادر،

وعماد الدين، وعز الدين، وعبد الله، وشيماء، وابنتي العزيزة أسماء.

وإلى إخوتي وأخواتي جميعاً.

وإلى معلميَّ الأفاضل.

وإلى جامعتي العتيدة.

وإلى أرواح الشهداء جميعاً.

وإلى كل محب.

شكر وتقدير

أحمد الله المنان، العظيم المقتدر صاحب الفضل والكمال أن مَنَّ عليَّ بإتمام هذه الرسالة العلمية، فالحمد والشكر لله، قال تعالى: ﴿... وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة:١٥٢] ، ومن باب محبة الله للعباد لتسود بينهم الألفة والمحبة والتعاون والبر والإحسان، جعل الله حاجات العباد مرتبطة بالعباد، فكل واحد حلقة من حلقات هذا الكون، ولا يمكن للإنسان القيام بعمل ما دون الحاجة للآخرين، وجعل الله من أفضل الأعمال السعي لحاجات العباد، والقيام عليها.

كما أن الشكر لله ﷻ لا يكتمل ولا يتم إلا بشكر العباد على ما أسدوه وقدموه للآخرين من مساعدة وعون، وانطلاقاً من هذا المنهج قال ﷺ: **(من لا يشكر الناس لا يشكر الله)** [(١)].

وإقراراً بالفضل لأهله فإنني أتقدم بجزيل الشكر والتقدير والعرفان لشيخي الفاضل أ.د. زكريا إبراهيم الزميلي حفظه الله، وذلك بما تفضل به عليَّ بالإشراف على هذه الرسالة، وكان جُلُّ همه أن تخرج هذه الرسالة في أبهى وأجمل صورة، فوقف بجانبي ولم يألُ جهداً في تقديم النصح والإرشاد والتوجيه والمساعدة بما أمكن، فكان خير معلم، فجزاه الله وكفاه خير الجزاء، وأعطاه من فيض علمه وكرمه خير العطاء في الدنيا والآخرة.

كما وأتقدم بوافر وجزيل الشكر لكلٍّ من:

الأستاذ الدكتور / عصام العبد زهد **حفظه الله**

والأستاذ الدكتور / ماجد محمد ياسين **حفظه الله**

اللذيْن وافقا مشكوريْن لمناقشة هذه الرسالة وإثرائها، فجزاهم الله خيراً، وجعلهما منارة للعلم.

كما وأتقدم بشكر خاص للدكتور الفاضل/ ماجد محمد ياسين أستاذ علم وظائف الأعضاء بكلية الطب بالجامعة الإسلامية الذي أولاني رعاية وتوجيهاً وإشرافاً ونصحاً بالجانب العلمي من الرسالة فجزاه الله خيراً.

---

(١) سنن الترمذي، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، ص ٤٤٥، حديث رقم (١٩٥٤)، وسنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في شكر المعروف، ص ٨٧٢، حديث رقم (٤٨١١)، قال الألباني: حديث صحيح.

وشكر خاص للدكتور فضل خالد الزهار الذي قام بترجمة ملخص الرسالة من اللغة العربية إلى اللغة الإنجليزية، كما وأتقدم بشكر خاص للأستاذ / حلاَّم خليل الددح الذي غمرني بكرمه بالتدقيق اللغوي للرسالة، وشكر خاص لمن قام بطباعة هذه الرسالة وتنسيقها الأخ الفاضل أ. عبد الله أبو موسى (أبو عامر) سكرتير كلية أصول الدين.

كما لا يفوتني أن أشكر الصرح العلمي الشاهق (الجامعة الإسلامية) التي عشت بين جنباتها طالباً في ظل الخيام في عصر النشأة، وطالباً في ظل امتداد عمرانها وفكرها وثقافتها، والشكر لكلية أصول الدين، وأخص منها قسم التفسير وعلوم القرآن بأساتذتها الأفاضل، وشكر خاص لهيئة الإعجاز للقرآن الكريم والسنّة وعلى رأسها فضيلة الدكتور عبد الكريم الدهشان.

والشكر موصول للدراسات العليا التي منحتني الفرصة لإكمال دراستي، كما أنني لا أنسى شكر أهلي جميعاً وعلى رأسهم والدي رحمه الله، ووالدتي أطال الله عمرها وأدام برها، وإخوتي وأخواتي وزوجتي جزاها الله خيراً على صبرها عليَّ، وأبنائي وأخص منهم ابنتي شيماء على مساعدتها لي في التدقيق اللغوي للرسالة، وأسماء على صبرها عليَّ، وكذلك عمار وعبد العزيز وعبد القادر وعماد الدين وعز الدين وعبد الله.

وقد أوصت اللجنة بتبني وطباعة رسالة الباحث / عامر فوزي يوسف عودة، وإهداء نسخة منها إلى هيئة الإعجاز بالجامعة الإسلامية بغزة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله ذي العظمة والقدرة والمجد والكبرياء والعزة والرفعة والعلو والحكمة والثناء، تعالى عن الأنداد والشركاء، وتقدس عن الأمثال والنظراء، والصلاة والسلام على أحب الخلق إلى الله محمد ﷺ، وبعد:

غاية وجود الإنسان في هذا الكون هي عبادة الله ﷻ، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٧] ، وكلما ازداد الإنسان معرفة بحقيقة الخالق كلما عظم وعلا شأنه عنده، وعبده حق عبادته؛ لأنه أصبح في علمه أنه حق يستحق العبادة، ومعرفة الله في ذاته أمر محال على المخلوق، فلذلك يُتعرف على الخالق من خلال مخلوقاته، والتي منها خلق النَّفس البشرية.

لذا جعل الله تبارك وتعالى هذه النّفس آية من آيات الله في الكون، قال تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ * وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٠-٢١] .

بالنظر إلى هذه الآية نجد أن الله تبارك وتعالى ذمَّ الذين عطلوا وسائل الإدراك بحيث لا يتفكرون في آيات النَّفس البشرية في إشارة منه لبيان الطريق الواضح الجلي البيِّن في هذا الكون لمعرفته، وذلك من خلال النظر والتفكير والتدبر في ذات الإنسان بما يحتويه من آيات عظيمة تدلل على قدرة الله وسعة علمه، ومدى حكمته.

لذا جاء هذا البحث لبيان وإظهار آيات الله في النَّفس البشرية ليزداد المؤمن معرفة وإيماناً ويقيناً بعظم الخالق، وقدرته وإقامة الحجة على غير المؤمنين ببيان العلامات والدلالات والإشارات والحجة والبرهان على عظم العظيم، وقدرة القدير تبارك وتعالى.

قال تعالى: ﴿هَذَا خَلْقُ اللهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [لقمان:١١] ، ومن جانب آخر جاء هذا البحث ليبرز أسرار الآيات في النَّفس البشرية والكون، وليبين للخلق أن الله ﷻ هو الخالق الحقيقي، وذلك مصداقاً لقوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ...﴾ [فصّلت:٥٣] .

لذلك اختار الباحث أن يكون عنوان رسالة الماجستير: **(القدرة الإلهية في آيات النَّفس البشرية – دراسة قرآنية موضوعية)** .

أولاً: أهمية الموضوع:

١. تكمن أهمية الموضوع في أنه يتعلق بأشرف وأعظم كتاب ألا وهو القرآن الكريم.

٢. حداثة الموضوع حيث إن هذا الموضوع يربط ما بين الجانب الديني والجانب العلمي، ومن ثمَّ إبراز جانب القدرة والعظمة الإلهية فيه.

٣. حاجة الأمة الإسلامية اليوم خصوصاً بعد انحسار واندثار وتراجع الجانب اللغوي عند كثير من النّاس، والذي من خلاله يُبين جانب الإعجاز اللغوي فنبادر بإبراز جانب الإعجاز العلمي في النَّفس في ظل التقدم العلمي والتكنولوجي.

ثانياً: الأسباب التي دعت إلى اختيار الموضوع:

١. اعتناء القرآن الكريم بإبراز آيات النّفس البشرية.

٢. جهل وإغفال كثير من النّاس جانب القدرة الإلهية المطلقة.

٣. الرد على من ينكرون وجود الله وقدرته.

٤. تعطيل كثير من الناس نعمة العقل في التعرف على الله.

٥. افتقار المكتبة الإسلامية إلى بحث علمي محكم يتناول إبراز جانب الدين والعلم في آن واحد.

٦. ابتغاء مرضاة الله الذي هو أسمى غاية أرجوها من وراء هذا البحث.

ثالثاً: أهداف البحث:

١. إبراز الآيات الإلهية في مراحل وأطوار النَّفس البشرية.

٢. الاستدلال بالآيات التي تدلل على عِظم القدرة الإلهية.

٣. بيان حقيقة النَّفس البشرية كما خلقها الله تعالى، ومقارنة ذلك بما توصل إليه العلم الحديث.

٤. بيان وجوه التكريم والتفضيل للنَّفس البشرية.

٥. التفكر في مخلوقات الله الدالة على وحدانيته.

٦. زيادة الإيمان واليقين بالله تعالى من خلال بيان قدرة الله المطلقة في خلق الإنسان وعند موته وحسابه.

رابعاً: الدراسات السابقة:

من خلال مراسلتي لمركز أبحاث الملك فهد لم يُكتب في هذا الموضوع، ولم أقف على بحث علمي محكم يتناول هذا الموضوع.

خامساً: منهج البحث:

١. اتباع المنهج الاستقرائي والموضوعي والاستنباطي للآيات.
٢. جمع الآيات القرآنية وكتابتها بالرسم العثماني.
٣. تتبع الآيات القرآنية ودراستها دراسة موضوعية.
٤. وضع العناوين المناسبة للفصول والمباحث والمطالب وعمل ملخص لكل مبحث.
٥. ربط الآيات بالواقع ودراستها دراسة علمية وموضوعية.
٦. الوقوف على اللطائف والإشارات والمعاني التي تشير إليها الآيات.
٧. الرجوع إلى المصادر والمراجع للنقل والتوثيق والتعليق.
٨. مراعاة الأمانة العلمية في النقل والتوثيق والتعليق.
٩. ترتيب المصادر والمراجع حسب الأحرف الهجائية.
١٠. الاستعانة بالأحاديث الشريفة التي تخدم الموضوع.
١١. الرجوع إلى المعاجم اللغوية من أجل بيان معاني الكلمات العربية.
١٢. تخريج الأحاديث من مظانها وذكر حكم العلماء عليها ما أمكن.
١٣. الرجوع إلى المصادر الأصلية والحديثة في التفسير.
١٤. الترجمة للأعلام غير المعروفين.
١٥. كتابة الفهارس اللازمة في نهاية البحث.

سادساً: خطة الدراسة:

وقد اشتملت خطة الدراسة على: مقدمة وفصل تمهيدي وأربعة فصول، وخاتمة وفهارس:

المقدمة: وتشتمل على:

١. أهمية البحث.
٢. الأسباب التي دعت لاختيار الموضوع.
٣. أهداف البحث.
٤. الدراسات السابقة.
٥. منهج البحث.
٦. خطة الدراسة.

الفصل التمهيدي

مفهوم القدرة الإلهية والنَّفس البشرية وخصائصهما

وفيه مبحثان :

المبحث الأول: مفهوم القدرة الإلهية وخصائصها.

وفيه مطلبان :

المطلب الأول: مفهوم القدرة الإلهية.

المطلب الثاني: خصائص القدرة الإلهية.

المبحث الثاني: مفهوم النَّفس البشرية وخصائصها.

وفيه مطلبان :

المطلب الأول: مفهوم النَّفس البشرية .

المطلب الثاني: خصائص النَّفس البشرية .

الفصل الأول

صفات وأنواع النَّفس البشرية والقدرة الإلهية في خلقها

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : صفات النَّفس البشرية في القرآن الكريم.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الصفات الإيجابية.

المطلب الثاني: الصفات السلبية.

المبحث الثاني: أنواع النَّفس البشرية في القرآن الكريم.

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: نفس المؤمن.

المطلب الثاني: نفس الكافر.

المطلب الثالث: نفس المنافق.

الفصل الثالث

تكريم وتفضيل النَّفس البشرية على غيرها من المخلوقات وبيان نعم الله عليها

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول : تفضيل النَّفس البشرية على غيرها من المخلوقات.

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: مظاهر تفضيل النَّفس البشرية.

المطلب الثاني: تفضيل النَّفس البشرية بنعمة العقل.

المبحث الثاني: تكريم النَّفس البشرية ببيان ما أنعم الله عليها.

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تكريم النَّفس البشرية بنعمة الإيجاد والإمداد والهدى والرشاد.

المطلب الثاني: تكريم النَّفس البشرية بنعمة التسخير والتمكين.

المطلب الثالث: تكريم النَّفس الإنسانية بإرسال الرسل وهداية البشرية.

الفصل الرابع

القدرة الإلهية عند الموت والبعث والحساب

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: القدرة الإلهية عند الموت.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: القدرة الإلهية على نفس المؤمن.

المطلب الثاني: القدرة الإلهية على نفس الكافر والمنافق.

المبحث الثاني: القدرة الإلهية على النفس البشرية ما بعد الموت.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: القدرة الإلهية عند البعث.

المطلب الثاني: القدرة الإلهية عند الحشر.

المبحث الثالث: القدرة الإلهية عند الحساب.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: القدرة الإلهية في نصب الميزان.

المطلب الثاني: القدرة الإلهية في العدل بين البشر.

المطلب الثالث: القدرة الإلهية في الحياة الأبدية.

الخاتمة:

وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات التي سيتوصل إليها الباحث.

الفهارس:

وتشتمل على:

أولاً: فهرس الآيات القرآنية.

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية.

ثالثاً: فهرس الأعلام المترجمة.

رابعاً: فهرس المصادر والمراجع.

خامساً: فهرس الموضوعات.

الفصل التمهيدي

مفهوم القدرة الإلهية والنَّفس البشرية وخصائصهما

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: مفهوم القدرة الإلهية وخصائصها.

المبحث الثاني: مفهوم النَّفس البشرية وخصائصها.

المبحث الأول

مفهوم القدرة الإلهية وخصائصها

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم القدرة الإلهية.

المطلب الثاني: خصائص القدرة الإلهية.

المبحث الأول

مفهوم القدرة الإلهية وخصائصها

المطلب الأول: مفهوم القدرة الإلهية:

الإنسانُ خلقهُ اللهُ بقدرته، الموافقة لمشيئته المطابقة لوجه الحكمة، وقد توجهت إرادة اللهِ أن يجعلَ الإنسانَ في أحسن تقويم، وأن يمنحهُ إرادةً حرةً، وأن يجعل بين يدي إرادته مقداراً يسيراً من القدرة، ليستعملها في تنفيذ ما يريد، وإن إرادتنا الممنوحة لنا، وقدرتنا الموهوبة لنا محدودة بالمقدار الذي لا يتعارض مع سلطانِ القضاء والقدر العام في جميع الأمور، وقد توجهت إرادةُ اللهِ إلى أن يجعل الإنسانَ مقهوراً في معظم أُموره الداخلية في ذاتهِ أو الخارجة عنه، كالحياة والموت.

فالله الخالق العظيم، الذي أحسن خلق الإنسان، والذي صدرت عنه الموجودات الكونية ذات القوى الكبيرة، لا بد أن يكون ذا قوة وقدرة تتصف بخصائص تليق بجلاله، وكماله وعليّ سلطانه، لذا لزم بيان معنى القدرة لغةً واصطلاحاً، وبيان خصائصها التي تليق بذاته العليا.

أولاً : القدرة في اللغة:

ورد في لسان العرب، أن القدرة: مصدر قولك قَدَرَ على الشيء قُدرَةً أي مَلَكهُ، فهو قادرٌ وقديرٌ ، والقادرُ: اسم فاعل من قَدَرَ يقدِّرُ، والقديرُ فعيلٌ منه، وهو للمبالغة، والمقتدر مفتَعِلٌ من إقتَدَرَ وهو أبلغ والاقتدارُ على الشيء: القدرةُ عليه، والقدير والقادر من صفات الله ﷻ، ويكونان من القُدرةِ ويكونان من التقدير، وقولهِ تعالى: ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:٢٠].

فالقدير من القدرة، فاللهُ ﷻ على كل شيء قديرٍ، والله سبحانهُ مُقدِرُ كُلَّ شيءٍ وقاضيه [١].

جاءَ في المحيط في اللغة أن: المِقْدَارُ: اسمُ القَدَرِ وهو الموتُ، وقّدرُ الشيء مبلَغُه، وإذا وافقَ الشيءُ الشيءَ فهو قَدَرٌ لهُ، وقولهِ ﷻ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ ...﴾ [الأنعام:٩١]، أي ما وصفوه حق وصفه [٢].

---

(١) لسان العرب للعلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، م١٢، ص٣٦ ، ٣٧ بتصرف وإيجاز .

(٢) الصاحب إسماعيل بن عباد، ج ٥، ص ٣٤٠ ، ٣٤١.

وقيلَ: إقْتَدَرَ على الشيء: قَدَرَ عليه، والمُقتَدِر الوسط، وقولهُ تعالى: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾ [القمر:٥٥]، أي قادر، وَقَدَرَ اللهُ الرزقَ قدْرَاً يقدِرهُ أي يجعلهُ بِقَدر، وما قَدَرتُ عليه بِقدَارٍ: أي بقوةٍ ومقدِرَةٌ ومَقدَرَةٌ: كلُّها القُدرة [1].

وقد بين الرازي أن من الألفاظ المجانسة للقادر (الذي هو مشتق من القدرة) لفظين هما:

الأول: القدير: ورد هذا الاسم في القرآن الكريم ولم يرد ضمن الأسماء التسعة والتسعين، وهو مبالغة من القادر.

قال تعالى:﴿ للهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة:١٢٠].

الثاني: المُقتَدر: على وزن مفتعل، وهو أيضاً للمبالغة. قال تعالى: ﴿... وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا﴾ [الكهف:٤٥] [2].

والقديرُ والقادِرُ والمُقتدر جميعها تدل على ثبوت القدرة صفة لله، وأنه سبحانهُ كامل القدرة، ولكمال قدرته لا يُحيط أحد بشيء من علمه إلا بما شاء أن يُعلّمه إياه، ولكمال قدرته خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسَّهُ من لُغوب، ولا يعجزه أحدٌ من خلقه ولا يفوته. قال تعالى: ﴿... وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة:٢٥٥].

وقال أيضاً: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [ق:٣٨].

نزلت الآية رداً على من نسب صفات المخلوقات إلى الله، فبينت الآية أن الله خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام، وما مسّه سبحانه من تعب ولا نصب، وهنا إشـــــارة لكمال قدرته [3].

ومن الأسماء التي تشير وتدلل على كمال القوة، وتحقيق صفة القُدرة الكاملة على كل شيء بغير تعب ولا نَصب، ولا ضعف ، ولا عجز، ولا تناقص في التصرف، وعدم الغَلَبَة، والتفرد بالأمر والنهي، وأنه إليه ترجع الأمور كلها، وأنه تعالى لا يحتاج إلى مساعدة ولا مُعين، الغني بما يملك هذه الأسماء هي: "مالك الملك، القوي، المتين، القادر، المُقتدر، الواجد، العزيز، المُقيت،

(١) انظر: العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، ج٥، ص ١١٣، والمحيط في اللغة، ج٥، ص٣٤٢.

(٢) انظر: شرح أسماء الله الحسنى، للإمام فخر الدين محمد بن عمر الخطيب الرازي، ص ٣١٩ بتصرف.

(٣) تفسير الجلالين، العلامة جلال الدين محمد بن أحمد المحلى، والعلامة جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ص٦٨٩ بتصرف.

الوارث"[١].

قال الكِسائي: " قَدَرَ يقدِرُ مَقدِرة، ومَقدَرَة، ومَقدُرة، وقَدَراناً، وقِداَراً، وقُدْرَةً، كل هذا سمعناه من العرب " [٢].

وفي الصحاح: قَدْرُ الشيء مَبلَغُهُ، قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ ...﴾ [الأنعام:٩١]. أي ما عظموه حق تعظيمه، والقَدَرُ والقَّدْرُ ما يُقَدِّرُهُ الله ﷻ من القضاء ويقال مالي عليهِ مَقدَرَةٌ ومَقدِرَةٌ ومقدُرَةٌ أي قُدرَةٌ، ورجل ذو قُدرةٍ: أي ذو يسار [٣].

بعد عرض هذه التعريفات **اتضح للباحث** أن القُدرَةَ مصدر قَدَرَ يَقدِرُ وهي تعنى القُوة والمُلك للشيء والقُدرَة عليه.

ثانياً: القُدرَة في الاصطلاح:

لقد تعددت آراء العلماء في تعريف القُدرة في الاصطلاح، **وسيذكر الباحث** أهمها: عرفها بعض العلماء فقال: "القدرة " صفة ذاتية ذات إضافة تقتضي التمكن من الإيجاد والإعدام، والإبقاء لا نفس التمكن؛ لأنه أمر اعتباري" [٤].

وأورد الخطيب الشربيني أكثر من تعريف منها:

أ- هي التمكن من إيجاد الشيء.

ب- هي صفة تقتضي التمكن [٥].

وقيل: "القُدرة عبارة عن صحة الفعل والترك" [٦].

وقال الميداني: "القُدرة صفة وجودية من شانها أن يكون لها أثر، كإيجاد الأشياء الممكنة، وإعدامها، أو التصرف في الموجودات بجمعها، أو تفريقها، أو تحويلها، أو نحو ذلك" [٧].

---

(١) انظر: العقيدة الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حسن الميداني، ص١٤٢ -١٤٤ بإيجاز.

(٢) تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، ج٩، ص ١٩.

(٣) الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، ج٢، ص٧٨٦ ، ٧٨٧ بتصرف.

(٤) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبي الفضل شهاب الدين السيد محمد الألوسي، ج١، ص١٨٠.

(٥) تفسير القرآن الكريم للإمام الشيخ الخطيب الشربيني، ج١، ص٣٠.

(٦) حاشية الشهاب "عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي"، الإمام عبد الله بن عمر بن محمد بن علي أبو الخير القاضي، ج١، ص٤١٥.

(٧) العقيدة الإسلامية وأسسها، مرجع سابق، ص١٤١.

فالله تعالى قادر ومُقتدر فقد وصفَ نفسه بهذه الصفة في القرآن الكريم في عدة آيات، قال تعالى: ﴿ للهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [المائدة:١٢٠].

وقال أيضاً: ﴿ ... وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ﴾ [الكهف:٤٥].

وقال كذلك: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ المَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الأحقاف:٣٣].

وعرفها الشيخ سليمان محمود بأنها: "صفة قديمة قائمة بالقادر سبحانه، يبرزها في الزمان والمكان على ما تعلقت به صفة العلم الأزلي، فبالقدرة نشأ الكون كله على وفق ما تعلقت به صفة العلم الأزلي على النحو الذي نراه ونلمسه" (١).

فبالقُدرة نشأ الكون كله ما نعلمه وما لا نعلمه على نحو مشيئته

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [يس:٨٢].

وقال أيضاً: ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [النحل:٤٠].

أما صاحبا كتاب دراسات في توحيد الأسماء والصفات الإلهية فعرفا القُدرة بأنها: "هي صفة أزلية قائمة بذاته تعالى يتأتى بها إيجاد المخلوقات وإعدامها، فهي صفة تأثيرية في الأشياء"(٢).

وأما عبد الكريم تتان، والكيلاني فعرفا القُدرة بأنها "صفة من صفات المعاني قائمة بالذات يتأتى بها إيجاد كل ممكن وإعدامه، أوجبت كونه تعالى قادراً، وتتعلق بكل مقدور تعلقاً صلوحياً في الأزل وتنجيزياً حادثاً فيما لا يزال، وليس لها تعلق تنجيزي قديم، إذ لو كان لكان العالم قديماً وقد ثبت حدوثه ومن المعلوم أن انتفاء التعلق التنجيزي في الأزل لا يقتضي انتفاء نفس الصفة (٣).

ويرى الباحث أن هذا التعريف من أوضح التعريفات في تعريف القُدرة الإلهية، من حيث الشمول والتفصيل والإيضاح والإيجاز، وبناء على هذه التعريفات **يخلص الباحث** إلى أن القدرة الإلهية هي صفة من صفات الله الأزلية تختص بالمعاني، يتعلق بها الفعل للفاعل ووقوعه، يظهرها الله وقت شاء وحيث شاء وكيف شاء وفق مشيئته وإرادته، بموجبها يستدل على عظمة الله وقوته وحكمته وعدله وسعة علمه المطلق في خلقه من حيث الوجود والعدم والتحويل.

---

(١) الرحيق الأهنى تجليات أسماء الله الحسنى، ص١٣١.

(٢) انظر: ص ٢٩، تأليف د. سعد عاشور ود. جابر السُميري.

(٣) شرح جوهرة التوحيد في عقيدة أهل السنة، عبد الكريم تتان ومحمد أديب الكيلاني، ص٣٩٥.

الألفاظ القرآنية التي تتحدث عن القدرة:

الألفاظ التي تخص موضوع البحث جاءت بعدة صيغ واشتقاقات منها:

لفظ قدير ورد أربعين مرة في اثنتين وعشرين سورة في أربعين آية، ولفظ قديراً ست مرات، وقادر سبع مرات، وقادرون خمس مرات وقادرين مرة واحدة، ومقتدر مرتان، أما لفظ مقتدراً ومقتدرون فمرة واحد [١]، وقد وردت هذه الألفاظ في تسع وثلاثين سورة، في ثلاثٍ وستين آية، منها خمس وثلاثون آية مكية، وثمان وعشرون آية مدنية [٢].

وقد جاءت هذه الألفاظ بعدة صيغ واشتقاقات منها اسم الفاعل المفرد والجمع (قادر، قادرون، قادرين) وجاءت على وزن فعيل وفعيلا (قدير، قديرا) وجاءت على وزو مفتعل (مقتدر) ومفتعلا (مقتدرا) ومفتعلون (مقتدرون) وكلها صيغ تشير وتدلل على ثبوت واستمرارية وأزلية القدرة وكمالها وها هي مجدولة كالتالي:

م	اسم السورة	رقم الآية	زمن نزولها	صيغة اللفظ الوارد
١-	البقرة	٢٠	مدنية	قدير
٢-	البقرة	١٠٦	مدنية	قدير
٣-	البقرة	١٠٩	مدنية	قدير
٤-	البقرة	١٤٨	مدنية	قدير
٥-	البقرة	٢٥٩	مدنية	قدير
٦-	البقرة	٢٨٤	مدنية	قدير
٧-	آل عمران	٢٦	مدنية	قدير
٨-	آل عمران	٢٩	مدنية	قدير
٩-	آل عمران	١٦٥	مدنية	قدير
١٠-	آل عمران	١٨٩	مدنية	قدير
١١-	آل عمران	١٨٥	مدنية	قدير

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ص٦٤٦، ٦٤٧.

(٢) انظر: كتاب لباب النقول في أسباب النزول، ص١٣-٣٠٠، جلال الدين السيوطي، وكتاب إتقان البرهان في علوم القرآن، أ.د. فضل حسن عباس، ج١، ص٣٨١-٤٠٥.

١٢-	المائدة	١٧	مدنية	قدير
١٣-	المائدة	١٩	مدنية	قدير
١٤-	المائدة	٤٠	مدنية	قدير
١٥-	المائدة	١٢٠	مدنية	قدير
١٦-	الأنعام	١٧	مكية	قدير
١٧-	الأنفال	٤١	مدنية	قدير
١٨-	التوبة	٣٩	مدنية	قدير
١٩-	هود	٤	مكية	قدير
٢٠-	النحل	٧٠	مكية	قدير
٢١-	النحل	٧٧	مكية	قدير
٢٢-	الحج	٦	مكية	قدير
٢٣-	الحج	٣٩	مكية	قدير
٢٤-	النور	٤٥	مدنية	قدير
٢٥-	العنكبوت	٢٠	مكية	قدير
٢٦-	الروم	٥٠	مكية	قدير
٢٧-	الروم	٥٤	مكية	قدير
٢٨-	فاطر	١	مكية	قدير
٢٩-	فصلت	٣٩	مكية	قدير
٣٠-	الشورى	٩	مكية	قدير
٣١-	الشورى	٢٩	مكية	قدير
٣٢-	الشورى	٥٠	مكية	قدير
٣٣-	الأحقاف	٣٣	مكية	قدير
٣٤-	الحديد	٢	مدنية	قدير

٣٥-	الحشر	٦	مدنية	قدير
٣٦-	الممتحنة	٧	مدنية	قدير
٣٧-	التغابن	١	مدنية	قدير
٣٨-	الطلاق	١٢	مدنية	قدير
٣٩-	التحريم	٨	مدنية	قدير
٤٠-	الملك	١	مكية	قدير
٤١-	النساء	١٣٣	مدنية	قديرا
٤٢-	النساء	١٤٩	مدنية	قديرا
٤٣-	الفرقان	٥٤	مكية	قديرا
٤٤-	الأحزاب	٢٧	مدنية	قديرا
٤٥-	فاطر	٤٤	مكية	قديرا
٤٦-	الفتح	٢١	مدنية	قديرا
٤٧-	الأنعام	٣٧	مكية	قادر
٤٨-	الأنعام	٦٥	مكية	قادر
٤٩-	الإسراء	٩٩	مكية	قادر
٥٠-	يس	٨١	مكية	قادر
٥١-	الأحقاف	٣٣	مكية	قادر
٥٢-	القيامة	٤٠	مكية	قادر
٥٣-	الطارق	٨	مكية	قادر
٥٤-	يونس	٢٤	مكية	قادرون
٥٥-	المؤمنون	١٨	مكية	قادرون
٥٦-	المؤمنون	٩٥	مكية	قادرون
٥٧-	المعارج	٤٠	مكية	قادرون

٥٨-	المرسلات	٢٣	مكية	قادرون
٥٩-	القيامة	٤	مكية	قادرين
٦٠-	القمر	٤٢	مكية	مقتدر
٦١-	القمر	٥٥	مكية	مقتدر
٦٢-	الكهف	٤٥	مكية	مقتدرا
٦٣-	الزخرف	٤٢	مكية	مقتدرون

من خلال استعراض الألفاظ التي تتحدث عن القدرة وتصاريفها ومشتقاتها، ومن خلال معرفة زمن نزول هذه السور، يمكن الوقوف على هذه الملاحظات:

أ- أن صيغ القدرة الواردة في القرآن الكريم تدلل على لزوم وثبوت القدرة لله تبارك وتعالى.

ب- أن هذه الصيغ تدلل على عِظم القدرة الإلهية وأزليتها وتفرد الله بها عن الخلق.

ج- أن السور المكية التي وردت فيها صيغ القدرة أكثر من السور المدنية بقليل، وذلك في إشارة إلى أن أهل مكة كانوا ينكرون العظمة والقدرة والألوهية، فلابد من مخاطبتهم بهذه الصيغ التي تدعو إلى التوحيد وإقامة الأدلة على المنكرين من خلال إظهار قدرة الله وعظمته في هذا الكون.

المطلب الثاني: خصائص [(١)] القدرة الإلهية:

معرفة الله في أسمائه وصفاته توقيفية منه أو من أنبيائه، وصفات الله جل وعلا صفات كمال، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:١٨٠].

لأجل ذلك لا بد أن نثبت له تبارك وتعالى ما أثبته لذاته، وننفي عنه ما نفاه عنها، وما يستحيل عليه منها، ومن الصفات التي أثبتها لذاته القدرة، قال تعالى: ﴿... إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:١٤٨]، وقال أيضاً: ﴿... وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ [الأحزاب:٢٧].

ومن مظاهر قدرته عز شأنه في هذا الكون: خلق الإنسان، فخلق الإنسان دليل القدرة الإلهية، وكل مقدور دليل للقادر كما كل مصنوع دليل للصانع، ومجال القدرة كل ممكن جائز، فلا

---

(١) الخصائص: جمع الخَصِيصة، وهي الصفة التي تميز الشيء وتحدده. انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، م١، ص ٢٤٧.

مجال للقدرة في المستحيلات.

وقد اتفق أهل السنة على أن الله ليس كمثله شيء في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله[1].

ولقد وصف الله نفسه بصفات وسمى نفسه بأسماء وسمى بعض عباده بها، وكذلك سمى صفاته بأسماء وسمى ببعضها صفات خلقه، فسمى نفسه: قديراً، وحياً، وعليماً، وجباراً، ومتكبراً، وغيرها من الأسماء والصفات ووصف بعض عباده بهذه الصفات قال تعالى في شأن إبراهيم حينما جاءته الملائكة: ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ [الذاريات:٢٨].

وقال أيضاً: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ [الملك:٢٣]. وقال تعالى على لسان الخضر عليه السلام في شأن السفينة مبيناً سبب خرقها: ﴿... وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف:٧٩]. وقال أيضا: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨].

فعلم الله، وسمعه، وبصره، ورحمته، وقوته، وقدرته، وكل ما سمى به نفسه من أسماء أو وصفها بصفات، لا يشاركه العبد في شيء منها فهو مختص بعلمه وسمعه، وبصره، ورحمته، وعدله، وقوته، وقدرته، وغير ذلك من الصفات. فالله منزه عن التشبيه والتمثيل والتجسيم والتعطيل[2].

* قال تعالى: ﴿... لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [الشُّورى:١١].

وفيما يلي تبيين لخصائص هذه الصفات وبالأخص خصائص القدرة الإلهية.

١- صفة الكمال:

تعد هذه الصفة من أهم صفات الله تعالى، فالله سبحانه له القدرة الكاملة التي لا يعتريها نقص، ولا خلل، ولا زلل، ولا عجز في أي حال من الأحوال.

قال تعالى: ﴿... إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:٢٠].

قال الطبري في تفسيره لهذه الآية: "إنما وصف الله جل ذكره بالقدرة على كل شيء ومعنى قدير: قادر كما معنى عليم: عالم [3].

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، للإمام القاضي علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي، ج١، ص٥٧.

(٢) سيأتي بيان هذه الصفات.

(٣) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن عن تأويل آي القرآن، للإمام أبي جعفر بن جرير الطبري، م١، ص٢٥٢ ، ٢٥٣.

وقال تعالى: ﴿ ... وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا﴾ [الكهف:٤٥].

وقال أيضاً: ﴿ ... وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر:٤٤].

هذه الآيات تثبت لله تبارك وتعالى صفات الكمال، وتنفي عنه صفات النقص كقوله تعالى: ﴿ ... وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف:٤٩].

فهذا النص الكريم يدل على كمال عدله.

قال تعالى: ﴿ ... لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [سبأ:٣].

فهذا النص القرآني يدلل على كمال علمه.

وقوله تعالى: ﴿ ... وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [ق:٣٨]. فهذا النص القرآني يدلل على كمال قدرته(١).

٢- صفة القدرة المطلقة:

فقدرة الله مطلقة تتعلق بالممكنات إيجاداً، وعدماً، وتحويلاً. قال تعالى: ﴿ ... وَلِلَّهِ المَثَلُ الأَعْلَى وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ [النحل:٦٠].

قال ابن كثير "ولله المثل الأعلى" أي الكمال المطلق من كل وجه (٢).

قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا وَعَنَتِ الوُجُوهُ لِلْحَيِّ القَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه ١١٠-١١١].

قال ابن عباس وبعض أهل العلم: "وعنت الوجوه للحي القيوم" أي خضعت، وذلت واستسلمت الخلائق لجبارها الحي الذي لا يموت، القيوم الذي لا ينام وهو قيم على كل شيء يديره ويحفظه، فهو الكامل في نفسه، الذي كل شيء فقير إليه لا قوام له إلا به (٣).

وقال أيضاً: ﴿ ... وَلَهُ المَثَلُ الأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ [الرُّوم:٢٧].

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، للعلامة بن أبي العز الحنفي، ص ١٦٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير، ج ٢، ص٥٩٤.

(٣) المصدر السابق، ج٣، ص١٧٥.

٣- صفة الأزلية:

هي صفة قديمة قائمة بالقادر سبحانه، فهو قديم في الأزل وقبل الخلق.

قال تعالى: ﴿... **وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا**﴾ [الفرقان:٥٤].

قال صاحب الرحيق: أشار قوله (كان) إلى أنه قديرٌ في الأزل قبل الخلق [١].

قال تعالى: ﴿**هُوَ الأَوَّلُ وَالآَخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ [الحديد:٣].

لقد ذكر العلماء العديد من الأقوال في تفسير هذه الآية كلها تشير وتدلل على أزلية الله:

القول الأول: إنه هو الأول الذي لا بداية له المبدئ للأشياء، والآخر الذي لا نهاية له، المتصرف في الكون الذي جل وعلا لا نهاية له.

القول الثاني: الأول والآخر، بمعنى الأول بلا ابتداءً، والآخر بلا انتهاء.

القول الثالث: الأول قبل كل أحد، والآخر بعد كل أحد.

القول الرابع: الأول خالق الأولين، والآخر خالق الآخرين.

القول الخامس: الأول السابق على جميع الموجودات، فهو موجود قبل كل شيء حتى الزمان والمكان؛ لأنه جل وعلا الموجد والمحدث للموجدات والآخر الباقي بعد فنائها.

القول السادس: الأول الذي تبتدئ منه الأسباب ، أو هو مسببها. والآخر: الذي تنتهي إليه المسببات، بمعنى أنه إليه المرجع والمصير [٢].

وقد ذكر العلماء عدة آراء في تفسير قوله تعالى: ﴿... **وَالظَّاهِرُ وَالبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ [الحديد:٣].

الرأي الأول: الظاهر والباطن: عالم بالظاهر والباطن.

الرأي الثاني: الظاهر الغالب على كل شيء، والباطن العالم بكل شيء.

الرأي الثالث: الظاهر خالق الآدميين وهم ظاهرون، والباطن: خالق الجن والشياطين الذين لا يظهرون.

---

(١) الرحيق الأهنى تجليات أسماء الله الحسنى، ص١٣١.

(٢) تفسير بحر العلوم، للعلامة الحجة أبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، م٣، ص٣٢٢، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج ٢٧، ص١٦٥ ، ١٦٦ بتصرف.

الرأي الرابع: الظاهر: أي بوجوده، لأن كل الموجودات بظهوره تعالى ظاهرة ، والباطن: بكنهه سبحانه، فلا تحوم حوله العقول.

"وهو بكل شيء عليم" بمعنى أمر الدنيا والآخرة [1].

وقد ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قال: (**... اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء.....**)[2].

ذكر مؤلف الحجة أن من أسماء الله تعالى: الأول والآخر، والظاهر والباطن، وهي صفة معرفة ذاته.

ثم نقل عن أهل العلم قولهم "معنى الأول هو الأول بالأولية، وهو خالق أول الأشياء، ومعنى الآخر: هو الآخر الذي لا يزال آخراً، دائماً باقياً، الوارث لكل شيء بديمومته وبقائه.

ومعنى الظاهر: ظاهر بحكمته، وخلقه وصنائعه وجميع نعمه التي أنعم بها.

ومعنى الباطن المحتجب عن ذوي الألباب كنه ذاته وكيفيه صفاته" [3].

٤- صفة تتعلق بإيجاد الأشياء من عدم:

تتجلى قدرة الله وعظمته في أنه خالق الأشياء من عدم، لذا فإن أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون.

* قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢].

فالله لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء إيجاداً، أو إعداماً.

قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مذكورا إنا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [الإنسان ١ - ٢].

---

(١) انظر: روح المعاني تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج٢٧، ص١٦٦، ١٦٧، وبحر العلوم، ج٣، ص٣٢٢.

(٢) انظر: صحيح مسلم، للإمام الحافظ أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب الدعاء عند النوم، ص١٠٤٤، حديث رقم (٢٧١٣).

(٣) انظر: الحجة في بيان المحجة شرح عقيدة أهل السنة، للإمام أبي القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني، ج ١، ص ١١٩.

فالله جل شأنه أوجد الإنسان بعد أن لم يكن شيئاً يذكر، وهذا دليل على عظمة الله وقدرته بإيجاد الأشياء من عدم، وكذلك دليل على ضعف الإنسان وحاجته إلى خالق الخلق.

نقل الماوردي في النكت والعيون أقوال العلماء في تفسير هذه الآية:

الرأي الأول: قال الفراء وأبو عبيدة "هل" بمعنى قد، وتقدير الكلام قد أتى على الإنسان على معنى الخبر.

الرأي الثاني: "هل " بمعنى الاستفهام.

أما الإنسان فقال السدي وقتادة: أنه أدم عليه السلام.

وقال ابن عباس وابن جريج أنه كل إنسان.

أما "الحين من الدهر" فالرأي الأول قال ابن عباس: وقت غير مقدر، وزمان غير محدد.

الرأي الثاني: وقال بعض العلماء أربعين سنة.

الرأي الثالث: مائة وعشرون سنة فيها خلق آدم من طين فأقام أربعين سنة، ثم من حمأ مسنون أربعين سنة، ثم من صلصال أربعين سنة، ثم ختم خلقه بعد مائة وعشرين سنة، ثم نفخ فيه الروح. أما قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾ [الإنسان:١].

الرأي الأول: أي لم يكن شيئاً مذكورا في الخلق، وإن كان عند الله شيئاً مذكوراً قاله يحيى بن سلام.

الرأي الثاني: أنه كان جسدا مصوراً تراباً وطيناً لا يذكر، ولا يعرف ولا يدري ما اسمه ولا ما يراد به، ثم نفخ فيه الروح فصار مذكورا، قاله الفراء وقطرب وثعلب.

الرأي الثالث: قال مقاتل في الكلام تقديم وتأخير، وتقديره هل أتى حين من الدهر لم يكن الإنسان شيئاً مذكوراً؛ لأنه خلقه بعد خلق الحيوان كله ولم يخلق بعده حيوان.

قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [الإنسان:٢].

أي من ماء الرجل وماء المرأة إذا اختلطا ليصبحا طوراً بعد طور نطفة، فعلقة، فمضغة، فعظاماً إلى أن أصبح خلقاً متكاملاً يسمع ويبصر؛ لكي نبتليه بالتكليف والخير والشر والهدى والضلال، وشكره في السراء والضراء، لذا جعلناه سميعا بصيراً لنبتليه في كل ما ذكر [(١)].

قال تعالى: ﴿... إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:٢٠].

والمعنى أن الله قادر على كل شيء من حيث وجوده أو عدمه، فهو قدير على إيجاده، أو على إعدامه، وكذلك قوله تعالى: ﴿... اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ...﴾ [الرعد:١٦].

---

(١) النكت والعيون "تفسير الماوردي" للإمام أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، ج٦، ص١٦١ – ١٦٤ بتصرف.

فالله قادر على مشيء وجوده أو عدمه [1].

٥- صفة القدرة هي صفة قائمة بذاته تعالى لا تقوم بغيره ولا تستند إلى ذاتٍ أخرى:

فالله مختص بقدرته وسائر صفاته القائمة بذاته، غير مستمدة من ذوات أُخرى، قال تعالى: ﴿مَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج:٧٤].

ذكر ابن تيمية أن أصل عبادة الله معرفته بما وصف به نفسه في كتابه، وما وصفه به رســـله، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكيف ولا تمثيل، والذين ينكرون بعض ذلك ما قدروا الله حق قدره وما عرفوه حق معرفته ولا وصفوه حق وصفه ولا عبدوه حق عبادته، قال تعالى: ﴿... لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [الشُّورى:١١].

وقد ورد قوله تعالى: ما قدروا الله حق قدره في ثلاثة مواضع:

أ- قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ ...﴾ [الأنعام:٩١].

ب- قال تعالى: ﴿مَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج:٧٤].

ج- قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزُّمر:٦٧].

وذلك ليثبت الله عز شأنه عظمته في نفسه وما يستحقه من الصفات، وليثبت وحدانيته، وأنه لا يستحق العبادة إلا هو، وليثبت ما أنزله على رسله. وفي المواضع الثلاثة ذم الله الذين ما قدروا الله حق قدره من الكفار.

فدل على أنه يجب على المؤمن أن يقدر الله حق قدره [2].

وقال البغوي في تفسير قوله تعالى: "ما قدروا الله حق قدره" أي، "ما عظموه حق عظمته، وما عرفوه حق معرفته، ولا وصفوه حق صفته" [3].

قال تعالى: ﴿... لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [الشُّورى:١١].

أما ابن كثير فبين أن معنى قوله تعالى "ليس كمثله شيء" أي الفرد الصمد الذي ليس له نظير [4].

---

(١) انظر: حاشية القونوي على تفسير الإمام البيضاوي، للإمام عصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفي، ج٢، ص٣٢٢.

(٢) انظر: البيان لتفسير آي القرآن، تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني الدمشقي، (ابن تيمية)، ج٤، ص٤٩٣.

(٣) انظر: تفسير البغوي المسمى "معالم التنزيل" للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي، ج٣، ص٢٥١.

(٤) تفسر القرآن العظيم، م٤، ص١١٧ بتصرف.

وقال ابن تيمية في تفسير قوله تعالى: ﴿ ... لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [الشُّورى:١١]، "ردٌّ للتشبيه والتمثيل وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ ردٌّ للإلحاد والتعطيل" (١).

ورد في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ كان يعلم أصحابه الاستخارة في الأمور كلها كما يعلم السورة من القرآن، يقول: **(إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل اللهم إنــي أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقُدرَتِك أسألك من فضلك ، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب.**

اللهم فإن كنت تعلم – ثم يسميه بعينه – خيراً لي في عاجل أمري وآجله – قال: أو في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فاقدرْه لي ويسره لي ثم بارك لي فيه. اللهم إن كنت تعلم أنه شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري– أو قال في عاجل أمري وآجله فاصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم ارضني به) (٢).

فالحديث يشير إلى طلب العبد من الله، أن يختار له ما يحبه، ويرضى، وأن يجعل له قدره على المطلوب، وتنجيزه له، وهذا يدلل على أن العبد يستمد علمه ومقدرته وسائر أُموره من خالق قائم بذاته، وبخلقه، تعالى الله عما يصفون.

٦– صفة القدرة لا تستلزم التمثيل، والتعطيل، والتحريف، والتكيف، والتأويل، والتفويض"(٣):

إن صفات الله تعالى لا تقتضي المشابهة والمماثلة للمخلوقين فصفاته مخالفة للحوادث.

---

(١) انظر: البيان لتفسير آي القرآن، ج٦، ص١٩٤.

(٢) صحيح البخاري، للإمام الحافظ محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى قل هو القادر، ص١٤٧٠، حديث رقم (٧٣٩٠).

(٣) التمثيل: اعتقاد أن صفات الله مثل صفات المخلوقين، كأن يقال: الله له قدره كقدرتي.

التعطيل: إنكار ما يجب لله تعالى من الأسماء والصفات أو إنكار بعضها.

التحريف: تغير النص لفظاً ومعنى.

التكيف: حكاية كيفية الصفة، كأن يقال عن صفات الله بكيف.

التأويل: حرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى يخالف الظاهر كتأويل الاستواء بالاستيلاء.

التفويض: الحكم بأن معاني نصوص الصفات مجهولة غير معقولة، لا يعلمها إلا الله، والحق أن الصفات معلومة معانيها، أما كيفيتها فيفوض علمها إلى الله ﷻ.

انظر: أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمتشابهات تأليف الإمام زين الدين مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي الحنبلي. ص٤٦–٤٨، ودراسات في توحيد الأسماء والصفات الإلهية، ص١١٦، ولمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد للإمام موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد ابن قدامة المقدسي، ص٢٦، ٢٧.

* قال تعالى: ﴿... لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [الشُّورى:١١].

سُئل الإمام مالك بن أنس عن قوله تعالى: "الرحمن على العرش استوى"

كيف استوى فقال: الكيف غير معقول والاستواء منه غير مجهول، والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة [(١)].

فكيفية الاستواء لا نعقلها، بل نجهلها، وأن استواءه معلوم كما أخبر في كتابه، وأنه يليق به تبارك وتعالى لا نبحث عن كيفيته ولا نطلب مزيد علم فيه إلا بما أخبر عنه نفياً أو إثباتاً من غير تأويل.

قال تعالى: ﴿... وَلَهُ المَثَلُ الأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ [الرُّوم:٢٧].

أي وصف الله نفسه بأن له المثل الأعلى المتضمن إثبات الكمال لله ومن كانت هذه صفته فلا مثيل له ولا نظير [(٢)].

قال أيضاً: ﴿... فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم:٦٥].

أي مثيلاً وشبيهاً يستحق مثل اسمه [(٣)].

٧- صفة القدرة تقترن بالمشيئة، ومتى نفذت القدرة تعلقت بها الإرادة الحكيمة فيتم القضاء بالعدل:

فالقدرة لا تتعلق إلا بعد تعلق الإرادة ولم يرد الله شيئاً إلا وفق ما علم، إذ يستحيل عقلاً أن يريد الله ما لم يعلم أو أن يفعل ما لا يريد [(٤)].

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل:٤٠].

فالإيجاد هنا بعد تخصيص الإرادة، ودل بصيغة الماضي "أردناه" على أزلية التخصيص وبالمضارع نقول على تعلق القدرة التنجيزي الحادث [(٥)].

---

(١) انظر: أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمتشابهات، ص ٤٦.

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، ج ١، ص ١١٩.

(٣) البيان لتفسير آي القرآن،، ج ٦، ص ١٩٤.

(٤) شرح جوهرة التوحيد في عقيدة أهل السنة، ص ٤١٤، والعقيدة الإسلامية وأسسها، ص ٦٤٢.

(٥) المرجع السابق، شرح جوهرة التوحيد ...، ص ٤١٤ ، ٤١٥.

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية أنها إخبار عن قدرة الله على ما يشاء، وأنه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، فإذا أراد كون شيء أمر به مرة واحدة، فيكون كما يشاء، فإنه لا يُمَانع ولا يُخالَف؛ لأنه الواحد القهار، فلا إله إلا هو، ولا رب سواه، قال تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ [القمر:٥٠]، وقال أيضاً: ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [لقمان:٢٨] (١).

٨- صفة القدرة كما هي بقية الصفات لا يستطيع احد الوصول إلى كنهها:

* قال تعالى: ﴿... وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ...﴾ [البقرة:٢٥٥].

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: أي لا يطلع أحد من علم الله على شي ء إلا بما أعلمه الله ﷻ وأطلعه عليه، ويحتمل أن يكون المراد لا يطلعون على شيء من علم ذاته وصفاته إلا بما أطلعهم الله عليه (٢).

وفي الحديث: (... **اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء ...**) (٣).

قال الزجاج في تفسير قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام:١٠٣]، أي لا تبلغ كنه حقيقته فالمنفي هو هذا الإدراك لا مجرد الرؤية (٤).

هذه أهم خصائص القدرة الإلهية .

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ج ٢ ، ص ٥٩٠.

(٢) نفس المرجع السابق، ج ١، ص ٣١٧.

(٣) سبق تخريجه، ص ١٠.

(٤) انظر: فتح القدير، الإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني، ج ٢، ص ١٨٥.

المبحث الثاني

مفهوم النَّفس البشرية وخصائصها

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم النَّفس البشرية .

المطلب الثاني: خصائص النَّفس البشرية .

المبحث الثاني

مفهوم النَّفس البشرية وخصائصها

المطلب الأول: مفهوم النَّفس البشرية:

أولاً: تعريف النَّفس لغة: النون والفاء والسين أصلٌ واحدٌ يدل على خروج النَّسيم كيف كان ،من الريح أو غيرها، ومنه التنفس: وهو خروج النسيم من الجوف، وذلك أن خروج النسيم روحاً وراحة **والنَّفس:** كل شيء يُفَرَّجُ به عن مكروب.

والنَّفس: الدم، وذلك أنه إذا فقد الدم من بدن الإنسان فقد نفسه، والحائض تُسمى النَّفساء؛ لخروج دمها.

والنِّفاس: ولادة المرأة، ويقال للماء نفسٌ من قبيل تسمية الشيء باسم غيره؛ لأن قوام النَّفس به. والنَّفس قوامها بالنَّفس [(١)].

وتُطلق النَّفس لغة على عدة معانٍ من أبرزها النَّفس: بمعنى الروح، وكذلك بمعنى الدم، وكذلك بمعنى الجسد، وكذلك بمعنى العين، يقال أصبته بعين، وتأتي بمعنى العِنْدُ. قال تعالى: ﴿... تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ...﴾ [المائدة:١١٦]، أي تعلم ما عندي وما عندك، أو حقيقتي وحقيقتك[(٢)].

وقيل: رجل له نفس: أي خلق وجلادة وسخاء، وأنت في نفس من أمرك: أي في سعة، وجمع النَّفس النفوس، وجمع النَّفس نفاس وأنفاس، وأنت في نفس من أمرك: أي في سعة، وزدني في أجلي نفساً: أي طول الأجل، وأنا بين نفسين، أي رأيين، والشيء النفيس: المتنافس فيه [(٣)].

وذكر ابن منظور: أن النَّفس في كلام العرب يجري على ضربين:

أحدهما: قولك خرجت نفس فلان، أي روحه، وفي نفس فلان أن يفعل كذا، وكذا أي في روعه.

---

(١) انظر: المقاييس في اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ص١٠٤٠، ١٠٤١.

(٢) انظر: القاموس المحيط، مجد الدين بن يعقوب الفيروز آبادي، ص ٥٢٠.

(٣) انظر: المحيط في اللغة، ج ٨، ص ٣٤١، ٣٤٢.

والضرب الآخر: معني النَّفس جملة الشيء وحقيقته، تقول: قتل فلان نفسه، وأهلك نفسه أي أوقع الإهلاك بذاته كلها.

إضافة لما ذكر بيّن ابن منظور أن النَّفس تأتي بمعان عديدة.

فهي بمعنى عين الشيء وكنهه وجوهره وذاته، وتأتي بمعنى العظمة، والكبر، والعزة والأنفة، وكذلك بما يكون به التميز، أي العقل، وكذلك بمعنى العين التي تصيب الإنسان، أي (الحسد)، والنَّفس كذلك: يعبر بها عن الإنسان جميعه كقولهم: عندي ثلاث أنفس، وسميت النَّفس نفساً؛ لتوالد النَّفس منها، واتصاله بها[(١)].

بعد استعراض معني النَّفس عند أهل اللغة **يرى الباحث** أن هناك معانٍ عديدة للنفس، والذي يعنينا في هذا البحث أنها تطلق ويراد بها الإنسان كله أو بعضه.

ثانياً: تعريف النَّفس اصطلاحاً:

اختلف العلماء في تعريف النَّفس نظراً لأن لفظ النَّفس من الألفاظ المشتركة في المعنى، ولسنا بصدد إبراز وجوه الاختلاف، لذا **سيكتفي الباحث** بإيراد بعض من هذه التعريفات والتي منها ما ذكره الجرجاني أن النَّفس هي الجوهر البخاري اللطيف الحامل لقوة الحياة والحس والحركة والإرادة [(٢)].

وبين الإمام أبو حامد الغزالي أن النَّفس لفظ مشترك بين معانٍ منها:

أحدهما: المعنى الجامع لقوة الغضب والشهوة في الإنسان.

الثاني: هي الإنسان بالحقيقة وهي نفس الإنسان وذاته [(٣)].

وعرفها صاحب كتاب: منهج الاسلام في تزكيه النَّفس فقال: (هي شيء داخلي في كيان الإنسان لا تُدرك ماهيته، قابل للتوجه إلى الخير والشر، جامع لكثير من الصفات والخصائص الإنسانية التي لها آثار ظاهرة في السلوك الإنساني) [(٤)].

بعد هذا الإيضاح لتعريف النَّفس في اللغة والشرع **يرى الباحث** أن النَّفس: هي البنيان الإلهي الذي خلقة الله بما يشمله من جانبي الطين والروح، وما يترتب عليهما من مظاهر الحياة بما فيها من خير وشر وسائر الأمور الإنسانية، والذي يعتبر آية من آيات الله في الكون.

---

(١) لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، م ١٤، ص ٣١٩-٣٣٦ بتصرف وإيجاز .

(٢) كتاب التعريفات، الشريف علي بن محمد الجرجاني، ص ٢٤٣.

(٣) إحياء علوم الدين، الإمام ابي حامد محمد بن محمد الغزالي، ج٣، ص٥.

(٤) منهج الإسلام في تزكية النَّفس، أنس أحمد كرزون، ج ١، ص ١٦.

المطلب الثاني: خصائص النَّفس البشرية:

القسم الأول: خصائص النَّفس البشرية التي تتعلق بالحياة:

أولاً: أنها مخلوقة.

عند الحديث عن خلق النَّفس البشرية لا بد أن نقسمها إلى ثلاثة أطوار.

أ- طور خلق آدم.

ب- طور خلق حواء من ضلع آدم.

ج- طور خلق أبناء آدم وحواء.

أ- طور خلق آدم:

آدم عليه السلام أبو البشر، فهو خلق الله الأول لعالم الإنس، ولقد خلقه الله من تراب، قال تعالى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ**﴾ [الرُّوم:٢٠].

ذكر ابن كثير في تفسيره لهذه الآية أن من آيات الله الدالة على عظمته وكمال قدرته أن خلق أباكم آدم من تراب [(١)].

ففي الآية إشارة إلى أن الله خلق آدم من تراب، وفي آية أخرى قال تعالى: ﴿**الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ**﴾ [السجدة:٧].

ذكر الطبري في تفسيره لقوله تعالى: ﴿**الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ**﴾ عدة أقوال:

١- أتقن كل شيء وأحكمه.

٢- الذي أحسن خلق كل شيء.

٣- أعلم وألهم كل شيء خلقه.

أما عن قوله تعالى: ﴿**وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ**﴾، فقال الطبري: أي بدأ خلق آدم من طين [(٢)].

فهذه الآية تشير إلى أن بداية خلق الإنسان: أي آدم عليه السلام من طين، فهل يوجد فرق بين التراب والطين؟ يتبين ذلك من الآيات التالية:

* قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ**﴾ [المؤمنون:١٢].

---

(١) تفسير القران العظيم، م ٣، ص ٤٣٩.

(٢) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن عن تأويل آي القرآن، م ٨، ص ٦٥٨٤، ٦٥٨٥.

يبين صاحب التفسير المنير أن المراد بالإنسان في هذه الآية هو آدم أو الجنس، وأن المراد بالسلالة خلاصة سُلَّت من بين التراب [(١)].

وعلى هذا فإن آدم خلق من طين خاص من طين الأرض، وروعي في هذه الخصوصية أن تكون من جميع الأرض، وفي الحديث عن أبي موسى الأشعري: أن رسول الله ﷺ قال :**(إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض فجاء منهم الأحمر، والأبيض، والأسود، وبين ذلك السهل والحزن، والخبيث والطيب، وبين ذلك)** [(٢)].

ثم تبين الآية التالية بشيء من التفصيل حقيقة هذا الطين.

* قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ [الحجر:٢٦].

أشار صاحب الفتوحات الإلهية والزحيلي في تفسيريهما لهذه الآية، أن آخر أطوار خلق آدم عليه السلام هو الصلصال، أي الطين اليابس يسمع له صلصلة، أي صوت إذا نقر، وأول ابتدائه أنه كان تراباً متفرق الأجزاء، ثم ابتل فصار طيناً، ثم ترك حتى أنتن واسودَّ فصار حمأً مسنوناً، أي متغير.

فالحمأ: الطين الأسود.

والمسنون: المتغير الذي له رائحة من طول مكثه حتي يتخمر، وفي قول الذي له رائحة منتنة[(٣)].

وقد بين ابن كثير في تفسيره أن الحمأ المسنون إنما كان بعد التراب فخلق الله منه آدم بيده[(٤)]. وقد أجمل الله تبارك وتعالى هذه الأطوار لآدم حيث قال: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾ [الرُّوم:٢٠].

حيث بين صاحب تفسير المقتطف من عيون التفاسير في تفسيره لهذه الآية، خلقكم: أي خلق آدم عليه السلام من تراب لم يشتم رائحـة الحيـاة قط، ثـم إذا أنتم بشرٌ عقلاء ناطقون آدميون من لحم ودم [(٥)].

---

(١) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، ج ١٨ ، ص ١٠٧.

(٢) رواه أبو داود في سننه "سليمان بن الأشعث السجستاني"، باب القدر، ص ٨٤٧، حديث رقم (٤٦٩٣)، ذكره الألباني في السلسلة الصحيحة، م٤، ص ١٧٢.

(٣) سليمان بن عمر العجيلي الشهير بالجمل، ج ٢، ص ٥٤٣، والتفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ج ١٣، ص ٣٠، ٣١.

(٤) تفسير القران العظيم، ج ١، ص ٧٩.

(٥) الشيخ مصطفي الحصن المنصوري، م ٤، ص ٢٠١.

وبعد أن خلق الله آدم من طين نفخ فيه من روحه، وأسجد الملائكة له سجود تكريم وتفضيل وليس سجود عبادة، حيث قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٨-٢٩].

وقال أيضاً: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ * قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴾ [ص:٧١-٧٥].

تبين من هذه الآيات أن الله خلق آدم بيده، ونفخ فيه من روحه وأسجد له الملائكة سجود تكريم وتفضيل لا سجود عبادة، وفي الحديث عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **(احتجَّ آدم وموسى عليهما السلام عند ربهما، فحجَّ آدم موسى، قال موسى أنت آدم الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد لك ملائكته، وأسكنك في جنته ...)** [(١)].

بعد الحديث عن أطوار خلق آدم **يرى الباحث** أن خلاصة أطوار خلق آدم، يمكن إجمالها فيما يلي:

إن بداية خلقه كانت من تراب متفرق الأجزاء، إلى أن ابتل بالماء فصار طيناً، ثم ترك حتي أنتن واسود فصار حمأً مسنوناً: أي طيناً أسودَ له رائحة كريهة من طول مُكثه إلى أن نفخ الله فيه من روحه ليصبح بشراً متكاملاً.

ب- طور خلق حواء:

الطور الثاني من أطوار النَّفس البشرية، خلق حواء من نفس آدم ﷺ، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرُّوم:٢١].

أي من آياته الدالة على قدرته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً بخلق حواء من ضلع آدم، وسائر الناس من نطف الرجال والنساء، وذلك لتسكنوا إليها وتألفوها، وجعل بينكم مودة ورحمة، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون في صنع الله وخلقه [(٢)].

ورد في الحديث عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(استوصوا بالنساء خيراً، فإن المرأة خلقت من ضلعٍ، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم**

---

(١) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب ما جاء في حجاج آدم وموسى عليهما السلام، ، ص ١٠٢٢، ١٠٢٣، حديث رقم (٢٦٥٢).

(٢) تفسير الجلالين، ص ٥٣٦ بتصرف.

يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء) [1].

فالحديث يشير ويدلل على أن حواء خلقت من ضلع آدم، وقيل: أنها خلقت من ضلع آدم الأيسر، وقيل: من ضلعه القصير [2].

ففي الآية إشارة إلى أن حواء خلقت من ضلع آدم ليسكن كل منهما إلى الآخر.

قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ...** ﴾ [النساء:١].

في الآية بيان أن الناس جميعاً خلقوا من نفس واحدة من آدم عليه السلام وخلق لآدم زوج له من نفسه من ضلع من أضلاعه، وخلق ونشر من آدم وحواء رجالاً كثيراً ونساءً [3].

قال تعالى: ﴿ **وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ...** ﴾ [النحل:٧٢].

في الآية وما يماثلها من الآيات دليلٌ على أن الزوجة خلقت من ذات الزوج ونفسه، وأنها أصل الوجود الإنساني، وأن عمران الأرض قد ابتدأ بالأسرة ومنها تتوالد الأسر.

فقال سبحانه: ﴿ **وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً** ﴾ والحفدة تشمل أولاد الأبناء وأولاد البنات، فكما أن الله أنعم عليهم بنعمة الوجود ونعمة التوالد أكرمهم بالرزق الطيب الحلال [4].

لقد وضع الله في الإنسان الغريزة القوية الدافعة فجعل في الرجل شوقاً وحنيناً إلى المرأة، وجعل في المرأة رغبة وتطلع إلى الرجل، وعزز فيهم حب الأبناء، وتحمل المشاق في سبيل تنشئتهم، وتربيتهم، وذلك للحفاظ على الجنس الإنساني.

ج- طور خلق أبناء آدم وحواء:

لقد خلق الله آدم عليه السلام وخلق من ضلعه زوجته حواء، ليأخذ خلق الإنسان منحىً آخر قد يختلف بعض الشيء عن خلق آدم، لكن أساس الخلق هو الطين ، قال تعالى: ﴿ **الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ * ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ** ﴾ [السجدة: ٧-٩].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم وذريته، ص ٦٩٤، حديث رقم (٣٣٣١).

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، م٦، ص ٤٢٤.

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، م ٣، ص ٢١١٣-٢١١٥ بتصرف واختصار.

(٤) زهرة التفاسير، للإمام محمد أبو زهرة، م ٨، ص ٤٢٢٠، ٤٢٢١.

تبين هذه الآيات وبصورة مجملة أطوار خلق نسل آدم وحواء، والصورة التي يتم بها هذا الخلق: هي اجتماع ماء الرجل وماء المرأة إلى أن أكمل تسويته ونفخ فيه من روحه وجعل لهذا النسل السمع، والأبصار، والأفئدة، قال تعالى: ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴾ [الطارق: ٥-٧].

أشار البقاعي أن في الآية أمراً للإنسان بالنظر ليُعلم بأمر مبدئه، وأمر معاده فإن من قدر على الابتداء قدر على الإعادة قطعاً فالله خلق الإنسان على أيسر وجه وأسهله بعد خلق أبيه آدم عليه السلام من تراب وزوجه حواء عليها السلام من ضلعه، ثم بعد ذلك خلق النسل من ماء دافق يتدفق من ماء الرجل وماء المرأة، ولم يقل الله ماءين إشارة إلى أنهما يجتمعان في الرحم، ويمتزجان أشد امتزاج بحيث يصيران ماءً واحداً [(١)].

وهذه الآية تبين حقيقتَها آية أخرى وهي:

* قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾ [الفرقان:٥٤].

أورد الشوكاني في بيان معنى الماء أقوالاً:

الرأي الأول: المراد بالماء ماء النطفة، أي خلق من ماء النطفة إنساناً وجعله نسباً وصهراً.

الراي الثاني: المراد بالماء الماء المطلق الذي في قوله تعالى: ﴿ ... وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُون ﴾ [الأنبياء:٣٠] [(٢)].

وأياً ما كان فإن الماء المطلق هو أصل الخلق فلا يوجد إنسان بلا ماء ولا يوجد كائن حي كذلك بلا ماء؛ لأن الماء هو مكون أساسي من مكونات الكائنات الحية، ومنه جعلنا كل شيء حي.

* قال تعالى: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ ... ﴾ [الإنسان:٢].

النطفة الأمشاج بمعنى أخلاط، والمراد بها مجموع ماء الرجل والمرأة، وكل من الماءين يختلف عن الآخر في الرائحة والقوام والخواص [(٣)].

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، الإمام برهان الدين البقاعي، ج ٨، ص ٣٨٨، ٣٨٩ بتصرف.

(٢) فتح القدير، ج٤، ص ١١٠.

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، الإمام ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، م ٢، ص ٥٥١، والجواهر الحسان في تفسير القرآن، الإمام عبد الرحمن الثعالبي، ج ٣، ص ٤١٩.

وما هذا الاختلاف في الرائحة والقوام والخواص إلا لأن كلاً من الماءين يختلف عن الآخر في التركيب، والمهام، والوظائف.

الأطوار التي تمر بها نطفة الرجل والمرأة:

عند التقاء كلٍّ من ماء الرجل وماء المرأة وامتزاجهما أشد امتزاج يصبحا جسماً واحداً في رحم المرأة، يحمل صفات وخصائص مشتركة من الطرفين، ماراً بأطوار عديدة.

* قال تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح:١٤].

* قال تعالى: ﴿... يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ...﴾ [الزُّمر:٦].

* قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا العَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا العِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آَخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٢-١٤].

في هذه الآيات يخبر الله تعالى عن ابتداء خلق الإنسان من سلاله من طين وهو آدم عليه السلام خلقه من صلصال من حمأٍ مسنون، ويبين تقلبه في أطوار تسعة للخلق، وهي:

١- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ والمراد به آدم أو جنس الإنسان لأن آدم أول الأفراد.

٢- ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ أي جعلنا نسله أو جنس الإنسان نطفة من مني في أصلاب الذكور، ثم قُذفت إلى أرحام الإناث، فصار في حرز مستقر متمكن حصين ابتداء من الحمل إلى الولادة، قال تعالى: ﴿... وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾ [السجدة: ٧-٨]، أي من ماء ضعيف كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ * فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ * فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ [المرسلات: ٢٠-٢٣].

٣- ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ أي حولنا النطفة عن صفاتها إلى صفة العلقة: وهي الدم الجامد، أو صيرنا النطفة وهي الماء الدافق الذي يخرج من صلب الرجل، وهو ظهره، وترائب المرأة، وهي عظام صدرها، وهي ما بين الترقوة إلى الصرة صيرناها علقة حمراء على شكل العلقة المستطيلة.

٤- ﴿فَخَلَقْنَا العَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ أي صيرنا الدم الجامد مضغة، أي قطعة لحم بمقدار ما يمضغ وهي كمضغة لحم لا شكل فيها ولا تخطيط، وسمي التحويل علقه لأنه سبحانه يغير بعض الصفات ويخلق صفات أخرى كأنه يخلق فيها أجزاء زائدة.

٥- ﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا ﴾ أي صيرناها عظاماً بمعنى شكلناها ذات رأس ويدين ورجلين بعظامها وعصبها وعروقها.

٦- ﴿فَكَسَوْنَا العِظَامَ لَحْمًا ﴾ أي غطينا العظام بما يستره، ويشده، ويقويه، وهو اللحم لأن اللحم يستر العظم فجعلها كالكسوة لها.

٧- ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آَخَرَ ﴾ أي خلقاً مبايناً للخلق الأول، بأن نفخنا فيه الروح فتحرك، وصار خلقاً آخر، ذا سمع، وبصر، وادراك، وحركة واضطراب، فتبارك الله أحسن الخالقين، أي تعالى شأنه في قدرته، وحكمته، وتنزه وتقدس الله أحسن المقدرين المصورين.

٨- ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾ أي إنكم بعد هذه النشأة الأولي من العدم تصيرون إلى الموت.

٩- ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ أي ثم تبعثون من قبوركم من نشأه الآخرة للحساب والجزاء ثواباً وعقاباً كما قال تعالى: ﴿... ثُمَّ اللهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الآَخِرَةَ ...﴾ [العنكبوت:٢٠] : أي يوم المعاد [١].

هذه الأطوار التي يمر بها خلق الإنسان نتيجة التقاء ماء الرجل بالأنثى حتى يصبح خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين، فجاءت الفاصلة القرآنية؛ لتتناسب مع سياق الآيات، لتشير وتؤكد أن الله تعالى اسمه، وعظمت قدرته، وعز شأنه، لا يماثله أحد في ذاته، ولا في صفاته.

ثانياً: أنها تنبت من الأرض وفيه جانبان:

جانب المأكل وجانب المشرب:

لقد تحدث القرآن الكريم عن النَّفس الإنسانية، وبين طريقة نموها مشبهاً هذه النَّفس بالنبات الذي ينبت من الأرض آخذاً غذائه منها، فالأرض مصدر نمو هذا النبات، والإنسان يأخذ غذاءه من الكائنات التي تنبت من الأرض فهي مسخرة لخدمته وتقديم ما يحتاج إليه، قال تعالى: ﴿وَاللهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [نوح:١٧].

بين الطنطاوي في تفسيره لهذه الآية أن المراد بأنبتكم: أنشأكم، وأوجدكم، واستعير الإنبات للإنشاء للمشابهة بين إنبات النبات وإنشاء الإنسان، من حيث إن كليهما تكوين وإيجاد للشيء بقدرته تعالى.

والتعبير بالإنبات يشعر بالمشابهة بين الإنسان، والنبات يحصد، ثم يعود إلى الحياة مرة أخرى فهكذا الإنسان [٢].

---

(١) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ج ١٨، ص ١٨-٢٠ بتصرف.

(٢) انظر: التفسير الوسيط للقرآن، د. محمد السيد طنطاوي، ج ٢٩، ص ١٦٨، ١٦٩ بتصرف.

* قال تعالى في شأن مريم: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ...﴾ [آل عمران:٣٧].

أشار أبو زهرة في بيان معنى هذه الآية: أن فيها تقبل دعوة أم مريم، ويُستدل على هذا القبول بأن أنشأها برعايته، ومحبته، وحصّنها، وكان حالها كالنبات ينبته رب العالمين، فينمو يوماً بعد يوم حتي يستوي على سوقه فالإنبات الحسن في الآية يدل على جانبين:

* التغذية الروحية التهذيبية حيث نشأت في بيت العبادة.

* والتغذية الجسدية بالرزق المستمر الذي كان ينزل عليها، قال تعالى: ﴿ ... كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ ...﴾ [آل عمران:٣٧] (١).

ورد في الحديث عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: **(ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخاً من الشيطان إياه إلا مريم وابنها)** (٢).

يوجد في هذا الحديث دلالة على حفظ الله لمريم من الشيطان الرجيم مما يدلل على حقيقة هذا الإنبات بالرعاية، والحفظ الإلهي من خلال الحديث عن مريم، وتغذيتها الجسدية، كذا سائر الخلق من خصائصهم أنهم ينبتون من الأرض مما تخرج من الرزق والثمرات، قال تعالى في شأن بني إسرائيل: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ...﴾ [البقرة:٦١].

في الآية: إشارة إلى طلب الطعام من قبل بني إسرائيل بما يمثل الطعام للجسد من أهمية وذلك؛ لأن من خصائص الإنسان المأكل، لذا طلب بنو إسرائيل من موسى أن يدعو ربه ليخرج لهم مما تنبت الأرض من "بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها" .

اتفق أهل التأويل في معنى البقل والقثاء والعدس والبصل، واختلفوا في الفوم ما هو؟ فقال أهل التأويل: البقل هو أطايب النباتات، الرطب مما يطعمه الإنسان من الخضار الذي لا ساق له، والقثاء فهو ثمرة معروفة تسمى القتَّة، أما العدس فهو نوع من الحبوب، والبصل كذلك نبات يعرفه الناس، أما الفوم فللعلماء عدة آراء في بيان مفهوم الفوم منها :

* الحنطة والخبز .

* الخبز .

---

(١) زهرة التفاسير، م ٣، ص ١٢٠٠ بتصرف.

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم، ص ٩٣٩، حديث رقم (٤٥٤٨).

* الخبز الذي تخبزه الناس .

* الحنطة بلسان بني هاشم .

* الثوم، اعتماداً على قراءة ابن مسعود "ثومها" .

* الحمص، وهو لغة شامية .

* الحبوب التي تؤكل كلها فوم [(١)].

وكما سبق الحديث فإن الإنسان أصله من الأرض، لذا فالنبات يستخلِصُ له ما يلزمه من الأرض ليبني جسمه ويتقوى على سبل الحياة، وعند الحديث عن الإنبات لا يفوتنا الحديث عن الماء الذي هو أصل كل حي، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ المَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلاَ تُؤْمِنُون﴾ [الأنبياء:٣٠].

لذا يدور حديثنا عن الإنبات في إطار المأكل والمشرب كما يلي :

١- المأكل:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلًا طَيِّبًا ...﴾ [البقرة:١٦٨]، في الآية نداء للناس بإباحة أكل الحلال، والحلال هو ما أحله الشرع طيباً أو هو ما يستطاب ويستلذ ، والمسلم يستطيب الحلال، ويخاف الحرام [(٢)].

لا بد أن نعلم أننا مأمورون بالأكل لأجل الحفاظ على حياتنا، والتقوّي على القيام على أمر هذا الدين، ولكن الأكل مباح فيما حل وطاب، وطالبنا الله بعدم الإسراف، قال تعالى: ﴿... وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ...﴾ [الأعراف:٣١]، وقال تعالى في شأن آدم وحواء عليهما السلام بعد خلقهما: ﴿وَيَا آَدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف:١٩]، في الآية بيان بإسكان آدم وحواء عليهما السلام الجنَّة مع الإباحة أن يأكلا من جميع ثمارها إلا شجرة واحدة [(٣)].

في الآية إشارة إلى حاجة الإنسان إلى الطعام وإلا ما الفائدة من إشارة الله لهذا الجانب.

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، م ١، ص ٤٣٤ – ٤٣٦، وتفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ١٠٥، وتفسير المراغي، للشيخ أحمد مصطفى المراغي، م ١، ص ١٣٠، وفتح الرحمن في تفسير القرآن، للشيخ عبد المنعم أحمد تغيلب، م ١، ص ٨٩ بتصرف.

(٢) معالم التنزيل في التفسير والتأويل، الإمام أبي محمد الحسين بن مسعود الفَرَّاء البغوي الشافعي، ج ١، ص ٩٦ بتصرف.

(٣) الأساس في التفسير، الشيخ سعيد حوى، م ٤، ص ١٨٥٨ بتصرف.

* قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرّسل كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون:٥١].

بين الخطيب الشربيني أن هذا الخطاب ليس خاص بالرّسل، بل هو خطاب للمؤمنين فكما أن الله قال للمرسلين : ﴿يَا أَيُّهَا الرّسل كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ قال للمؤمنين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لله إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة:١٧٢]، ودل ﷻ على أن الحلال عون على الطاعة بقوله: (واعملوا صالحاً)، والطيب ما تستلذه النَّفس من المأكل والمشرب والفواكه(١).

وقد ذكر القرآن الكريم مجموعة من الآيات التي تدلل على أهمية المأكل للإنسان منها:

* قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك:١٥].

* قال تعالى: ﴿وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [النحل:٥].

* قال تعالى: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرّسول يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ ...﴾ [الفرقان:٧].

ب- المشرب:

حاجة الإنسان إلى الشراب كحاجته إلى الطعام، لأجل ذلك بين الله حاجة الإنسان للشراب في العديد من الآيات:

* قال تعالى: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ ...﴾ [البقرة:٦٠].

قال صاحب الظلال: "لقد طلب موسى لقومه السُّقيا، طلبها من ربه فاستجاب له، وأمره أن يضرب حجراً معيناً بعصاه فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً بعدد أسباط بني إسرائيل" (٢).

أما المراغي في تفسيره لهذه الآية: يبين أن بني إسرائيل حين التيه، قالوا لموسى ﵇: ما لنا بحر الشمس فظلل عليهم الغمام، وقالوا: ما لنا بالطعام ؟ فأنزل الله عليهم المن والسلوى، قالوا: ما لنا بالماء؟ فأمر موسى ﵇ بضرب الحجر، قال تعالى: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾، أي طلب السُّقيا من الله بأن يغنيه بماء يكفي في هذه الصحراء المحرقة (٣).

وما طلب السُّقيا من الله إلا للحاجة، خصوصاً في الصحراء حيث يندر الماء.

وهناك العديد من المواضع في القرآن تبين حاجة الإنسان للماء منها:

---

(١) تفسير القرآن الكريم، ج ٢، ص ٥٨٢.

(٢) في ظلال القرآن، لسيد قطب ، م ١، ص ٧٣.

(٣) تفسير المراغي، ج ١، ص ١٢٥، ١٢٦.

* قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾ [الواقعة:٦٨]، ولما زحف بنو إسرائيل لدخول الأرض المقدسة أراد الله أن يختبرهم فقال تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آَمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة:٢٤٩]، وما فعلهم هذا بالشرب ؛ إلا لعدم صبرهم على حاجتهم للماء.

وفي موضع آخر يشير الله لحاجة الإنسان للماء، قال تعالى: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ...﴾ [ص:٤٢]، وقال تعالى في موضع آخر: ﴿... فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ [البقرة:٢٥٩].

ج- الآيات التي تتحدث عن المأكل والمشرب معاً:

هناك آيات في كتاب الله تحدثت عن المأكل، وآيات أخرى تحدثت عن المشرب، وآيات جمعت بين المأكل والمشرب باعتبارهما من خصوصيات النَّفس البشرية، وضرورة من ضروريات الحياة ، قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آَدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف:٣١] ، قال القرطبي: "في الآية خطاب لجميع العالم، وان كان المقصود بها من كان يطوف من العرب بالبيت عرياناً فإنه عام في كل مسجد للصلاة، لأن العبرة للعموم لا للسبب"(١).

قال ابن عباس: أحل الله في هذه الآية الأكل والشراب ما لم يكن شرهاً أو مخيلة، فأما ما تدعوا الحاجة إليه، وهو ما سد الجَوَعة، وسكَّن الظماء فمندوب إليه عقلاً وشرعاً لما فيه من حفظ النَّفس وحراسة الحواس (٢).

إذا كانت الآية تبين الإباحة للمأكل والمشرب وعدم الإسراف، لا بد أن نعلم أن الأكل والشراب بشكل عام مأمور به الإنسان؛ وذلك للحفاظ على النَّفس الإنسانية، والقدرة على العبادة، وهناك العديد من الآيات التي تتحدث عن المأكل والمشرب كونهما من خصوصيات النَّفس وضروريات الحياة منها:

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، الإمام عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ج ٧، ص ١٦٥.

(٢) المرجع السابق، ج ٧، ص ١٦٨.

* قال تعالى في شأن مريم عليها السلام: ﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ...﴾ [مريم:٢٦]، وفي موضع آخر قال تعالى: ﴿... كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللهِ ...﴾ [البقرة:٦٠].

ولقد استهجن قوم هود عليه السلام أن يكون رسولهم بشراً يأكل مما يأكلون، ويشرب مما يشربون، فقال تعالى في شأنهم: ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ * وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ [المؤمنون:٣٢-٣٣].

فهذه الآيات تدلل على حاجة الإنسان للطعام والشراب وأنهما من خصوصيات النَّفس الإنسانية في هذه الحياة.

ثالثاً: التكاثر:

الإنسان خليفة الله في الأرض، ومن مقاصد منهج الله لعباده حفظ النوع البشري، ولا يتم ذلك إلا من خلال التكاثر، قال تعالى: ﴿وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ [النحل:٧٢].

بين البقاعي في تفسيره لهذه الآية أن الله الذي له تمام القدرة، وكمال العلم (جعل لكم) ولما كان الأزواج من الجنس قال: (من أنفسكم)؛ لأن الشيء آلف لنوعه، وأقرب إلى جنسه (أزواجاً) تتوالدون بها، وتسكنون إليها حفاظاً على نوعكم، وكذلك جعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة من البنات والبنين وأولادهم والأصهار والأختان [(١)].

إن الهدف من التزاوج، هو التكاثر وحفظ النوع لأجل ذلك كان من خصائص هذه النَّفس التكاثر، ولولا التكاثر من خلال التزاوج لانقرض الإنسان، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

يخوف الله الناس طالباً منهم خشيته فهو الذي خلقهم من نفس واحدة، من آدم، وخلق منها زوجها من نفس آدم من ضلعه حواء، وإنما سميت حواء لأنها خلقت من حي، وهو آدم، وخلق من آدم وحواء رجالاً كثيراً ونساءً، ثم يؤكد الله مرة أخرى على تقواه، فهو صاحب كل أمر وحاجة أنتم محتاجون إليها وسائلوها إياه، واتقوا الأرحام بأن لا تقطعوها إن الله حفيظٌ لأعمالكم رقيبٌ عليها[(٢)].

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج ٤، ص ٢٩١.

(٢) تفسير مقاتل ابن سليمان، الإمام أبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي، ج ١، ص ٢١٣ بتصرف.

* قال تعالي: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يس:٣٦].

ينزه الله ذاته ويقدسها عما لا يليق به، فسبحانه الذي خلق الأزواج كلها، أو كل المخلوقات أزواج، من ذكر وأنثى على سائر اختلافهما، من الناس والنباتات، وكذلك ما هو غائب عنا في السماوات والأرض، كذلك أزواج، والأزواج جمع زوج، ويطلق على كل من الذكر والأنثى، وعلى الأصناف المختلفة [(١)].

والتزاوج يترتب عليه التكاثر وحفظ النوع.

* قال تعالى: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ المَقَابِرَ﴾ [التَّكاثر: ١-٢].

شغلكم (اللهو): الانصراف إلى ما يدعوا إليه الهوى، و(التكاثر): التفاخر بالأموال والأولاد والرجال.

أي: شغلكم التفاخر، والتباهي، والأولاد، والأعوان، والاعتناء بكثرتها، وتحصيلها، أي شغلكم عن طاعة الله، والعمل للآخرة حتى أدرككم الموت وأنتم علي تلك الحال [(٢)].

* قال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآَخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الغُرُورِ﴾ [الحديد:٢٠].

اعلموا أيها الناس جميعاً أن الحياة الدنيا مجرد لعب لا جد، ولهو يُتلهى به، ثم يذهب، وزينة يتزين بها مؤقتاً، ومفخرة يفتخر بها بعضكم على بعض بكثرة الأموال، وعدد الأولاد [(٣)].

وهناك العديد من الآيات التي تتحدث عن التزاوج والزوجية، والتي تعني تكاثر الجنس البشري على هذه الأرض منها:

* قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات:١٣].

* قال تعالى: ﴿وَاللهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ...﴾ [فاطر:١١].

---

(١) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر جابر الجزائري، ج ٤، ص ٣٧٥، ٣٧٦ بإيجاز.

(٢) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ج ٢٩، ص ٢٨٣، ٢٨٤.

(٣) التفسير المنير ...، المرجع السابق، ج ٢٩، ص ٣٢٠.

* قال تعالى: ﴿ وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الرُّوم:٢١] .

رابعاً: أن لها مشيئة:

لقد منح الله الإنسان إرادة حرة يستطيع أن يفعل بها ما يريد خيراً كان أم شراً .

والمشيئة لغة: الإرادة [١].

المشيئة في الاصطلاح: إيجاد الشيء وإصابته، فمن الله الإيجاد، ومن الناس الإصابة" [٢]، والابتلاء سنة من سنن الله في الكون، يُبتلى به الفرد والمجتمع، قال تعالى: ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ... ﴾ [الكهف:٢٩].

ورد في تفسير المحرر الوجيز لهذه الآية أن سبب نزول هذه الآية أن الله طلب من محمد ﷺ أن يقول لعظماء الكفار بعد أن طلبوا من النبي ﷺ أن يبعد عنه، وعن مجالسه فقراء المسلمين، كعمار، وصهيب، وسلمان، وابن مسعود، وغيرهم، حتي يصاحبوا مجلس النبي ﷺ بأن يقول النبي لهم: إن هذا القرآن حق من الله وإن الإعراض عنكم، وترك طاعتكم أيها الكفار، وصبر النَّفس مع المؤمنين، والتزامهم ومصاحبتهم، فذلك هو الحق فليختر كل امريء لنفسه ما يشاء إما الايمان، وإما الكفر [٣].

* قال تعالى: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ * لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴾ [التَّكوير: ٢٧-٢٨].

يقول ابن عاشور في تفسيره لهذه الآية: "والذكر اسم يجمع معاني الدعاء والوعظ بحسن الأعمال والزجر عن الباطل، وعن الضلال: أي ما القرآن إلا تذكير لجميع الناس ينتفعون به في صلاح اعتقادهم، وطاعة الله ربهم، وتهذيب أخلاقهم، وآداب بعضهم مع بعض، والمحافظة على حقوقهم، ودوام انتظام جماعتهم، وكيف يعاملون غيرهم من الأمم الذين لم يتبعوهم" [٤]. بمعنى الذين لم يتبعوا محمد ﷺ بما جاء به من الذكر.

ثم يتابع ابن عاشور مبيناً أن لفظ العالمين يعم البشر؛ لأنهم مدعوون للاهتداء به، ومستفيدون مما جاء فيه، ثم يدلل ابن عاشور على أن الذين تذكروا بالقرآن هم المسلمون؛ لأنهم

---

(١) المنجد في اللغة والإعلام، ص ٧٦٤ .

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ج ١٣، ص ٤٥٧.

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للإمام أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، ج٣، ص ٥١٢، ٥١٣.

(٤) التحرير والتنوير، الإمام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، ج ٣٠، ص ١٦٥.

شاءوا الاستقامة؛ لأنفسهم فنصحوا أنفسهم، وهو ثناء عليهم وأن الكفار حال بينهم، وبين التذكر بالقرآن أنهم لم يشاؤوا أن يستقيموا، بل رضوا لأنفسهم بالاعوجاج: أي سوء العمل، والاعتقاد، وذلك لأنهم أبوا أن يهتدوا به، ثم يقول: "والاستقامة مستعارة لصلاح العمل الباطني، وهو الاعتقاد، والظاهري هو الأفعال والأقوال تشبيهاً للعمل بخط مستقيم، تشبيه معقول بمحسوس" (١).

وهذه الآية صريحة في إثبات المشيئة للإنسان العاقل في ما يأتي ويدع، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ [الإنسان:٢٩].

يقول ابن زمنين في تفسير: (إن هذه تذكرة)، أي هذه السورة، فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً بطاعته" (٢).

وهذه الآية أيضاً تشير وتدلل على أن الإنسان له مشيئة يختار ما يشاء، إما طاعه الله، وإما الحياد، والبعد عن نهج الله تبارك وتعالى.

وبين ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان:٣]، أي بيناه، ووضحناه، وبصرناه، ثم أشار أنه كقوله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد:١٠]، أي بينا له طريق الخير، وطريق الشر، ﴿إِمَّا شَاكِرًا﴾، بمعنى إما سعيد باختياره طريق الخير، وإما شقي باختياره طريق الشر (٣).

في الآيتين إشارة إلى أن الإنسان له مشيئة حرة يختار بها ما يشاء، وهناك العديد من الآيات التي تتحدث عن أن للإنسان مشيئة حرة مختارة منها:

* قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا ...﴾ [البقرة:٥٨].

* قال تعالى: ﴿... ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فصّلت:٤٠].

* وقال أيضاً: ﴿فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ...﴾ [الزُّمر:١٥].

* وقال أيضاً: ﴿... لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الكهف:٧٧].

خامساً: أن لها قوة:

لقد خلق الله الإنسان، وأعطاه القوة يتقوّى بها على عبادته، وعمارة الكون، والقيام على أعباء هذه الحياة، وتتفاوت هذه القوة من إنسان إلى آخر، لذا لا بد من تعريف القوة لغة واصطلاحاً.

---

(١) التحرير والتنوير، ج ٣٠ ، ص ١٦٦ .

(٢) تفسير ابن أبي زمنين، الإمام عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن أبي زمنين المرّي، ج ٢، ص ٤٨٣ .

(٣) تفسير القرآن العظيم، م ٤، ص ٤٨٣.

أ- القوة لغة:

قال ابن فارس: "القوة والقوى خلاف الضعيف، وأصل ذلك من القوى وهي جمع قوة من قوى الحبل" (١).

وبتتبع كتب اللغة في بيان معنى القوة، تبين أنها تستعمل في معانٍ عديدة، فقد تأتي بمعنى الشِّدة، والقدرة، والعزيمة، والجدية، وتأتي بمعنى التهيؤ لوجود الشيء، وتستعمل كذلك في القدرة الإلهية (٢).

بالنظر إلى هذه المعاني نجد أنها تدور حول: الجد، والنشاط، والعزيمة، وشدة الأجسام ومتانتها، وتأييد الله.

ب- القوة اصطلاحاً:

أما الجرجاني فقال: هي أمر يمكِّن الكائن من القيام بالأفعال (٣).

عرفها الطاهر بن عاشور بأنها: كمال صلابة الأعضاء لأداء الأعمال التي تراد منها (٤).

* قال تعالى: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ** ...﴾ [الأنفال:٦٠].

في الآية خطاب للمؤمنين بإعداد ما استطاعوا من قوة، وكذلك ما يتحصل بها من تكامل لهذه القوة، وإضافة رباط الخيل، وهو اسم للخيل التي تربط لتجعل في سبيل الله، وعطفها علي القوة من قبيل عطف الخاص على العام؛ لبيان فضلها، وما فيها من مزيه وشرف؛ وذلك لكي يرهب المؤمنون الكافرين (٥).

عن عقبة بن عامر قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول: **(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي ألا ان القوة الرمي)** (٦).

في الحديث دلالة على أن القوة الرمي؛ وذلك لما يترتب على الرمي من حفظ لسلامة الرامي من خلال تحصين نفسه بتعلم الرمي الذي يمنحه القوة والشدة.

---

(١) انظر: معجم المقاييس في اللغة، ص ٨٦٦.

(٢) انظر: لسان العرب، م ١٢، ص ٢٢٩، ومفردات ألفاظ القرآن، للعلامة الراغب الأصفهاني، ص ٦٩٣، ٦٩٤.

(٣) التعريفات، ص ٣٣١.

(٤) التحرير والتنوير، م ١٠، ص ٤٤.

(٥) حاشية القونوي، ج ٩، ص ١١٨، ١١٩ بإيجاز.

(٦) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الرمي والحث عليه وذم من علم ثم نسيه، ص ٧٦٣، حديث رقم (١٩١٧).

* قال تعالى: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ القَوِيُّ الأَمِينُ﴾ [القصص:٢٦].

حينما فر موسى عليه السلام من فرعون في طريقه وجد امرأتان تذودان غنمهما عن الماء خوفاً من السقاة الأقوياء، وكراهية المزاحمة على الماء وعدم اختلاط غنمهما بأغنام السقاة فلما جاء موسى ورآهما على هذه الحالة، وعرف قصتهما، وسقى لهما، بعد رجوعهما إلى البيت، قصتا القصة على أبيهما الكبير، فأراد أبوهما أن يكافئ موسي عليه السلام، فبعث إحداهما إليه للمجيء لأبيها، فلما جاءه وقص عليه القصص أمَّنه هذا الرجل، وقالت إحداهما لأبيها: يا أبت استأجره لرعي الغنم وسقيها إن خير من استأجرت القوي الأمين، وذلك لما رأتا منه من قوة أثناء السُّقيا، وما صدر منه من أدب وخلق وأمانة [(١)].

* قال تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ [هود:٥٢].

في الآية السابقة نداء من هود إلى قومه أن يستغفروا الله طالبين مغفرته لما سلف، وصدر من الذنوب، وطالبهم بالتوسل إليه بالتوبة، والرغبة فيما عنده تبارك وتعالى، يرسل المطر الكثير النافع، ويزدكم قوة مضاعفة إلى قوتكم، أي يضاعفها لكم [(٢)].

وهناك العديد من الآيات التي تتحدث عن القوة منها:

* قال تعالى: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم:١٢].

* قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ [محمد:١٣].

* قال تعالى: ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ...﴾ [الرُّوم:٥٤].

* قال تعالى: ﴿كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الأَرْضِ ...﴾ [غافر:٨٢].

سادساً: أن لها قدرة:

لقد اقتضت إرادة الله أن يجعل الإنسان في أحسن تقويم، وأن يعطيه الإرادة الحرة ليمتحن، وأن يمنحه مقداراً من القدرة يستعملها في تنفيذ ما يريد، والقدرة في حق الله مطلقة، وفي حق العبد

---

(١) البحر المحيط، للإمام محمد بن يوسف "أبو حيان الأندلسي"، م ٧، ص ١٠٨، ١٠٩ بتصرف.

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، الإمام محمد بن محمد بن مصطفى أبو السعود العمادي، ج ٣، ص٤٢.

قاصرة ومحدودة، وسبق بيان معنى القدرة لغة واصطلاحاً في حق الله [(1)] في معرض الحديث عن مفهوم القدرة الإلهية.

والقدرة لغة: في حق العبد الطاقة، والقوة على الشيء والتمكن منه، وهي في حق الله مطلقة، وإذا وصف غير الله بها فهي ناقصة؛ لأن العبد مكتسب للقدرة [(2)] .

والقدرة في حق العبد في الاصطلاح: عرفها العلامة أبو السعود: "هيئة بها يتمكن من الفعل والترك" [(3)].

أما الجرجاني فقال: هي الصفة التي تمكن الحي من الفعل وتركه بالإرادة [(4)].

ولقد تحدث القرآن الكريم في مواضع كثيرة عن جانب القدرة في حق الإنسان منها:

قال تعالى: ﴿**حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [يونس:٢٤].

قال القاسمي في تفسيره لقوله تعالى : ﴿**وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا**﴾، أي متمكنون من تحصيل حبوبها، وثمارها، وحصدها ﴿**أَتَاهَا أَمْرُنَا**﴾، أي عذابنا ﴿**لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا**﴾ كالمحصود من أصله ﴿**كَأَنْ لَمْ تَغْنَ**﴾، أي لم تنبت ﴿**بِالأَمْسِ**﴾، أي قبل ذلك الوقت، والأمس مثل في الوقت القريب ﴿**كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ**﴾، أي بالأمثلة تقريباً ﴿**لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾، أي في معانيها[(5)].

في الآية السابقة وغيرها من الآيات دليل على امتلاك الإنسان جزء من القدرة منحه الله إياها، قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ**

---

(١) انظر: ص ٣-٥ من الرسالة .

(٢) المعجم الوسيط، ج ٢، ص ٧١٨، ولسان العرب، م ١٢، ص ٣٧، ومفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، ص ٦٦٧، ٦٦٨ بتصرف واختصار .

(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ج ١، ص ٦٩.

(٤) التعريفات، ص ١٧٣.

(٥) محاسن التأويل، للإمام جمال الدين القاسمي، ج ٩، ص ٢٣.

عَظِيمٌ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٣-٣٤].

يبين هذا النص القرآني حقيقة الحكم الذي ألحقه النبي ﷺ نخص منه: الذي عليه الجمهور من العلماء أنها نزلت في العُرنيين، وهم جماعة من قبيلة عُرينة قدموا على رسول الله ﷺ، واجتبوا المرض: أي أصابهم المرض، فأمر لهم رسول الله ﷺ بلقاح، وأمرهم أن يشربوا من أبوال الإبل، وألبانها، فانطلقوا، فلما صَحُّوا، اختلوا براعي النبي ﷺ، واستاقوا الغنم، فبلغ النبي ﷺ خبرهم من أول النهار، فأرسل في آثارهم، فما ارتفع النهار حتي جيء بهم فأمر بهم، فقطعت أيديهم، وأرجلهم، وسمّر أعينهم، أي أحمي لهم مسامير الحديد، ثم كحلهم بها، وأُلقوا الحرّة، وهي أرض ذات حجارة سوداء يستسقون فلا يُسقون (١).

من سبب نزول الآية يتبين فهم الآيات أما الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم لتقيموا عليهم الحد، فإن الله غفور رحيم، فمغفرة الله مقرونة بالتوبة قبل المقدرة عليهم، وللعلماء مزيد بيان في هذا الشأن يضيق المقام لبيانه، فمن هذه الآيات يتبين أن للإنسان قدرة يستطيع من خلالها القيام بالأعمال التي يريدها، **وسيكتفي الباحث** هنا بإبراز بعض الآيات الأخرى التي تشير وتدلل على أن للإنسان قدرة، منها:

* قال تعالى في شأن المطلقة التي لم يدخل بها: ﴿... وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة:٢٣٦].

* قال تعالى في شأن أصحاب الجنَّة (البستان): ﴿وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ﴾ [القلم:٢٥].

* قال تعالى في شأن الإنسان: ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ [البلد:٥].

سابعاً: أنها مبتلاة بالخير والشر والهدى والضلال:

لقد خلق الله العقل للإنسان، وهو مناط التكليف، وبين الله للإنسان طريق الهدى والضلال ليبتليه بالخير والشر، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس: ٧-٨] فالإنسان في اختبار وامتحان دائم إلى انقضاء الحياة، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء:٣٥].

تظهر الآية الحقيقة التي من أجلها خُلق الإنسان؛ الذي نهايته أن يذوق مرارة الموت، وذلك أن الإنسان في هذه الحياة مبتلى بالبلايا، والنعم، ثم إن مآله إلى الله فيجازى الإنسان على الأعمال

---

(١) انظر: أسباب النزول، الإمام علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، ص ١٠٨، والجامع لأحكام القرآن، م ٣، ص ٥٠٩.

إن خيراً، أم شراً فهو وعد ووعيد [١].

وفي موضع آخر بين الله حقيقة الأمر الذي خَلَقَ من أجله الموت والحياة، قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ المَوْتَ وَالحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ العَزِيزُ الغَفُورُ﴾ [الملك:٢].

يُستدل من الآية أن هذا الإنسان الذي وهبه الله الحياة التي ستنتهي بموته، إنما هذه الحياة لهدف الابتلاء، والاختبار؛ ليتبين أي الناس أحسن عملاً، فيجازي الإنسان على ما عمل، فالله العزيز الغالب على ما يريده، الغفور العظيم المغفرة للتائبين [٢].

ولقد منح الله الإنسان السمع والبصر ليكون مؤهلاً للتكاليف، قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [الإنسان:٢].

في الآية دليل على أن الإنسان خُلق من أخلاط ماء المرأة وماء الرجل، ليختبره الله بالتكاليف، بالأمر والنهى، وذلك عند تأهله لذلك بالبلوغ، والعقل، لذا جعله الله سميعاً بصيراً، إذ بوجود السمع والبصر معاً، أو بأحدهما يتم التكليف، فإذا انعدما، فلا تكليف لعدم القدرة [٣].

من خلال هذه الآيات يتبين أن الله وهب الإنسان الحياة، وأعطى الإنسان عقلاً يميز به الخير من الشر، وجعله مناط التكليف، وذلك إذا بلغ الإنسان سن البلوغ والنضج، ليكون مُآخذاً بما يقول بعد ما يدرك ما يقول، وأعطاه سمعاً وبصراً بهما أو بأحدهما يتم التكليف ليكون حجة على الإنسان بعد البلوغ.

وقد بين الله في كتابه العزيز في كثير من الآيات صور وأشكال هذا الابتلاء، قال تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ [آل عمران:١٨٦].

يخبرنا الله أن الإنسان المؤمن ممتحن بما فيه ابتلاء في المال والنَّفس وأذى كثير من الناس من المشركين، ومن غيرهم من أهل الكتاب، ويبين الله أن العلاج من هذا الابتلاء والاختبار بأشكاله هو أن يصبر الإنسان المؤمن، ويتقى الله، فإذا صبر الإنسان المؤمن، واتقى الله فإن ذلك من عزم الأمور التي تقتضي الثبات، والقوة، والتجميع، والحشد لكل مواهبك تجاه هذا الابتلاء [٤].

---

(١) انظر: المقتطف من عيون التفاسير، م ٣، ص ٣٨٧.

(٢) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ج ٥، ص ٣٩ بتصرف.

(٣) المرجع السابق، أيسر التفاسير ...، ج ٥، ص ٤٨٢ ، ٤٨٣.

(٤) انظر : تفسير الشعراوي، للشيخ محمد متولي الشعراوي، م ٣، ص ١٩٣١.

بعدما تبين أن للابتلاء صوراً وأشكالاً **سيقتصر الباحث** على ذكر بعض صور، وأشكال هـذا الابتـلاء في شكل نقــاط، ثم ذكـر بعض الآيات التي يُستدل منها على هذه الصور والأشكال.

من صور الابتلاء:

١- ابتلاء الإنسان في كل ما يملك.

٢- الابتلاء بالنَّفس، بالمجاهدة، أو بإتلاف عضو، أو جزء منها.

٣- الابتلاء بالأبناء، بالصبر على تربيتهم، أو بفقد أحدهم، أو أي عضو منهم.

٤- الابتلاء بالأموال، بمنعها، أو إعطائها، أو بفقدها.

٥- الابتلاء بالخوف من الله، أو من عدو، أو من أي أمر يقتضي الخوف.

٦- الابتلاء بالجوع، وذلك بالفقر وحبس النعمة وقلتها.

٧- الابتلاء بنقص الثمرات، وذلك بقلتها، أو بفقدها وإتلافها.

٨- الابتلاء بإيذاء المشركين، والمنافقين، وأهل الكتاب.

٩- الابتلاء بالخير والشر، والهدى والضلال.

١٠- الابتلاء بالاستخلاف في الأرض فينظر الله ماذا يعملون.

١١- الابتلاء في الدين، وهذا أعظم بلاء على الإنسان، والعياذ بالله.

بعد ذكر هذه الصور والأشكال التي تتحدث عن الابتلاء، هذه بعض الآيات التي تدلل على ما ذكرناه:

* قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ [الأنعام:١٦٥].

* قال تعالى: ﴿... وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة:١٥٥].

* قال تعالى: ﴿... وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء:٣٥].

* قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد:٣١].

* قال تعالى: ﴿... عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:١٢٩] .

من الآيات السابقة يستدل على أن الإنسان مبتلى بالخير والشر، والهدى والضلال، والحق والباطل، وأن هناك صوراً وأشكالاً عديدة للابتلاء.

ثامناً: أنها مأمورة بالاستقامة على منهج الله والإخلاص له:

عند الحديث عن هذا الجانب لا بد أن نعلم أن الله حين خلق الخلق عرَّفهم بنفسه، وأنه ربُ الخلق جميعاً، المستحق للعبادة المتفرد في الكون.

* قال تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا ...**﴾ [الأعراف:١٧٢].

إذن الإيمان بالخالق فطرة في النَّفس البشرية، فطر الله الناس عليها، وأخذ عليهم الميثاق، وهم في عالم الذَر.

* قال تعالى: ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ [الرُّوم:٣٠] .

فالله سبحانه يأمرنا بإخلاص العبادة له، وعدم الإشراك به، وهذه الفطرة هي التي فطر الناس عليها ما لم تتأثر بمؤثرات تنحرف بالإنسان عن الجادة إلى طريق الضلال.

عن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء** [(١)] **هل تحسون فيها من جدعاء)** [(٢)]، ثم يقول أبو هريرة ﷺ: ﴿**فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا**﴾ [الرُّوم:٣٠] [(٣)] .

ولما كانت النَّفس مجبولة على الفطرة، ولكن مغريات الحياة بما فيها من استهواء الشياطين، وإضلالهم للإنسان، لأنه يجري مجرى الدم من العروق، فلم يترك الله الناس فريسة للشياطين، فأرسل لهم الرّسل، والأنبياء، وجاء الأمر على لسانهم بما أنزل بالاستقامة، واتباع سُبُل الهدى

---

(١) الجمعاء: أي سليمة من العيوب مجتمعة الأعضاء والأطراف. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ص ١٦٤.

(٢) الجدعاء: مقطوعة الأذن أو غيرها من الأعضاء. انظر: المرجع السابق، ص ١٤١.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم العبد فمات فهل يُصلى عليه، ص ٢٨٠، حديث رقم (١٣٥٨)، وصحيح مسلم، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، ص ١٠٢٤، حديث رقم (٢٦٥٨).

والرشاد.

* قال تعالى: ﴿ ... وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُون﴾ [التوبة:٣١] .

* وقال أيضاً: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البيِّنة:٥].

جاء في تفسير الجلالين في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا﴾ أي ما أمروا في التوراة، والإنجيل إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا اله إلا هو [١].

في الآية إشارة، ودليل على أن كل الأنبياء، والرّسل، والرسالات جاءت لتوحيد الله، وعدم الإشراك به.

* قال تعالى: ﴿ ... قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ العَالَمِينَ﴾ [الأنعام:٧١].

يبين صاحب الظلال أن الإنسان محتاج إلى هدى الله في كل ما يختص بكينونته وحياته، من عقيدة وخُلق، وقيم، وأنظمة، وشرائع، وقوانين تحكم هذه الكينونة، وتنظم لها واقع الحياة، ثم يتابع الحديث، ليقرر أن هدى الله هو الهدى الذي يصلح به أمر الإنسان في الدنيا والآخرة، لذا فنحن مأمورون أن نسلم لرب العالمين، فالعوالم كلها مستسلمة له فما الذي يجعل الإنسان وحده من بين العالمين يشذ عن الاستسلام لهذه الربوبية الشاملة التي تستسلم لها العوالم في السماوات والأراضين [٢].

وهناك العديد من الآيات التي تدلل على أن الإنسان مأمور باتباع منهاج الله في هذه الأرض.

* قال تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ ...﴾ [هود:١١٢].

* قال تعالى: ﴿وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [الشُّورى:١٥].

* قال تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرّسول وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء:٥٩].

* قال تعالى: ﴿ ... إِنِ الحُكْمُ إِلَّا للهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف:٤٠] .

نستنتج من خلال هذه الآيات أن الإنسان مأمور باتباع الهدى، والاستقامة على نهج الله، واتباع الحق.

---

(١) تفسير الجلالين، ص ٢٥٢.

(٢) في ظلال القرآن، م ٢، ص ١١٣٢، ١١٣٣ بتصرف واختصار.

تاسعاً: الحياة:

لقد خلق الله الإنسان، وأعطاه صفة تدل على وجوده وكينونته، وهي الحياة.

فالحياة لغةً: نقيض الممات، والحي نقيض الميت [1].

والحياة اصطلاحاً: عرفها الإمام الألوسي: "هي صفة وجودية" [2].

* قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا * إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: ١-٢].

تدعونا هذه الآية إلى التأمل، والتدبر، والتفكر في حقيقة ذات الإنسان قبل أن يُخلق، وتنفخ فيه الروح، ماذا كان، ثم بعد أن لم يكن شيئاً كيف صار، ثم تبين هذه الآيات ضعف الإنسان، وحقارة المكان الذي يخرج منه، فقد خُلق هذا الإنسان من نطفة أمشاج "أي أخلاط ماء الرجل وماء المرأة المختلط ببعضه إلى أن أصبح الإنسان متكاملاً يمارس حياته في إطار هذا الوجود، ليصبح من ضمن هذا الوجود، فالإنسان قد وهب له السمع، والبصر؛ ليستبين سبيل الخير والشر [3].

* قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ...﴾ [الحج:٦٦].

يبين صاحب الجلالين أن المراد بأحياكم: الإنشاء في هذه الحياة الدنيا [4].

ففي الآية دلالة على أن الله متفرد بالخلق، متصرف فيه، فالإنشاء جاء بعد أن لم يكن هذا الإنسان موجوداً، فوجوده مرهون بأن يهب الله له الحياة.

* قال تعالى: ﴿وَمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الآَخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام:٣٢].

في الآية يحدد الله حقيقة هذه الحياة التي وهبها الله للإنسان، وبيان أن هذه الحياة ما هي إلا لعب ولهو، وكل ما يشغلك، أو يصرفك، فقد لهاك، والدار الحقيقية هي خير من كل هذه الأمور، وهذا مدعاة للعمل لها، والانصراف عن المتاع الزائف، وفي هذا دعوة للتفكير بتفضيل الآخرة الباقية على الدنيا الفانية [5].

---

(١) المنجد، ص ١٦٥.

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، ج ٢٩، ص ٤.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ج ٤، ص ٤٨٣ بتصرف.

(٤) تفسير الجلالين، ص ٤٤٩.

(٥) فتح القدير، ج ٢، ص ١٣٩ بتصرف.

ولا يخفى على أحد أن العمل بكل ما يحمله من معني لا يتم إلا ضمن حياة يحياها الإنسان؛ ليمارس فيها حركاته، وسكناته، وتقريراته، وكل أموره في هذه الحياة، فالحياة من خصائص النَّفس البشرية، ودليل على وجودها، وإلا بماذا يفسر قوله تعالى: ﴿**هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا**﴾ [الإنسان:١] ، إنها قدرة الله، وعظمته بأن خلق الإنسان، وأوجده ضمن دائرة الحياة، وقبل الحياة لم يكن شيئاً يذكر.

وهناك العديد من الآيات التي تتحدث عن الحياة منها:

* قال تعالى: ﴿ ... **إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ** ... ﴾ [البقرة:٢٥٨].

* قال تعالى: ﴿**وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الوَارِثُونَ**﴾ [الحجر:٢٣].

* قال تعالى: ﴿**هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾ [يونس:٥٦].

* قال تعالى: ﴿**قُلِ اللهُ يُحْيِيكُمْ** ... ﴾ [الجاثية:٢٦].

عاشراً: أنها آية من آيات الله في الكون:

تعد النَّفس الإنسانية آية من آيات الله في الكون، وقبل الحديث عن هذه الحقيقة، سنُعرِّف الآية لغة واصطلاحاً.

الآية لغةً: هي العلامة، والإمارة، والعبرة، قال تعالى: ﴿**فَاليَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً** ...﴾ [يونس:٩٢] ، والآية كذلك المعجزة، قال تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً** ... ﴾ [المؤمنون:٥٠] ، والآية من القرآن الكريم : جملة، أو جمل أثر الوقوف في نهايتها، والجمع : آي وآيات [(١)].

إذن الآية في اللغة تطلق على العلامة، والأمارة، والمعجزة، والعبرة.

الآية اصطلاحاً: هي العلامة، والدلالة الدالة على كمال قدرة الله [(٢)].

وقال الجرجاني: "الآية هي طائفة من القرآن، متصل بعضها ببعض إلى انقطاعها، طويلة كانت أم قصيرة " [(٣)].

بعدما تبين معنى الآية **يرى الباحث:** أن الآية: هي العلامة، والأمارة، والعبرة، والعظة، والحجة، والبراهين التي يسوقها الله، ويبينها لخلقه، دليلاً على قدرته، وعظمته، وحكمته في الكون،

---

(١) انظر: المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، ص ٣٢.

(٢) انظر: فتح القدير، ج١، ص ١٠٠ بتصرف.

(٣) التعريفات، ص ٤١.

للإيمان به، والتصديق بما أنزل، والإذعان له وحده.

* قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ ...﴾ [فصّلت:٥٣].

تظهر الآية عِظم آيات الله التي ستتكشف في المستقبل، ولقد استخدم القرآن الكريم لفظ المضارع مع اقترانه بالسين، في إشارة إلى أن آيات الله الدالة على عظمته، وقدرته، وحكمته، في آفاق الكون بما فيه من مخلوقات على اختلافها وأشكالها، من مطر، وسحاب، وجبال، ونجوم، وشمس، وقمر، وليل ونهار، وماء وأنهار وبحار، وكل مخلوقات الله، وكذلك ما في النَّفس الإنسانية بما أودعه الله فيها من بدائع خلقه وعظمة التركيب، فقد جاء اليوم الذي أطلعنا الله فيه على بعض هذه الآيات الباهرات المعجزات، التي تعتبر من عجائب، وبدائع، مكنونات النَّفس الإنسانية، ابتداء بالخلية وتركيبها، ووظائفها، وعملها، انتهاء بأجهزته وأعضائه، وذلك في إشارة إلى أن يتبين الإنسان أن ما جاء به الله على يد خير الخلق ﷺ هو الحق، ومن عند الحق عظم شأنه، وتعالت قدرته وعظمته، فالوقائع والاكتشافات العلمية التي يسرها الله للإنسان؛ ليكتشفها ويتوصل إليها عن طريق العلم في إشارة إلى أن هذا الدين هو دين العلم والتعلم، هو حق واتباعه حق، فهو منزل من عند الله، مشتمل على نظام الدنيا الأصلح، ومعرفة حقائق الآخرة الأبقى (١).

نستنتج من الآية السابقة أن فيها دليلاً على أن ما جاء به النبي ﷺ، هو الحق المبين الظاهر، وهذا الدليل بالإضافة إلى الأدلة الأخرى التي تدلك على صدق ما جاء به النبي ﷺ هو كشف وانجلاء آيات الآفاق، وآيات النَّفس البشرية ، لإظهار عظمته وقدرته الإلهية.

* وفي موضع آخر في إشارة لبيان آيات الله في الأرض والنَّفس، وما بث من دابة، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ * وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [الجاثية: ٣-٤].

تشير الآيات إلى صنع السماوات ورفعها، وحفظها، وإبداع الأرض وتذليلها واتساعها، برهان، وحجة للمصدقين، وهداية إلى الخلاق العليم، فمن نظر في إتقانهما، وتفكر في تسخيرهما وتدبيرهما زاده ذلك ركوناً إلى من أنشأهما، وطوعهما، ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [الجاثية: ٤].

فإذا أبصرنا العبرة في خلقنا، كيف كنا؟ وإلى أين صرنا؟ ولماذا فُضلنا؟ وحين يتذكر أولوا الألباب كم أوجد الله تعالى من الدواب ما يدب على الأرض يستيقنوا بقدرة الذي أعطى كل شيء

---

(١) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ج ٢٥، ص ١٥، والتفسير الواضح، أ.د. محمد محمود حجازي، م٣، ص ٧، والجواهر في تفسير القرآن الكريم، تأليف الشيخ طنطاوي جوهري، ج ١٩، ص ١٠٢، ١٠٣ بتصرف.

خلقه، ثم هدى، وينزهون العظيم الذي برأ، وذرأ، وأنشأ، وفرق ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران:١٩١] (١).

في الآيات دعوة للتفكر، والتدبر، والاعتبار، والنظر في آيات الله في السماوات والأرض، وفي خلقكم أيها الناس، وفيما بث في السماوات والأرض من دابة، كذلك آيات، ودلالات على عظم العظيم وقدرته.

* وفي موضع آخر، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آَيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ [الشُّورى:٢٩].

تدلل الآية على أن من دلائل عظمته، وقدرته، وسلطانه، خلق السماوات والأرض، وما خلق، وما نشر فيهما من إنس، وجن، وسائر المخلوقات على اختلاف أشكالهم، وألوانهم، وطبائعهم، فإن ذلك من آيات الله، وهو جل شأنه قدير على جمع الخلق يوم القيامة للحشر والمحاسبة (٢).

* وفي آية أخرى، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرُّوم:٢١] .

تشير الآية إلى أن من آيات الله الدالة على البعث، والجزاء أن خلق الله لأجلكم، من جنسكم أزواجاَ تألفوا بها، وتميلوا إليها، وتطمئنوا بها، فالمجانسة من دوام المؤانسة، كما أن المخالفة من أسباب التنافر، فالإنسان يجد بين الزوجين من التراحم ما لا يجده بين ذوي الأرحام، وليس ذلك لمجرد الشهوة، فإنها قد تنتفي وتبقى الرحمة، لأنها من الله جل وعلا برغم أنه قد لا يكون بينهم سابق معرفة، ولا رابطة، إن كل ما ذكر من هذه الأمور آيات، وعلامات، وشارات، ودلالات لقوم يتفكرون في هذا الخلق العظيم (٣).

بعد التفكر والتدبر والتأمل في هذه الآيات التي فيها الحجة، والدليل، والبرهان على عظمة الله، خصوصاَ ونحن في ظل الثورة العلمية، وفي ظل التقدم العلمي التكنولوجي في وقت أوصلنا العلم إلى خبايا النَّفس الإنسانية، ومكنوناتها، وأسرارها، فاطلعنا على أمور لم تكن معروفة من قبل، فأصبح بمقدور الإنسان أن يحدد المولود الذي سيولد، وكذلك جزء من شكله، وطبيعته، وشفرته الوراثية، وما يطرأ على الجنين من أطوار يمكن متابعتها، وملاحظتها عبر أجهزة توصل الإنسان

---

(١) فتح الرحمن في تفسير القرآن، م ٦، ص ٣٢٧١.

(٢) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ج ٢٥، ص ٧١، ٧٢ بتصرف.

(٣) انظر: المقتطف من عيون التفاسير، م ٤، ص ٢٠١.

لاختراعها، وعبر هذه الأجهزة يتتبع أوضاع، وأطوار، الانقسامات التي تتم للخلايا، وكذلك معرفة ما بالجنين من عيوب، وما يحمله من أسرار، وعجائب، وآيات دالة على عظم العظيم، وقدرته في هذا الكون، هذه الأمور، وغيرها تجعل الإنسان يقف عاجزاً أمام آيات الله، وعظمته، وقدرته.

لقد أعجز القرآن العرب قبل ألف وأربعمائة عام ونيف، حينما طلب منهم أن يأتوا بآية من مثل هذا القرآن، وهم أهل الفصاحة، والبلاغة، والمقال، في إشارة إلى إعجاز هذا القرآن، وفصاحته، وبلاغته، ونظمه، وتركيبه، فان حقيقة الإعجاز اليوم، وبعد أن اضمحلت، وانحسرت معارف الكثير من العرب بعلوم اللغة العربية، وكذلك دخول غير العرب في الإسلام، وأصبح كثير من المسلمين يلحنون في اللغة العربية، ويكاد الكثير منهم لا يميز بين قواعد اللغة العربية وأصولها، في الوقت نفسه تراه على درجة عالية من علوم الكون، والطبيعة، وعلوم الإنسان، وما يحيط به من العوالم أن هذا الأمر يوصلنا إلى حقيقة علمية فحواها: إذا كان شعار الإعجاز بالأمس للعرب أهل الفصاحة، والبلاغة، واللغة، أن يأتوا بسورة من مثل القرآن، فإن شعاره للعالم اليوم، إضافة إلى الشعار السابق: هذا خلق الله الذي تكشفت بعض أسراره وخباياه، وعجائبه، وآياته، فأروني ماذا خلق الذين من دونه.

حقاً الآية هي الإشارة، والعلامة، والدليل، والبرهان، والحجة، على عظم العظيم، وقدرته وحكمته، سبحان من قال: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات:٢١]، سبحان من خلق السمع، والأبصار، والأفئدة، والحواس، والأعضاء جميعاً، سبحان من خلق العقل الذي هو أعظم ما خلقه في الإنسان، سبحان من سخر لسيد الكون كل ما على وجه هذه الأرض لخدمته، ومنفعته، وراحته، في مقابل عبادته تعالى، وعدم الإشراك به، وهو الغني عن عباده، وذلك لما في عبادة الله من مصلحة، وخير، وأمن، وأمان، وطمأنينة، وعدل، وبر، وإحسان، وسعادة للإنسان في الدنيا، والآخرة.

سبحان ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ [الأعلى: ٢-٣] ، سبحان الله العظيم تعالى اسمه، وتقدست أسماءه.

القسم الثاني: الخصائص الأخروية، وهي:

أولاً: الموت:

يبدأ العمر الزمني للإنسان منذ اللحظة التي يكتب الله له فيها الحياة إلى أن يشاء الله، لتنتهي هذه الحياة بالموت، لذا فإن **الموت لغةً:** ضد الحياة ونقيضها، والمَوْتُ والمَوَتَان، والمُواتُ

المَوْتُ ضد الحياة، وقيل: ماتَ يموتُ موتاً، ومَيِّتٌ أصله مَيْوِتٌ ومَيْتٌ، والمَيِتُ: الذي مات [١].

الموت اصطلاحاً: صفة وجودية تضاد الحياة [٢]، وعرفه آخرون بأنه: هو عدم الحياة [٣]، أو هو مفارقة الروح للجسد [٤].

ولقد تحدث القرآن الكريم في العديد من آياته عن الموت:

* قال تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ...﴾ [الأنبياء:٣٥].

نقل الثعالبي في تفسيره لهذه الآية "قول الحسن البصري: ما رأيت عاقلاً قط إلا وجدته حذراً من الموت حزيناً من أجله، ثم قال: واعلم أن طول الأمل يُكَسِّلُ عن العمل، ويورث التواني، ويخلد إلى الأرض، ويميل إلى الهوى، وهذا أمر قد شوهد بالعيان فلا يحتاج إلى بيان ولا يُطالب صاحبه بالبرهان كما أن قصره يبعث على العمل، ويحمل على المبادرة، والحث على المسابقة" [٥].

اقتضت سنة الله في هذا الوجود أنه ما من نفس، بل ما من شيء إلا هو ميت، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام، هذه سنة الله في الخلق.

* قال تعالى: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزُّمر:٣٠].

ذكر الطبري أن الآية خطاب للنبي ﷺ ، وللمكذبين به، والمؤمنون به، وللناس جميعاً فإنهم كلهم ميتون [٦]، أي في الآية دليلٌ، وإشارة أن كل إنسان نهايته الموت في هذه الحياة الدنيا، وليس أدل على ذلك من خطاب الله لأحب البشر على وجه الأرض لله، وهو نبينا ﷺ قائلاً له: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ﴾ سبحان من قهر الخلق بالموت، سبحان الله العظيم.

* قال تعالى: ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق:١٩].

قال البقاعي أن معنى "**جاءت**": "أي أتت، وحضرت "**وسكرة الموت**" أي حالته عند النزع، وشدته، وغمرته، يصير الميت بها كالسكران، لا يعي، وتخرج بها أحواله، وأفعاله، وأقواله عن

---

(١) انظر: لسان العرب، م ١٤، ص ١٤٧، وتاج العروس من جواهر القاموس، للعلامة محمد مرتضى الزبيدي، ج ٩، ص ٤٧٩، والمنجد، ص ١٦٥.

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج ٢٩، ص ٤.

(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج ٥، ص ٧٤٣.

(٤) صفوة البيان لمعاني القرآن، الشيخ حسنين محمد مخلوف، ص ١٦.

(٥) الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج ٢، ص ٣٧٥.

(٦) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، م ٩، ص ٧٠٧١.

قانون الاعتدال، وجاءت هذه السكرة مجيئاً متلبساً "**بالحق**" أي الأمر الثابت الذي يطابقه الواقع، فلا حيلة في الاحتراس منه، من بطلان الحواس، وكشف الغطاء عن أحوال البرزخ من فتنة السؤال، وضيق المجال، أو سعة الحال، وقيل للميت بلسان الحال إن لم يكن بلسان المقال "**ذلك**" أي هذا الأمر العظيم العالي الرتبة الذي يحق لكل واحد الإعداد له بغاية الجد "**ما**" أي الأمر الذي، "**كنت**" جبلَّة، وطبعاً، ولما كانت نفرته منه، وهربه من وقوعه بحفظ الصحة، ودواء الأدواء في الغاية كان كأنه لا ينفر إلا منه، فأشار إلى ذلك بتقديم الجار فقال: "**منه تحيد**" أي تميل، وتنفر، وتروغ، وتهرب" [(١)].

إذا كانت الحياة للنفس الإنسانية هي بداية نفخ الروح، فإن نهاية هذه الحياة هي قبض هذه الروح من الجسد، لينتقل الإنسان إلى عالم آخر، وهو عالم البرزخ.

وهناك العديد من الآيات التي تتحدث عن الموت وأنه حتمية لا بد منه في هذا الوجود ومنها:

* قال تعالى: ﴿ **قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ** ﴾ [السجدة:١١] .

* قال تعالى: ﴿ **اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ...** ﴾ [الزُّمر:٤٢].

* قال تعالى: ﴿ **أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ ...** ﴾ [النساء:٧٨].

* قال تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ...** ﴾ [الجمعة:٨].

* قال تعالى: ﴿ **كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ** ﴾ [الرَّحمن: ٢٦-٢٧].

حقاً ويبقى وجه الله ذو الجلال والإكرام خالق ومبدع الأكوان.

ثانياً: البعثُ والنشور:

البعث: يعيش الإنسان حياةً برزخية في القبر لأجل مسمى عند الله، تنتهي هذه الحياة البرزخية ببعث الإنسان من قبره، فتعين أن نبين معنى البعث لغة واصطلاحاً.

البعث لغة: قال الأزهري: البعث في كلام العرب على وجهين **أحدهما** : الإرسال كقوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ** ﴾ [الأعراف:١٠٣] ، فمعناه هنا أرسلنا.

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج ٧، ص ٢٥٦، ٢٥٧.

والبعث: آثاره بارك أو قاعد، تقول: بعثت البعير فانبعثت، أي أثرته فثار.

والبعث أيضاً: الإحياء من الله للموتى، ومنه قوله ﷻ: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة:٥٦]، أي أحييناكم، والبعث يأتي بمعنى النشر للموتى ليوم البعث (١).

والذي يعنينا في بحثنا هذا عن البعث، هو الإحياء بعد الموت.

البعث اصطلاحاً: هو إحياء الجسد بإعادة الروح إليه (٢).

ولقد تحدث الله جل شأنه عن هذه الحقيقة في مواضع عديدة من كتاب الله، يحثنا على العمل للآخرة، وعدم الركون إلى هذه الدنيا الفانية.

* قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ البَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ العُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا المَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [الحج:٥].

في الآية نداء للناس الذين يشكّون في الإعادة بعد الموت، فإن الله خلق أباكم آدم، وهو أصل البشر من تراب (٣).

ففي الآية دلالة على أن النَّفس تبعث بعد الموت للحساب، وليس هذا مدعاة للشك، والريب، فإن هناك أعظم من هذا الأمر، وهو خلق أبينا آدم من تراب.

* قال تعالى: ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [لقمان:٢٨].

يبين القرطبي في تفسيره لهذه الآية إنما ابتداء خلقكم جميعاً إلا كخلق نفس واحدة، وما بعثكم يوم القيامة إلا كبعث نفس واحدة (٤).

في الآية إشارة إلى عظمة الله، وقدرته، فإن الذي بدأ الخلق لا يصعب عليه شيء فإن أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون، وفيها أيضاً إشارة إلى أن النَّفس تُبعث بعد الموت.

وفي موضع آخر في إشارة إلى البعث طلب إبليس من ربه، إن يُنْظِره إلى يوم البعث، فقال الله في شأنه على لسانه: ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الأعراف:١٤].

---

(١) تهذيب اللغة، ج ٢، ص ٣٣٥، وتاج العروس من جواهر القاموس، م ١، ص ٦٠٢.

(٢) صفوة البيان لمعانى القرآن، ص ١٦.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، م ٦، ص ٦.

(٤) المرجع السابق، م ٧، ص ٥٢.

قال الطبري: "قال إبليس لربه: أنظرني: أي أخرني، وأجلني، وأنسئ في أجلي، ولا تمتني إلى يوم يبعث الخلق" (١).

ففي الآية إشارة إلي أن الناس سيبعثون يوم القيامة من قبورهم للحساب والجزاء، وهناك العديد من الآيات التي ذكرها الله في هذا الشأن، منها:

حينما طلب جمع من بني إسرائيل من موسى رؤية الله جهرة، فأخذتهم الصاعقة (ماتوا)، ثم بعثهم الله، فقال تعالى في شأنهم:

* ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة:٥٦].

وقال تعالى في شأن عيسى عليه السلام حينما جاءت أمه به تحمله: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم:٣٣] .

وقال تعالى في شأن الذين كفروا وكذبوا بالجزاء والعقاب والبعث، فحين الموت يرى الإنسان مقعده من النَّار، ومقعده من الجنَّة، حينها يقول الكافر:

* ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠].

أما في شأن يونس عليه السلام حينما التقمه الحوت فسبح الله، قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصَّفات: ١٤٣-١٤٤].

وقال تعالى في شأن الأصنام التي يعبدها المشركون: ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النحل:٢١].

تدلل هذه الآيات على حقيقة البعث للإنسان بعد الموت.

النشور:

إذا كان الموت هو نهاية الحياة فإن النشور هو الحياة بعد الموت، ليقف الإنسان في يوم الحساب أمام الله ليُجازى عما عمل إن كان خيراً، أم شراً.

النشور لغةً: يقالُ نَشَرَ الله الميت يَنْشُرُ نَشْرَاً، ونُشُراً وأنشره، فَنَشَر الميتَ: أحياه ، فهو ناشِر، أي عاش بعد الموت، وبابه دخل.

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، م ٥، ص ٣٤٥٥.

وأنشر الله الموتى، أي أحياهم، وقال الزجاج: نَشَرَهم الله، أي بعثهم، كما قال تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾، وأنشره الله، أي أحياه، ومنه يوم النُّشُور، والنَّشْر : الحياة، وأرض المنشر، أي موضع النُّشُور، وهي الأرض المقدسة من الشام، وأَنْشَر الله الريح: أحياها بعد الموت (1).

النشور اصطلاحاً: عرفه الإمام ابن عاشور بأنه الإحياء بعد الموت (2).

ويرى الباحث أن النُّشُور: الإحياء بعد الموت للوقوف للحساب أمام الله تبارك وتعالى يوم القيامة.

* قال تعالي: ﴿قُتِلَ الإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ * مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ * مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ * ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ * ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ * ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾ [عبس:١٧-٢٢]، أي بمعنى بعث الإنسان في القبر إذا جاء وقته(3).

فهذه الآية تدلل على أن الإنسان سيأتي يوم معلوم يبعث في القبر للمحاسبة عن الذي عمل في دنياه خيراً، أم شراً.

* قال تعالى: ﴿وَاللهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ [فاطر:٩].

قال ابن عطية في تفسيره: هذه الآية احتجاج على الكفرة في إنكار البعث من القبور، فدلهم تعالى على المثال الذي يعاينونه، وهو سواء مع إحياء الموتى و"**البلد الميت**" هو الذي لا نبت فيه قد اغبر من القحط، فإذا أصابه الماء من السحاب اخضر فأنبت فتلك حياته، والنشور مصدر نشر الميت إذا حيي (4).

أما أبو الليث السمرقندي يبين في تفسيره لهذه الآية أن الله الذي يرسل الرياح ترفع السحاب، فيهيجه، فيسوقه الله إلى البلد الميت فتحيا به الأرض بعد يُبسها، مثل هذا، مثل النشور أي هكذا تحيون بعد الموت يوم القيامة (5) .

---

(١) لسان العرب، م ١٤، ص ٢٥٦، ومختار الصحاح، الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، ص٣٥٣.

(٢) التحرير والتنوير، م ١٠، ج ١٨، ص ٣٢٢.

(٣) بحر العلوم، ج ٣، ص ٤٤٨.

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للإمام أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، ج ٤، ص ٤٣٠، ٤٣١.

(٥) انظر: بحر العلوم، ج ٣، ص ٨١.

قال قتادة ﷺ في قوله تعالى: ﴿فَأَحْيَيْنَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ قال: "أحيا الله هذه الأرض الميتة بهذا الماء، كذلك يبعث الناس يوم القيامة " [(١)].

في الآية مثلٌ في إحياء الأرض بعد الموت بماء يساق لها فتحيا، فكذلك الخلق يحيون بماء ينزل من السماء يوم القيامة، فتنبت الأجسام من ذلك الماء كما ينبت الزرع.

وهناك العديد من الآيات التي تتحدث عن النشور، منها:

* قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك:١٥].

* قال تعالى في شأن الكفار الذين اتخذوا الأصنام آلهة: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الفرقان:٣].

* قال تعالى في شأن كفار مكة وهم يمرون على قرى قوم لوط: ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾ [الفرقان:٤٠].

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للإمام جلال الدين السيوطي، ج٩، ص ٢٤٥.

الفصل الأول

صفات وأنواع النَّفس البشرية والقدرة الإلهية في خلقها

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: صفات النَّفس البشرية في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: أنواع النَّفس البشرية في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: القدرة الإلهية في خلق النَّفس البشرية.

المبحث الأول

صفات النَّفس البشرية في القرآن الكريم

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الصفات الإيجابية.

المطلب الثاني: الصفات السلبية.

المبحث الأول

صفات النَّفس البشرية في القرآن الكريم

صفات النَّفس البشرية التي تجمع بين جانبين متناقضين؛ آية من آيات الله، فهذه النَّفس في صراع دائم بين هذين الجانبين، إلى أن تنتصر إرادة من الإرادتين على الأخرى، قال تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البلد:١٠] ، وقال أيضاً: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان:٣] .

فكما أن النَّفس الإنسانية منها المؤمن ومنها الكافر، منها الصادق، ومنها الكاذب، منها الأمين ومنها الخائن، منها الوفيّ بالعهد ومنها الغادر الخائن، منها العادل ومنها الظالم، وغيرها من الصفات المتناقضة في هذه النَّفس، **لذا سيقوم الباحث** ببيان وتقسيم هذه الصفات دون الخوض في حيثيات هذه الصفات مكتفياً بالصفة والدليل عليها!!!

المطلب الأول: الصفات الإيجابية:

هذه الصفات كثيرة ومتعددة، **وسيذكر الباحث** أهمها:

١- الإيمان:

الإيمان بالله صفة من صفات النَّفس البشرية، ولقد ورد الحديث عن هذه الصفة في العديد من الآيات في كتاب الله منها:

* قال تعالى مبيناً حال النبي ﷺ وأتباعه: ﴿آمَنَ الرّسول بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة:٢٨٥] .

وفي موضع آخر يبين الله جزاء من آمن وعمل صالحاً:

* قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ [الكهف:٨٨] .

وهناك العديد من الآيات التي تتحدث عن هذه الصفة.

٢- الصدق:

الصدق سمة وصفة من صفات النَّفس البشرية، ولقد ورد الحديث عن هذه الصفة في العديد من الآيات في كتاب الله منها:

* قال تعالى مادحاً إدريس عليه السلام: ﴿وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ [مريم:٥٦] ، لقد وصف الله إدريس عليه السلام بأنه صديقاً، أي موصوف بالصدق والتصديق بآيات الله [١] .

وفي آيات أخرى بين الله جزاء الصادقين يوم القيامة، وما أعد الله لهم:

* قال تعالى: ﴿قَالَ اللهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ﴾ [المائدة:١١٩] ، وقال أيضاً: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالقَانِتِينَ وَالقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالخَاشِعِينَ وَالخَاشِعَاتِ وَالمُتَصَدِّقِينَ وَالمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٣٥] .

ولقد كان ﷺ يسمى الصادق الأمين.

٣- الأمانة:

من الصفات السامية المحمودة التي تجمِّل النَّفس البشرية وترتقي بها وتحوطها بالرضا من الله وبالتقدير والاحترام بين الناس، ولقيمة هذه الصفة جاءت الآيات مبينة لها في مواطن كثيرة من كتاب الله منها:

* قال تعالى في شأن المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [المؤمنون:٨] .

هذه الآية تظهر حقيقة المؤمنين الذين من صفاتهم حفظ ما ائتمنوا عليه، وذلك لأن الرَّعي هو الحفظ والرعاية للأمانة، وكذلك هم حافظون وراعون للعهود والعقود ونحوها مما عاهدوا الله والناس عليه [٢] .

ولقد حذر الله المؤمنين وأمرهم أن لا يخونوا الله ورسوله ويخونوا أماناتهم:

* قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللهَ وَالرّسول وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال:٢٧] .

وهناك آيات كثيرة تتحدث عن هذه الصفة.

٤- الرحمة:

من الصفات التي أودعها الله في النَّفس البشرية، والتي تتفاوت من شخص لآخر "الرحمة"؛ لأجل ذلك حوّل الإسلام كثيراً من القلوب القاسية إلى قلوب رقيقة تتألم لألم الناس، وتفرح لفرحهم.

---

(١) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، م٨، ج١٦ ، ص ١٢٥.

(٢) صفوة البيان لمعاني القرآن، الشيخ حسنين مخلوف، ص ٤٣٦ بتصرف.

ولقد حصر الله دعوة النبي ـ بأنه أُرسل رحمة للعالمين، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧] .

أورد الطبري في تفسير هذه الآية عدة آراء منها:

أ- تشير وتدلل على أنه ﷺ أرسله الله إلى خلقه رحمةً (مؤمنهم وكافرهم).

ب- وقيل أُرسل إلى أهل الإيمان دون الكفر. والصواب أن الله أرسل نبيه رحمة لجميع العالم [(١)] .

فنبينا صلوات ربي ورحمته عليه أُرسل رحمة لكل ما يصدق عليه مفهوم "عالم" الإنس والجن، والطير، والشجر، والماء، والسماء، والهواء، وغيرها من العوالم.

وهناك العديد من الآيات التي تتحدث عن صفة الرحمة منها:

* قال تعالى في شأن النبي ﷺ : ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ ...﴾ [آل عمران:١٥٩] ، وقال أيضاً في شأن أتباع عيسى عليه السلام: ﴿... وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً ...﴾ [الحديد:٢٧] ، وهناك آيات أخرى تتحدث عن الرحمة.

٥- العدل:

العدل إحدى صفات النَّفس البشرية، هذه الصفة التي يترتب عليها أمن وأمان، وسلامة وطمأنينة المجتمعات الإنسانية. ونظراً لأهمية هذه الصفة، فقد ورد الحديث عنها في العديد من الآيات الكريمة في كتاب الله منها:

* قال تعالى آمراً النبي ﷺ بالاستقامة والعدل: ﴿... وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آَمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ...﴾ [الشُّورى:١٥] .

في الآية أمر من الله لمحمد ﷺ بالاستقامة والدعوة إلى الائتلاف على الملة الحنيفية، وعدم اتباع الأهواء الباطلة من أهل الكتاب والمشركين، وقُل يا محمد آمنت بما أنزل من الكتب السابقة ليس كما آمن البعض ببعض الكتب وكفر ببعض، وكذلك في الآية أمر من الله لمحمد ﷺ بالعدل بين الناس في الحكم بينهم إذا تخاصموا وتحاكموا إليه، فكل الناس عبيد لله لا فرق بينهم [(٢)] . والأمر كذلك وإن كان لمحمد ﷺ فإنه عام لجميع المؤمنين.

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، م٧، ص ٥٧٨٥، ٥٧٨٦ بتصرف.

(٢) تفسير النسفي، الإمام عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، م٣، ص ١٥٧٨، ١٥٧٩ بتصرف.

وهناك آيات أخرى تتحدث عن هذه الصفة منها:

* قال تعالى: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف:١٥٩] ، وقال تعالى محذراً من عدم القدرة على العدل بين النساء بعدم التعدد، قال تعالى: ﴿... فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ...﴾ [النساء:٣] ، وهناك آيات أخرى كثيرة تتحدث عن هذه الصفة.

٦- المحبة:

من الصفات البارزة التي تتميز بها النَّفس البشرية، والتي تنم عن دلائل وإشارات التعاضد والتكاتف والتآلف، ولقيمة هذه الصفة فهناك آيات كثيرة تتحدث عن هذه الصفة منها:

* قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ...﴾ [آل عمران:٣١] .

ذكر الشيخ أبو زهرة أن هذه الآية تضع الضوابط الصحيحة لمحبة الله وذلك ببيان طريق محبة الله، والتي تتمثل في محبة طاعة الإنسان للرسول ﷺ ، فمحبته ﷺ محبة لله وطاعته طاعة لله، وعصيانه عصيان لله لأنه ينطق عن الله قرآناً وسنة، والاتباع يوجب المحبة لأن المتبع مطيع، والغاية القصوى أن يسعد الإنسان بمحبة الله ورضوانه، وهذا لا يتأتى إلا بتبادل المحبة بين الخالق والمخلوق، ومحبة الخالق تليق بذاته، ومحبة العبد تليق بحدوثه، ولقد بين الشيخ علامات الاتباع في نقاط:

أ- أن المتبعين أذلة على المؤمنين.

ب- أن المتبعين أعزة على الكافرين.

ج- أن المتبعين يجاهدون في سبيل الله بالنَّفس واللسان والمال.

د- أن المتبعين لا يأخذهم في الله لومة لائم.

ولقد فصَّل الله الاتباع الذي يوجب المحبة السامية في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة:٥٤] (١) .

وهناك مواضع كثيرة تتحدث عن هذه الصفة منها:

* قال تعالى مبيناً محبته للمحسنين الذين أحبوا الله فأحسنوا في هذه الدنيا: ﴿... إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة:١٩٥] ، وقال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ

---

(١) زهرة التفاسير، م٣، ص ١١٨٦، ١١٨٧ بتصرف وإيجاز.

وَلَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الكُفْرَ وَالفُسُوقَ وَالعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ [الحجرات:٧] .

٧- البر:

الطاعة والامتثال والإذعان للحق وعدم المعصية، من الصفات التي ترتقي بالنَّفس البشرية، ولقد وردت آيات كثيرة في كتاب الله تعالى تتحدث عن هذه الصفة منها:

* قال تعالى في شأن يحيى عليه السلام : ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ [مريم:١٤] ، "والبر بوالديه" بمعنى طاعتهما وعدم عصيانهما [١]، والطاعة لا تكون إلا في خير ومعروف.

* وقال في موضع آخر في شأن المؤمنين: ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ﴾ [آل عمران:١٩٣] ، وقال الله مبيناً حال الأبرار يوم القيامة: ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ [الانفطار:١٣] .

٨- الإحسان:

الإحسان صفة جمالية، وطبيعة إنسانية، وظاهرة اجتماعية، ولقد وردت آيات كثيرة في كتاب الله تتحدث عن هذه الصفة منها:

* قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ للهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء:١٢٥] .

في الآية بيان أنه ليس هناك أحسن ديناً ممن أخلص لله، فلا حركة ولا سكنة إلا فيما يرضي الله، وهذا حال المؤمن المراقب، لا غفلة عنده، الإحسان صفة راسخة له، وهذا المؤمن اتبع ملة إبراهيم التي اشتهرت بين أتباع الرّسل فهو لم يدعو إلا إلى الله، وهذه دعوة الفطرة الحنيفية التي تميل مع الدليل والبرهان [٢] .

وفي موضع آخر قال تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ * كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ * وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ * وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾ [الصَّافات: ١٠٩-١١٣] ، وفي الصحيح أن النبي ﷺ قال حينما سئل عن الإحسان: (... **أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ...**) [٣].

---

(١) بحر العلوم، ص ٣٢٠.

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، م٢، ص ٣٢٤ بتصرف .

(٣) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل عليه السلام النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام و...، ص ٢٤، حديث رقم (٥٠).

٩- الوفاء بالعهد في السلم والحرب:

الوفاء بالعهد من الصفات التي تدلل على صدق الإيمان واليقين، وهي من الصفات التي تنمي جوانب الأمن والأمان في المجتمعات الإنسانية، ولقد تحدث الله عن هذه الصفة في مواضع عديدة منها:

* قال تعالى مبيناً المفارقة بين من اتبع الحق والذي حاد عنه: ﴿**أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ * الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَلَا يَنْقُضُونَ المِيثَاقَ**﴾ [الرعد: ١٩-٢٠].

في الآيتين بيان لحال المهتدين والضالين، وأن المهتدين هم أولوا الألباب الذين يعتبرون وينزجرون، فهم الذين يعقلون ويتفكرون، وهم الذين هداهم الله، هؤلاء الذين من صفاتهم الوفاء بالعهد ورعاية الأمانات والمواثيق ولا ينقضونها (١) .

وفي آيات أخرى رغب الله في هذه الصفة وطلب من المؤمنين التحلي بها، قال تعالى: ﴿**وَأَوْفُوا بِالعَهْدِ إِنَّ العَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا**﴾ [الإسراء:٣٤] .

ولقد مدح الله من أوفى بعهده فقال: ﴿**وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ...**﴾ [البقرة:١٧٧] .

١٠- الإيثار على النَّفس:

الإيثار على النَّفس من الصفات العليا التي تعود على المجتمع بالخير واليمن والبركة، ولقد مدح الله هذه الصفة التي يتحلى بها المؤمنون فقال تعالى: ﴿**وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ...**﴾ [الحشر:٩] .

ذكر ابن كثير أن هذه الآية تعني تقديم المحاويج على حاجة النَّفس، ويبدؤون بالناس قبلهم في حال احتياجهم إلى ذلك (٢) .

١١- الحزن والتألم لما يصيب الناس:

النَّفس الإنسانية نفس متفاعلة مع الأحداث التي تحيط بها تتألم لألم الآخرين، وفي إشارة لإبراز جانب الحس المرهف لهذه النَّفس ورد الحديث عن هذه الصفة في العديد من الآيات منها:

* قال تعالى في شأن أبي بكر حين الهجرة مع النبي ﷺ وهما في الغار: ﴿**... إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا ...**﴾ [التوبة:٤٠] ، وقال أيضاً في شأن موسى عليه السلام لما أخذه موج البحر إلى قصر

---

(١) فتح الرحمن في تفسير القرآن، م٣، ص ١٦٧٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص ٣٦٢.

فرعون: ﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾ [طه:٤٠] ، وقال أيضاً في شأن مريم حين الولادة: ﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ [مريم:٢٤] .

في الآية نداء من عيسى ﷺ لأمه مريم عليها السلام يحملها على الصبر والعزاء وتحمل الحزن والألم لما هي فيه (١).

هذه أهم وأبرز الصفات الإيجابية للنفس البشرية، وهناك العديد من هذه الصفات، وسيُكتفى بما ذكر منها.

المطلب الثاني: الصفات السلبية:

صفات النَّفس السلبية تؤدي بالمجتمعات الإنسانية إلى الفساد والانحلال، والرذيلة، مما يترتب على ذلك دمار وخراب هذه المجتمعات؛ لأجل ذلك جاء الإسلام ليقر الصفات الإيجابية ويرغب فيها، وينهى عن الصفات السلبية، ويرهب منها، **وسيقتصر الباحث** على ذكر أهم هذه الصفات، وهي:

١- الكفر:

الناس صنفان: مؤمن وكافر، والمؤمن صفته الإيمان، والكافر صفته الكفر، ولقد بين الله هذه الصفة في العديد من الآيات في كتاب الله تبارك وتعالى منها:

* قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ ...﴾ [التغابن:٢] .

* قال تعالى في شأن الناس بعد إرسال الرّسل إليهم: ﴿... فَمِنْهُمْ مَنْ آَمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ ...﴾ [البقرة:٢٥٣] ، وقال تعالى في شأن من كفر: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة:١٢٦] .

٢- الكذب:

الكذب من أسوأ صفات النَّفس الإنسانية التي تؤدي إلى اقتراف الشرور والآثام، والغرق في كثير من الصفات السلبية الأخرى التي تؤدي إلى الفجور والعصيان، لذا ذكر الله هذه الصفة في العديد من الآيات منها:

---

(١) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، م٣، ص ٣٠٢.

* قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّار هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة:٣٩] ، وفي موضع آخر بين الله أن الكذب من الصفات الذميمة، فقال تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جهنَّم مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ﴾ [الزُّمر:٣٢] .

تبين الآية أنه لا أحد أظلم ممن كذب على الله بنسبه الشريك والولد إليه، وكذب "بالصدق" بالقرآن إذ جاءه فإن مأواه جهنَّم [١] .

وفي موضع آخر قال: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:١٨٢] .

وهناك العديد من الآيات التي تتحدث عن هذه الصفة.

٣- المكر والخداع:

المكر من العبد صفة ذميمة تنم عن نفسية مريضة غير سوية؛ لأنه يقتضي الكيد لإلحاق الأذى من قبل الماكر بالممكور به، لذا حذر الله من هذه الصفة في العديد من الآيات منها:

* قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللهُ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ العَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النحل:٤٥] .

قال الشعراوي: المكر هو التبيت الخفي للنيل ممن لا يستطيع مجابهته بالحق، ومجاهرته به، فأنت لا تبيت لأحد إلا إذا كانت قدرتك عاجزة عن مصارحته مباشرة، فكونك تبيت له وتمكر به دليل عجزك، ولذلك جعلوا المكر أول مراتب الجبن، لأن الماكر ما مكر إلا لعجزه عن المواجهة، وعلى قدر ما يكون المكر عظيماً يكون الضعف كذلك، وهذا ما نلحظه من قوله تعالى في حق النساء: ﴿... إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ [يوسف:٢٨] ، وقال في حق الشيطان: ﴿... إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء:٧٦] .

والخسف هو تغييب الأرض وما على ظهرها، فانخسف الشيء، أي غادر في باطن الأرض، وأن يأتيهم العذاب من جهة لا يشعرون بها، ولم يخطر على بال [٢] .

أما الآيات التي تتحدث عن الخداع، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آَمَنَّا بِاللهِ وَبِاليَوْمِ الآَخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ * يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ٨-٩] .

---

(١) تفسير الجلالين، ص ٦١١.

(٢) تفسير الشعراوي، م١٣، ص ٧٩٦١، ٧٩٦٢.

تبين الآية أن الخداع من قبل المنافقين بإظهار خلاف ما أبطنوه من الكفر ليدفعوا عنهم أحكامه الدنيوية، وما يخدعون إلا أنفسهم؛ لأن وبال خداعهم راجع إليهم فيُفتضحون في الدنيا بإطلاع الله نبيه على ما أبطنوه ويُعاقبوا في الآخرة وما يشعرون ويعلمون أن خداعهم لأنفسهم [(١)].

وقال أيضاً في شأن النبي ﷺ مع الكفار واليهود: ﴿ وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال:٦٢] .

وهناك آيات أخرى تتحدث عن هذه الصفة.

٤- الخيانة:

الخيانة صفة دنيئة وضيعة تؤدي بالمجتمعات الإنسانية إلى الجريمة والفساد، لذا هناك العديد من الآيات في كتاب الله التي تذم هذه الصفة، وتتوعد صاحبها، ومن هذه الآيات:

* قال تعالى: ﴿ ... إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ [الحج:٣٨] ، وقال أيضاً محذراً من خيانة الله ورسوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَخُونُوا اللهَ وَالرّسول وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنفال:٢٧] .

قال السُّدي في تفسير هذه الآية: **(لا تخونوا الله والرّسول)** كانوا يسمعون عن النبي ﷺ فيفشونه حتى يبلغ المشركين، وقوله: **(وتخونوا أماناتكم)** فإنهم إذا خانوا الله والرّسول فقد خانوا أماناتهم [(٢)] .

تظهر الآية حقيقة الخيانة التي تطلق حتى على إفشاء أسرار النبي ﷺ وأسرار المؤمنين.

٥- الظلم:

الظلم يطفئ القيم والمثل ويميت المبادئ والأخلاق، وينبت الحقد والكره والعداء، لذا تحدث القرآن الكريم عن هذه الصفة في العديد من الآيات منها:

* قال تعالى: ﴿ ... وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [البقرة:٢٢٩] ، وقال أيضاً: ﴿ ... وَالكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [البقرة:٢٥٤] .

إذا كان العدل هو أداء وإعطاء الحقوق لأصحابها، فإن الظلم تعدّ على حدود وحقوق ، لذا اعتبر القرآن الكريم من يتعدى على حقوق الآخرين، أو على حقوق نفسه فهو ظالم، وهناك مواضع أخرى تتحدث عن هذه الصفة.

---

(١) تفسير الجلالين، ص ٤.

(٢) تفسير السُّدي، الإمام أبو محمد إسماعيل بن عبد الرحمن السُّدي الكبير، ص ٢٨٠.

٦- الاستكبار:

الاستكبار صفة ذميمة تعمل على نشر الفئوية والعنصرية والطبقية في المجتمعات الإنسانية، لذا تحدث القرآن الكريم في العديد من الآيات ذاماً هذه الصفة منها:

* قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ [الفرقان:٢١] .

بين الشعراوي حقيقة الاستكبار والعتو فقال: تعاظموا وتجاوزوا في الكفر [١] .

* وفي موضع آخر قال تعالى في حق فرعون وجنوده: ﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ...﴾ [القصص:٣٩] ، وقال أيضاً في شأن الكفار لما أعرضوا عن الإيمان بما جاء به محمد ﷺ: ﴿اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ ...﴾ [فاطر:٤٣] .

وهناك آيات أخرى تبين هذه الصفة.

٧- اقتراف الإثم والعدوان:

الإثم والعدوان من الصفات السلبية للنفس البشرية، وهذه الصفات تودي بالمجتمعات إلى التلاشي والزوال، وإلى التردي والانحطاط، ولقد بين الله تبارك وتعالى هذه الصفة في العديد من الآيات منها:

* قال تعالى مبيناً حال كثير من اليهود: ﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة:٦٢] .

تبين هذه الآية حال كثير من اليهود يسارعون في اقتراف الآثام والاعتداء على الناس، ويأكلون الحرام، وهذ شيء قبيح يقترفوه [٢] .

٨- نقض العهود والمواثيق:

إذا كان الوفاء بالعهد من الصفات الإيجابية، فإن نقض العهد والميثاق من الصفات السلبية للنّفس البشرية، والذي يترتب عليه فقدان الثقة وانعدامها مما يؤدي إلى تفكك المجتمع وانحداره، لذا تحدث القرآن الكريم في العديد من آياته عن هذه الصفة منها:

---

(١) زُبدة التفاسير، الشيخ محمد متولي شعراوي، ص ٤١٦.

(٢) انظر: تفسير النسفي "مدارك التنزيل وحقائق التأويل"، ج١، ص ٤٢٠ بتصرف.

* قال تعالى في شأن نقض العهود والمواثيق من قبل بني إسرائيل: ﴿ أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [البقرة:١٠٠] .

تشير الآية الكريمة أن بني إسرائيل منهم الصادق للوعد على ما عاهد الله عليه، وهم أقلية، والأكثرية ناقضة للعهد (١) .

وهناك مواضع أخرى تتحدث عن هذه الصفة:

٩- عدم الخوف من الله:

الخوف صفة وظاهرة طبيعية من ظواهر النَّفس البشرية، ولكن قد يكون الخوف صفة إيجابية، وقد يكون صفة سلبية كما هو حال كثير من الصفات، فالخوف من الله صفة إيجابية، وعدم الخوف من الله صفة سلبية، لذا نجد من الصفات السلبية التي تحدث عنها القرآن الكريم، عدم الخوف من الله، ومن هذه الآيات:

* قال تعالى في شأن الكافرين: ﴿ كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآَخِرَةَ ﴾ [المدَّثر:٥٣] ، وقال أيضاً في شأن ما رآه ﷺ ليلة الإسراء: ﴿ ... وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآَنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء:٦٠] ؟

حيث تشير الآية إلى عدم خوف الكفار من المشاهدات التي شاهدها النبي ﷺ وأخبر عنها، وهناك آيات أخرى تتحدث عن هذه الصفة.

وسيكتفي الباحث بما عرض من هذه الصفات لأنها كثيرة وتحتاج إلى بحث مستقل.

خلاصة المبحث:

لقد اشتم المبحث على ذكر الصفات الإيجابية والصفات السلبية فأبان اللّثام عن شخصيتين متناقضتين، شخصية سوية ارتضت الهدى والرشاد منهاجاً لها، وشخصية مريضة اختارت طريق الضلال والفساد والانحلال الذي يؤدي إلى تردي وانحطاط المجتمعات الإنسانية، وهذه الصفات تُعد آية من آيات الله في الكون.

---

(١) زُبدة التفاسير، ص ٢٩.

المبحث الثانـي

أنواع النَّفس البشرية في القرآن الكريم

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: نفس المؤمن.

المطلب الثاني: نفس الكافر.

المطلب الثالث: نفس المنافق.

المطلب الرابع: نفس الكتابي (يهوداً ونصارى).

المطلب الخامس: الحكمة من تنوع النَّفس البشرية.

المبحث الثاني

أنواع النَّفس البشرية في القرآن الكريم

الإنسانُ بنيان الله ، وهو مستخلفٌ في هذه الأرض ، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ...﴾ [البقرة:٣٠]، وحقيقةُ الاستخلاف إقامة منهاج الله ، ولقد خلق الله الإنسان من قبضةٍ من طين ، ونفخه من روحه عز شأنه ، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ [المؤمنون:١٢]، قال تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر:٢٩].

والنَّفس تطلق على الإنسان كله أو بعضه، وكذلك تطلق على الروح، فهل النَّفس والروح لفظتان مترادفتان؟ أم أن لكل واحد منهما معنى مستقل؟

لقد بسط ابن القيم رحمه الله هذه المسألة ونقل آراء العلماء فيها:

الرأي الأول: أن النَّفس والروح مُسَمَّاها واحد ، وهذا قول الجمهور من العلماء.

الرأي الثاني: أنهما لفظتان متغايرتان [(١)].

ثم الذين قالوا بأنهما لفظتان متغايرتان تعددت آراؤهم في بيان معنى النَّفس والروح، وهذه بعض آراء العلماء التي نقلها ابن القيم:

الرأي الأول: النَّفس طينية، والروح نورية روحانية.

الرأي الثاني: الروح لاهوتيه، والنَّفس ناسوتيه، وأن الخلق بها ابْتُلِّى.

الرأي الثالث: الروح غير النَّفس، والنَّفس غير الروح، وقوام النَّفس بالروح، والنَّفس صورة العبد، والهوى والشهوة، والبلاء معجون فيها، ولا عدو أعدى لابن آدم من نفسه، فالنَّفس لا تريد إلا الدنيا، ولا تحب إلا إياها، والروح تدعو إلى الآخِرةِ وتؤثرها، وجُعل الهوى تبعاً لها، والشيطان تبعُ النَّفس والهوى، والمَلَك مع العقل والروح، والله تعالى يَمُدُّها بإلهامِه وتوفيقهِ.

الرأي الرابع: الروح غير النَّفس فالإنسان حياة، وروحٌ، ونفس، فإذا نام خرجت نفسه التي يعقل بها الأشياء لم تفارق الجسد بل تخرج كحبل ممتد له شعاع فيرى الرؤيا بالنَّفس التي خرجت منه وتبقى الحياة والروح في الجسد، فيه يتقلب ويتنفس، فإذا حُرِّك رجعت إليه أسرع من طرفة عين،

---

(١) كتاب الروح، الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية، ص٣٤٨.

فإذا أراد الله ﷻ أن يميته في المنام أمسك تلك النَّفس التي خرجت، وإذا نام خرجت نفسه فصعدت إلى فوق، فإذا رأت الرؤيا رجعت فأخبرت الروح فيصبح يعلم أنه قد رأى.

الرأي الخامس: الأرواح من أمر الله أخفى حقيقتها وعلمها على الخلق.

الرأي السادس: الأرواح نور من الله وحياة من حياة الله (١).

أما الإمام السهيلي (٢) فذكر أن الروح هي ذات لطيفة كالهواء سارية في الجسد كسريان الماء في عروق الشجر، وأن الروح التي ينفخها الملك في الجنين هي النَّفس، بشرط اتصالها بالبدن واكتسابها بسببه صفات مدح أو ذم، وهي إما نفس مطمئنة أو أمارة بالسوء.

وعلى هذا لا يقال للنفس روح إلا على هذا النحو، وكذلك لا يقال للروح نفس إلا باعتبار ما تؤول إليه، فالروح أصل النَّفس ومادتها والنَّفس مركبة منها ومن اتصالها بالبدن (٣).

أما الشيخ سعيد حوى في بيانه للنفس والروح فبين أن الروح إذا خالطت الجسد تسمى نفساً، قال تعالى: ﴿اللهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ...﴾ [الزُّمر:٤٢]، فالروح التي تقبض حين الوفاة سماها الله ﷻ نفساً، فالإنسانُ مؤلفٌ من الروح والجسد أو النَّفس والجسد، فجاءت النصوص القرآنية تتحدث عن جانب الجسد، وجانب النَّفس، أو الروح بما فيها ، ثم يبين الشيخ أن الروح عندما تحل في الجسد تسمى نفساً وتصبح أسيرة لهذا الجسد، وبالتالي تتحكم فيها مطالب الجسد، وتفكير الدماغ، وقرار القلب، والبيئة، وبقدر ما تسيطر عليها الشهوات يصبح القلبُ أسيراً لها، وبقدر ما يستنيرُ القلبُ يمكن أن يؤثر في ذاتِ الإنسانِ، إما أن يسيطر العقل، أو القلب، أو الروح

---

(١) انظر: كتاب الروح، ص٣٥٠-٣٥١.

(٢) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن الخطيب بن أحمد الخَثْعَمي السهيلي نسبه إلى السُّهَيْل وهي قرية بالغرب من مالقه بالأندلس، ولد سنة ثمان وخمسمائة بمدينة مالقه بالأندلس، عمى وعمره سبعة عشر سنة، عالماً من جله العلماء وعِليتهم، عارفاً، متقناً، ضابطاً، حافظاً عالماً بالقراءات واللغات والأدب شاعراً أخذ القراءات عن جُماعه، وروى عن ابن العربي والكَبَّار، وبرع في علم اللغة العربية، واللغات، والأخبار، والأثر، كان مالكي المذهب مشهوراً بالصلاح والورع والعفاف والقناعة وبالكفاف، من مصنفاته: الإيضاح والتبيين لما أُبهم من تفسير الكتاب المبين، ونتاج الفكر، والتعريف والإعلام فيما أُبهم في القرآن من الأسماء والأعلام والروض الآنف وتفسير سورة يوسف، توفي سنة إحدى وثمانين وخمسمائة بمدينة مالقه بالأندلس، ٥٠٨-٥٨١هـ-١١١٤-١١٨٥م.

انظر: وفيات الأعيان وأنباء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، م٣، ص١٤٣-١٤٣٤، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، الفقيه الأديب أبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي، ج٤، ص٢٧١، ٢٧٢، الأعلام، خير الدين الزركلي، م٣، ص٣١٣، أعلام مالقه، لأبي عبد الله بن عسكر وأبي بكر بن خميس، ص٢٥٢.

(٣) تفسير القرآن الكريم، ج٣، ص٦٥ بتصرف.

أو الجسد، فإذا تطهر القلب وتنور فعندئذ تكون الروح في وضع العبودية، فتظهر فيها الأخلاق العُليا كلها، وإلا فإنها تنتكس، لذا جاء التكليف للإنسان بشكله المتكامل المؤلف من الروح، والجسد، فهو المكلف أن يجعل جسمه ونفسه وعقله وقلبه على مقتضى أمرِ الله ﷻ [1].

بعد بسط هذه الآراء يرى الباحث أن ما ذهب إليه الشيخ سعيد حوى من أن الروح إذا خالطت الجسد تصبح نفساً، وتصبح أسيرةً له فإن هذا الرأي أكثر الآراء وضوحاً وبياناً، وذلك لعدة اعتبارات منها:

إن جمهور العلماء يرون أن النَّفس والروح اسمان مترادفان، إضافةً إلى أن أهل اللغة يطلقون النَّفس على الروح، عدى عن أن كثيراً من النصوص القرآنية أوردت ذكر النَّفس ويراد بها الروح بعد تلبسها بالجسد. وهذه بعض من الآيات التي ساقها الشيخ سعيد حوى والتي توضح الرأي الذي ذهب إليه:

* قال تعالى: ﴿**وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفس اللوَّامة**﴾ [القيامة:٢].

* قال تعالى: ﴿**وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفس عَنِ الهَوَى**﴾ [النَّازعات:٤٠].

* قال تعالى: ﴿**يَا أَيَّتُهَا النَّفس الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً**﴾ [الفجر : ٢٧-٢٨].

* قال تعالى: ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا**﴾ [الشمس : ٧-٨].

وغير ذلك من الآيات التي أوردها الشيخ، ثم أورد بعضاً من النصوص القرآنية تثبت أن النَّفس يراد بها الروح:

* قال تعالى: ﴿**أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ اليَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الهُونِ ...**﴾ [الأنعام:٩٣].

* قال تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آَدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى ...**﴾ [الأعراف:١٧٢].

* قال تعالى: ﴿**اللهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا المَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ...**﴾ [الزُّمر:٤٢].

ثم ذكر الشيخ نصوصاً في النَّفس ويراد بها الذات:

* قال تعالى: ﴿**وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا ...**﴾ [البقرة:٤٨] .

---

(١) انظر: الأساس في السنة وفقهها، للشيخ سعيد حوى، م١، ص٢٤-٢٧ بإيجاز.

* قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ...﴾ [النساء:١].

* قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا ...﴾ [آل عمران:٣٠].

* قال تعالى: ﴿...أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ...﴾ [المائدة:٣٢][١].

وهناك نصوص ذكرها الشيخ في النَّفس ويراد بها القلب، ليس هذا محل ذكرها.

بقي أن نشير إلى أن الروح تطلق كذلك على القرآن الذي أوحاه الله إلى رسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا ...﴾ [الشُّورى:٥٢].

وكذلك تطلق على الوحي الذي يوحيه اللهُ إلى أنبيائه ورسوله ، قال تعالى: ﴿... يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ [غافر:١٥].

قال تعالى: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ [النحل:٢].

وسمي القرآن روحاً لما يحصل به من الحياة النافعة، فالحياة بدونه لا تنفع صاحبها البتة، بل حياة الحيوان البهيم خير منها وأسلم عاقبة، وسميت الروح روحاً لأن بها حياة البدن، وسميت النَّفس روحاً لحصول الحياة بها، وسميت نفساً إما من الشيء النفيس لنفاستها وشرفها، وإما من تنفس الشيء، فلكثرة دخولها وخروجها في البدن سميت نفساً [٢].

وبتتبع الآيات التي تتحدث عن النَّفس نجد أنها تنقسم إلى أقسام أربعة وهي: نفس المؤمن، ونفس الكافر، ونفس المنافق، ونفس الكتابي.

المطلب الأول: نفس المؤمن:

قبل الحديث عن نفس المؤمن **سيبين الباحث** معنى الإيمان الذي يُكسِبُ الإنسان المؤمن صفة الإيمان فتنعكس على نفسية المؤمن متمثلة في عقله، وقلبه، وسائر جوارحه، في أفعاله، وأقواله، وحركاته، وسكناته، وسائر تصرفاته، وأنماط سلوكه.

أولاً: الإيمان لغة: التصديق، وأصل الإيمان الدخول في صدق الأمانة التي ائتمنه الله تعالى عليها، فإن اعتقد التصديق بقلبه كما صدق بلسانه فقد أدى الأمانة وهو مؤمن، ومن لم يعتقد التصديق

---

(١) انظر: الأساس في السنة وفقهها، م١، ص٦٣-٧٣ بإيجاز.

(٢) كتاب الروح، ص٣٤٩ بتصرف.

بقلبه فهو غير مؤد للأمانة التي ائتمنه الله عليها وهو منافق، ومن زعم أن الإيمان هو إظهار القول دون التصديق بالقلب فهو لا يخلو من أن يكون منافقاً، أو جاهلاً لا يعلم ما يقول أو يقال له، وقد يطلق الإيمان على الإقرار باللسان فقط، كقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ...﴾ [المنافقون:٣]، أي آمنوا باللسان وكفروا بالجنان، وقد يكون الإيمان إظهار الخضوع وقبول الشريعة وما أتى به النبي ﷺ واعتقاده وتصديقه بالقلب، ويستعمل تارةً اسماً للشريعة التي جاء بها النبي ﷺ، وتارةً يستعمل على سبيل المدح ويراد به إذعان النَّفس للحق على سبيل التصديق، وذلك باجتماع ثلاثة أشياء، تحقيق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان ويقال لكل واحد من: الاعتقاد، والقول، والصدق والعمل الصالح إيمان [١].

ثانياً: الإيمان اصطلاحاً: تعددت آراء العلماء في تعريفهم للإيمان فذهب البعض منهم إلى أنه: تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وهذا التصديق يستلزم العمل ويَستَتْبِعُه [٢].

وذهب فريق من العلماء إلى أن الإيمان: تصديق بالجنان، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان [٣].

ونقل ابن تيمية رحمه الله أقوال السلف في بيان معنى الإيمان منها:

أ- **الإيمان:** هو قول وعمل.

ب- **الإيمان:** قول وعمل يزيد وينقص.

ج- **الإيمان:** قول وعمل ونية واتباع سنة.

د- **الإيمان:** هو قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح.

وبعدما أن أورد ابن تيمية هذه التعريفات بين أنها كلها صحيحة منقولة عن أقوال السلف وأئمة السنة، فالخلاف لا يخرج عن أنه خلاف لفظي، فإذا قالوا: قول وعمل، فإنه يدخل في القول قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح، ومن أراد الاعتقاد ورأى أن لفظ القول لا يفهم منه إلا القول الظاهر فزاد الاعتقاد بالقلب، ومن قال: قول وعمل ونية، قال: القول يتناول الاعتقاد وقول اللسان، وأما العمل فقد لا يفهم منه النية [٤].

---

(١) انظر: تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، م٩، ص١٢٤.

(٢) العقيدة الإسلامية عند الفقهاء الأربعة، أ.د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي، ص٢٧٨.

(٣) نفس المرجع السابق، ص٢٧٩.

(٤) كتاب الإيمان، شيخ الإسلام ابن تيمية، ص١٥١ بتصرف.

والخلاصة: الإيمان ما وقر في القلب وصدقه القول والعمل.

ومن خلال تتبع الآيات القرآنية التي ورد فيها الحديث عن نفس المؤمن، نجد أن هناك أحوالاً أو صفاتٍ ثلاثة لنفس المؤمن وهي: النَّفس الأمارة بالسوء، والنَّفس اللوَّامة، والنَّفس المطمئنة.

١- **النَّفس الأمارة بالسوء:** حالة من حالات النَّفس البشرية، فعندما تنحط النَّفس وتميل عن طبيعة الفطرة التي فطرها الله عليها، فَتَحيد بصاحبها عن الخير إلى الشر، وتُسَوِّل له الإقدام عليه وفعله، وارتكاب المحرمات.

وقد عرف الجرجاني هذه النَّفس بأنها التي تميل إلى الطبيعة البدنية، وتأمر باللَّذَّات والشهوات الحِسِّيَّة، وتجذب القلب إلى الجهة السفلية، فهي مأوى الشُّرُور، ومنبع الأخلاق الذميمـــة [(١)].

وتتكشف حقيقة هذه النَّفس من خلال انغماسها باللَّذَّات والشهوات، والهبوط بالإنسان إلى دركات سُفلى، فالشُّرُور والآثام ديدنها، والأخلاق الذميمة طبائعها وسجاياها.

لذا بين ابن القيم رحمه الله خطر هذه النَّفس وهيمنة الشيطان عليها فقال: "أما النَّفس الأمارة فالشيطان قرينها وصاحبها، فهو يعِدُها ويُمنِّيها، ويقذف فيها الباطل، ويأمرها بالسوء، ويزينه لها ويطيل في الأمل، ويريها الباطل في صورة تتقبلها وتستحسنها، ويمدها بأنواع الإمداد الباطل من الأماني الكاذبة والشهوات المهلكة، ويستعين عليها بهواها وإرادتها، فمنه يدخل عليها كل مكروه، فما استعان على النفوس بشيء هو أبلغ من هواها وإرادتها إليه [(٢)].

لأجل ذلك كان النبي ﷺ يستغفر الله ويعوذ به من شرور النَّفس كما ورد في حديث خطبة الحاجة: (**إن الحمد لله نحمده ، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا** ...)[(٣)].

النَّفس الأمَّارة بالسوء نفس مندفعة نحو الشهوات، والمزالق والمعاصي، والمهالك، لذا جاء الوصف بالأمَّارة وهي صيغة مبالغة وهي على وزن فعَّال.

* قال تعالى: ﴿**وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفس لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ [يوسف:٥٣]، للعلماء في هذه الآية أكثر من رأي:

---

(١) التعريفات، ص٢٤٣.

(٢) كتاب الروح، ص٣٦٤.

(٣) رواه أبو داود في سننه، باب ما جاء في خطبة النكاح، ص٣٦٨، حديث رقم (٢١١٨)، وسنن الترمذي، باب ما جاء في خُطبة الحاجة، ص٢٠٦١، حديث رقم (١١٠٥)، قال الألباني: حديث صحيح.

الرأي الأول: أن هذا القول من قول امرأة العزيز، فيكون المستثنى نفس يوسف وأمثاله **(إلا ما رحم ربي)** وذلك بصرف السوء والفحشاء.

الرأي الثاني: أن ذلك من قول يوسف ﷺ فيكون المعنى: لا أُنزه نفسي تنبيهاً على أنه لم يرد بذلك تزكية نفسه، والعُجب بحاله، بل إظهار أنعم الله عليه من العصمة والتوفيق (١).

والراجح من أقوال العلماء أن هذه من تتمة كلام امرأة العزيز وهذا ما قاله ابن كثير، لأن سياق الكلام كله من امرأة العزيز بحضرة الملك، ولم يكن يوسف ﷺ عندهم بل بعد ذلك أحضره الملك (٢).

هذه الآية تبين صفة وحالة من حالات النَّفس وهي الأمَّارة بالسوء، فهي تأمر بكل سوء وهذا من طبيعتها، وما من أحدٍ خرج من شر نفسه إلا بتوفيق الله وإعانته له، لذا جاءت الفاصلة القرآنية لتبين عظيم مغفرة الله وفضله لمن تاب وأناب، وعمل صالحاً ورجع عمَّ يعتري هذه النَّفس من الأمر بالسُّوء ، والحض عليه.

وهذه النَّفس تزين للإنسان الشَّر وتسهله له لينزلق في أوحاله وأدرانه، ويغرق في مستنقعه.

* قال تعالى: في شأن قابيل : ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾ [المائدة:٣٠].

قال البروسوي في تفسيره لهذه الآية: "أي وسعته وسهلته أي جعلته سهلاً وهونته، وتقدير الكلام فصورت له نفسه أن قتل أخيه طوع له ، سهل عليه ، ومتسع له لا ضيق فيه ولا حرج ، فإن قتل النَّفس بغير حق لاسيما قتل الأخ إذا تصوره الإنسان يجده شيئاً عاصياً نافراً كل النفرة عن دائرة الشرع والعقل بعيداً عن الإطاعة والانقياد البتة، ثم إن النَّفس الأمَّارة إذا استعملت القوة السَّبعية الغضبية صار لها الفعل أسهل عليها، فكأن النَّفس صيرته كالمطيع لها بعد أن كان كالعاصي المتمرد عليها ..." (٣).

أما الشيخ الشعراوي فذكر في تفسيره لهذه الآية: لا يقال طوعت الشيء إلا إذا كان الشيء متأبياً على الفعل، فلا تقل: أنا طوعتُ الماءَ إنما تقول: طوعتُ الحديد، ثم بين الشيخ أن الإنسان فيه ملكتان اثنتان، ملكة فطرية تحب الحق وتحب الخير، وملكة أهوائية خاضعة للهوى، فالملكتان تتصارعان، فكأن النَّفس الشريرة الأهوائية تغلبت على الخيرة، فكأنما هناك تجاذباً وتصارعاً وتدافعاً،

---

(١) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ج١٣، ص٥، ٦ بتصرف.

(٢) تفسير القرآن العظيم، م٢، ص٤٩٩.

(٣) روح البيان في تفسير القرآن، الشيخ إسماعيل حقي بن مصطفى الحنفي الخلوي البروسوي، م٥، ص٣٨٦.

لأن الإنسان لا يحب الظلم إن وقع عليه، ولكن ساعة يتصور أنه هو الذي يظلم غيره فقد يقبل ذلك [١].

وذهب البقاعي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ [يوسف:١٨]، فقال: "بل سولت" أي لم يأكله الذئب، بل زينت وسهلت "لكم أنفسكم أمراً" أي أمر عظيم أبعدتم به يوسف"[٢].

فهذه صفة النَّفس الأمارة التي تُزين الشر وتسهله للإنسان، وبين الميداني أن "التسويل" يعنى التحسين، والتزيين، والتحبيب بالأمر والإغراء به، وتهوينه وتسهيله [٣].

وبهذا يكون عمل أخوة يوسف بيوسف من إلقائه في البئر للتخلص منه، قد حسنت، وزينت، وحببت، وأغرت، وهونت، وسهلت نفوسهم لهم عمله، خصوصاً أن قبح هذا العمل تكون درجته أشد، وأعظم على النَّفس إذا كان وقوعه بأخيهم، وقد يكون وقعه أخف درجة إذا كان إيقاعه على غير ذي قرب.

يُستنتج من خلال صفات هذه النَّفس أنها نفس شيطانية، تسيطر على الإنسان وتستولي على حركاته وسكناته وما يصدر عنه من أمور فتصبح هي التي تدير الإنسان الذي أصبح أسيراً لإشباع رغبات وشهوات ونزوات هذه النَّفس، لذا لا يَملُّ الشيطانُ من الوسوسة للإنسان بين الفينة والأخرى حتى يُحَيِّدَ الإنسان عن طريق الهداية والرشاد إلى طريق الغواية والضلال.

* قال تعالى: في شأن إبليس لعنه الله: ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤-١٧].

هذه الآيات تبين طبيعة الحرب المعلنة من قبل إبليس لعنه الله على ذرية آدم عليه السلام حيث سيأتيهم إبليس لعنه الله من عدة جهات ليحاصرهم ويغويهم:

الجهة الأولى: من بين أيديهم "من أمامهم".

الجهة الثانية: من خلفهم.

الجهة الثالثة: عن اليمين.

---

(١) انظر : تفسير الشعراوي، م٥، ص٣٠٧٨.

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج٤، ص١٨.

(٣) معارج التفكر ودقائق التدبر، الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، م٤، ص١٣٤.

الجهة الرابعة: عن الشمال.

وهذه خطة الحرب التي بينها الله في كتابه لكي نحذره، فهي إما أن تكون صدىً من الأمام، أو جذب من الخلف، أو التحويل ذات اليمين أو الشمال، وفي نهاية المعركة ستجد أكثر الناس كفورين يستحقون الخلود يوم الدين في النَّار (1).

فالشيطان ديدنه الوسوسة، والغواية للإنسان، لذا قال تعالى ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ * مِنْ شَرِّ الوَسْوَاسِ الخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ [الناس:١-٥]، وقال أيضاً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ﴾ [محمد:٢٥]، وقال أيضاً: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا ...﴾ [الأعراف:٢٠] ، وقال أيضاً: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ [الإسراء:٥٣].

هذه الآيات تشير إلى العداوة المطلقة بين الإنسان والشيطان، وأن النَّفس الأمَّارة بالسوء هي نفس قرينة للشيطان، فتارة يوسوس لها الشيطان ليغويها ويضلها، وتارة يتعلم منها فنون الفساد، والإغواء، والضلال.

* قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ...﴾ [الأنعام:١٠٤].

* وقال أيضاً: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ...﴾ [النساء:٧٩].

حقاً قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر طريق الله سار في هداه فأنار الله له حياته وسعد فيها وفي أُخراه، ومن عمى عن هداه أضله الشيطان فظلم نفسه وأهلكها وأدخلها مداخل الغواية والضلال وخسر الدنيا والآخرة، هذه هي النَّفس الأمارة بالسوء وهذه صفاتها وأحوالها وهذه نهاية ما قدمت وعملت الخسران في الدنيا والآخرة.

٢- **النَّفس اللوَّامة:** النَّفس اللوَّامة هي الحالة أو الصفة الثانية من صفات النَّفس المؤمنة، ولقد أقسم الله تبارك وتعالى بهذه النَّفس لعظمها وعلو شأنها عنده فقال تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ القِيَامَةِ * وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفس اللوَّامة ﴾ [القيامة :١-٢].

ولقد تعددت آراء العلماء في بيان حقيقة هذه النَّفس:

الرأي الأول: اللفظة "اللوَّامة" مأخوذ من التَّلوُّم وهو التردد فهي كثيرة التقلب، والتلون، وهي من أعظم آيات الله، فإنها مخلوق من مخلوقات الله تتقلب وتتلون.

---

(١) انظر: معارج التفكر ودقائق التدبر، م٤، ص١٢٢، ١٢٣ بإيجاز.

الرأي الثاني: اللفظة مأخوذة من اللوم.

أما الذين قالوا بأن اللفظة مأخوذة من اللوم فتعددت آراؤهم أيضاً:

الرأي الأول: هي نفس المؤمن، وهذا من صفاتها المجردة.

الرأي الثاني: هي نفس المؤمن توقعه في الذنب ثم تلومه عليه، فهذا اللوم من الإيمان، بخلاف الشقي فإنه لا يلوم نفسه على ذنب ، بل يلومها على فواته.

الرأي الثالث: أن هذا اللَّوم للنوعين "براً وفاجراً" فإن كل واحد يلوم نفسه براً كان أو فاجراً، فالسعيد يلومها على ارتكاب معصية الله وترك طاعته، والشقي لا يلومها إلا على فوات حظها وهواها.

الرأي الرابع: هذا اللوم يكون يوم القيامة، فإن كل واحد يلوم نفسه حينها، فإن كان مسيئاً يلومها على الإساءة، وإن كان محسناً يلومها على تقصيره. وهذه الأقوال كلها حق ولا تنافي بينها لأن النَّفس موصوفة بهذا كله باعتبارها سميت لوَّامة [١].

ولقد بين ابن القيم رحمه الله أن النَّفس اللوَّامة نوعان:

النوع الأول: لوامة ملومة: وهي النَّفس الجاهلة الظالمة التي يلومها الله وملائكته.

النوع الثاني: لوامة غير ملومة: وهي التي لا تزال تلوم صاحبها على تقصيره في طاعة الله مع بذله جهده، فهذه غير ملومة، وأشرف النفوس من لامت نفسها في طاعة الله واحتملت ملام اللَّائمين في مرضاته فلا تأخذها فيه لومة لائم، فهذه قد تخلصت من لوم الله، وأما من رضيت بأعمالها ولم تلم نفسها ولم تحتمل في الله ملام اللُّوَّام فهي التي يلومها الله ﷻ [٢].

وقد عرفها الجرجاني بأنها: "النَّفس التي تنورت بنور القلب قدر ما تنبهت به عن سِنة الغفلة، كلما صدرت عنها سيئة بحكم جِبِلَّتها الظلمانية، أخذت تلوم نفسها" [٣].

أما أنس ذكوان، فأورد – في معرض حديثه عن هذه النَّفس – بأنها: "هي التي لامت نفسها في طاعة الله، واحتملت ملام اللائمين في مرضاته، فلا تأخذها فيه لومة لائم، فهذه قد تخلصت من لوم الله، وأما من رضيت بأعمالها ولم تلم نفسها ولم تحتمل في الله ملام اللوام، فهي التي يلومها ﷻ [٤].

---

(١) كتاب الروح، ص٣٦١، ٣٦٢ بتصرف.

(٢) المرجع السابق، ص٣٦٢.

(٣) التعريفات، ص٢٤٣.

(٤) منهج الإسلام في تزكية النَّفس، م٢، ص٥٤.

ونقل عن الإمام القرطبي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ * وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة :١-٢]، أن الله أقسم بيوم القيامة تعظيماً لشأنها، وأقسم كذلك بالنَّفس اللوَّامة التي هي نفس المؤمن الذي لا تراه إلا يلوم نفسه، ماذا أردت بكلامي؟ وماذا أردت بأكلي؟ وماذا أردت بحديثي؟ والفاجر لا يحاسب نفسه؛ ثم نقل الإمام بعد ذلك عدة آراء للعلماء في بيان حقيقة هذه النَّفس اللوَّامة:

الرأي الأول: هي التي تلوم على ما فات، وتندم، فتلوم نفسها على الشر لم فَعَلته، وعلى الخير لم لا تستكثر منه.

الرأي الثاني: أنها ذات اللوم، فإنها تلوم نفسها بما تلوم عليه غيرها، فهي بذلك تكون بمعنى اللائمة وهي صفة مدح لها.

الرأي الثالث: هي بمعنى الملومة المذمومة، وهي صفة ذم وعلى هذا فإن أصحاب هذا الرأي يقولون بنفي القسم بهذه النَّفس.

الرأي الرابع: هي نفس الكافر يلوم نفسه ويتحسر في الآخرة على ما فرط في جنب الله.

الرأي الخامس: ليس من نفس محسنة أو مسيئة إلا وهي تلوم نفسها، فالمحسن يلوم نفسه لو أنه ازداد إحساناً، والمسيء يلوم نفسه لو أنه لم يُسئ (١).

هذه هي النَّفس اللوَّامة، وهذه صفاتها التي تنعكس على نفس المؤمن.

٣- **النَّفس المطمئنة:** النَّفس المطمئنة هي غاية الكمال والصلاح، فهي نفسٌ ارتقت إلى المعالي، فاطمأنت من الشك إلى اليقين، ومن الجهل إلى العلم، ومن الغفلة إلى الذكر، ومن الخيانة إلى التوبة، ومن الرياء إلى الإخلاص، ومن الكذب إلى الصدق، ومن الكبر والعجب إلى التواضع والتذلل لله، وهي التي تحررت من أسر وقيد الشهوات إلى الطمع بما عند الله في دار الخلد، إنها نفس ملائكية في صورة إنسان، لا ترى ولا تعرف إلا طريق الله وطاعته ولا تبصر إلا الخير، والبر، والإحسان.

قال الجرجاني في تعريفه لهذه النَّفس: "هي التي تمَّ تنورها بنور القلب حتى انخلعت من صفاتها الذَّميمة، وتخلقت بالأخلاق الحميدة" (٢).

ولقد أجلَّ الله تعالى هذه النَّفس وكرمها، فقال تعالى: ﴿ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ [الفجر: ٢٨-٢٩].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، م١٠، ص٧٩ بتصرف.

(٢) التعريفات، ص ٢٤٣.

وللعلماء في النَّفس المطمئنة عدة آراء نقلها القرطبي في تفسيره:

الرأي الأول: هي النَّفس الساكنة، الموقنة، أيقنت أن الله ربها فأخبتت لذلك.

الرأي الثاني: هي المطمئنة بثواب الله.

الرأي الثالث: هي النَّفس المؤمنة الموقنة.

الرأي الرابع: هي النَّفس الآمنة من عذاب الله.

الرأي الخامس: هي النَّفس المخلصة.

الرأي السادس: هي النَّفس العارفة التي لا تصد عنه طرفة عين.

الرأي السابع: هي النَّفس التي عملت على يقين بما وعد الله في كتابه.

الرأي الثامن: هي النَّفس المطمئنة بالإيمان، المصدقة بالبعث والثواب.

الرأي التاسع: المطمئنة لأنها بُشِّرت بالجنَّة عند الموت، وعند البعث، ويوم الجمع.

الرأي العاشر: هي النَّفس الراضية بقضاء الله، التي علمت أن ما أخطأها لم يكن ليصيبها، وأن ما أصابها لم يكن ليخطئها.

والصحيح كما قال القرطبي: أنها نفس كل مؤمن مخلص طائع [1].

يتضح من ذلك أن كل ما ذكره العلماء من آراء في هذه النَّفس لا يخرج عن صفات النَّفس المؤمنة الواثقة الموقنة بخالقها، فهي نفس اطمأنت إلى خالق الخلق، وسلمت له في كل حال، وكل مقال، وكل حركة وسكنة، فهذه النَّفس رضيت عن الله ورضي الله عنها وأرضاها.

* قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ آَمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ القُلُوبُ**﴾ [الرعد:٢٨].

* وقال أيضاً: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ المَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ**﴾ [فصِّلت:٣٠].

الفرق بين النَّفس المطمئنة والنَّفس اللوَّامة:

يتبين الفرق بين النَّفس المطمئنة والنَّفس اللوَّامة من خلال التعرف على حقيقة كلٍ منهما، فالنَّفس اللوَّامة تقف في وجه النَّفس الأمارة، وتكبح جماحها فتَغْلِب أو تُغلب، وتقوى أو تضعف، ولكن النَّفس المطمئنة: حالة مستقرة من حالات النَّفس، راسخة لا تعرف إلا الخير، ولا يصدر عنها

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، م ١٠، ص ٣٠٦.

إلا ما يرضي الله، ترضى لرضاه، وتسخط لما يسخط الله، فالخير ملكة مستقرة في هذه النَّفس لا تحتاج معها إلى مجاهدة طويلة [(١)].

والذي **يود الباحث** إضافته إلى الفرق بين النَّفسين، أن النَّفس المطمئنة نفس ملائكية، تعالت على الشهوات فلا تأسرها، وأيقنت بما عند الله فلا ترضى سواه، فلا تأخذ من الدنيا إلا بقدر الترحال، ولا ترضى بغير الجنَّة موطناً ومآلاً، إنها رضيت بقضاء الله خيره وشره، فلا حاكم سواه، ولا سعادة إلا بالقرب منه، والسعي لرضاه.

المطلب الثاني: نفس الكافر:

نفس الكافر نفسٌ جاحدة، معاندة، مضطربة، قلقة، حائرة، تبحث عن المصالح الشخصية والنفع الذاتي، ولو كلفها ذلك تدمير المجتمع، وقطع أواصر الألفة والمحبة ووشائج الرحمة، لذا فالمجتمع الكافر مجتمع يسيطر عليه الصراع الدائم على الموارد، والمقدرات، والمصالح، ويسيطر على أفراده السلوك النفعي المادي، فتجد أفراده يتصارعون على تحقيق المنافع الذاتية، مما يؤدي بالمجتمع إلى الضياع والهلاك، لذا **سيبين الباحث** معنى الكفر لغة واصطلاحاً للوقوف على حقيقة الكفر، ونفسية الكافر.

الكُفْرُ في اللغة: بتتبع معنى الكُفرِ في كتب اللغة تبين أنه يأتي بمعنى تغطية الشيء وستره، وكل ما غطى شيئاً فقد كَفَرَه، وما تسمية الكافرُ كافراً إلا لأنه غطى قلبه بستره نعم الله ﷻ، وهي الآيات الدالة على توحيده، وعدم الإشراك به، وكذلك الرّسل، والمعجزات، والكتب المنزلة، والبراهين الواضحة، فمن لم يصدق بها فقد كفرها، أي سترها وحجبها عن نفسه، والكفرُ: نقيض الإيمان، يقال لأهل دار الحرب لأنهم كفروا وعصوا وامتنعوا، والكفرُ: جحد النعمة، وهو نقيض الشكر، ويأتي الكفرُ بمعنى البراءة، كقوله تعالى حكاية عن الشيطان: ﴿... إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ ...﴾ [إبراهيم:٢٢]، ويقال: كَفَرَ بالله يكفُر وكُفْراً وكُفُرَاً وكُفْراناً، ويقال: رجل كافرٌ: أي جاحد لأنعم الله، ويُجمع الكافِرُ على: كِفاراً، وكُفَّار، وكَفَرَة، وكوافِر، وكِفارٌ مثل جائع وجياع ونائم ونيام، ورجلٌ كَفُور وكَفَّار بمعنى كافر، والأنثى أيضاً كَفُورٌ وجمع الكافِرَة كوافِرٌ، وجمعها جميعاً كُفُرٌ.

وتطلق كلمة الكافرِ على معانٍ عديدة، نذكر منها: ظلمة الليل وسواده، لأنه يستر بظلمته كل شيء ويغطيه، وعلى البحر لأنه يستر ما فيه، والوادي العظيم، والنهر العظيم، والسحاب المظلم، والظلمة التي تستر ما تحتها، والزرَّاع لأنه يستر البذور في الأرض، ويخفيها، وعلى التراب لأنه يستر ما تحته، والكافر من الأرض ما بعد عن الناس [(٢)].

---

(١) منهج الإسلام في تزكية النَّفس، م ٢، ص ٥٧ بتصرف.

(٢) لسان العرب، م ١٣، ص ٨٤–٨٧، وتهذيب اللغة، ج ١٠، ص ١٩٣–٢٠٠ بتصرف وإيجاز.

الكفر اصطلاحاً: عرفه القرافي [1] هو انتهاك خاص لحرمة الربوبية، ويكون بالجهل بالله، وبصفاته، أو بالجُرأة عليه [2].

أو هو عدم التصديق بالله، أو ملائكته، أو كتبه، أو رسله، أو اليوم الآخر، أو أي حكم من أحكام الله، أو أي تقرير ديني يعلم أنه من الدين بالضرورة [3].

درجات الكفر: الخير، والهدى، والرشاد ينبثق عن كلمة التوحيد، وكل ما يتنافى مع التوحيد فهو شرك، والشرك أحد أنواع الكفر، وتزداد درجات الكفر كلما ازداد الإنسان جحوداً، وإنكاراً، ومعاندة، وكثر طغيانه، وشره وآثامه، وتحدى خالق الخلق، وحاد عن دينه الذي أنزل، ورُسُلِهِ الذين أرسلهم لتبليغ شرعه ومنهاجه، فالعالم المعاند أشد شراً من الجاهل المنكر، وصاحب الدين المشرك أقل خطراً من الزنديق الذي لا دين له، وأشد أنواع الكفر الملحد المنكر لوجود الله الذي لا يرى الوجود إلا مادة متطورة، فليس هناك خالق لهذا الكون، ومن أنواع الكفر الشرك بالله مع الإيمان به رباً خالقاً، لذا قال المشركون الذين يعبدون الأصنام: ﴿... مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى ...﴾ [الزُّمر:٣].

قال السُّدي: زلفى: بمعنى تقريباً [4]، أي ليقربوهم إلى الله منزلة عنده، عن عبد الله ابن مسعود ﷺ قال: سألت رسول الله ﷺ أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: **(أن تجعل لله نداً وهو خلقك ... الحديث)** [5].

فهم يقرون بوجود الله، ولكن أشركوا في عبادتهم، وقد طالبهم الله بإخلاص العبادة له ، قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ...﴾ [البيِّنة:٥].

---

(١) هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن بن عبد الله الصنهاجي نسبة إلى قبيلة صنهاجة أحد القبائل البربرية في المغرب العربي، والمشهور بين الناس بالقرافي، وهو مصري المولد والنشأة والوفاة، رحل كثيراً في طلب العلم، كان إماماً في الفقه والأصول، تلقى القرافي العلم على يد عدد كبير من خيرة العلماء منهم: سلطان العلماء العز بن عبد السلام، وابن الحاجب عثمان بن عمر ابن أبي بكر بن يونس الملقب جمال الدين، وغيرهم من العلماء الأجلاء، وقد أثرى القرافي التراث الإسلامي بالعديد من المؤلفات والتي منها: الفروق، وشرح تنقيح الفُصُّول في اختصار المحصول في الأصول، وغيرها من المؤلفات. انظر: مقدمة كتاب الفروق، م ١، ص١٥-١٩، كتاب الأعلام، ص ٩٥، ٩٦.

(٢) كتاب الفروق، ص ٢٤١، التحرير والتنوير، م ١، ج ١، ص ٢٤٩.

(٣) كتاب التوحيد، الشيخ عبد المجيد عزيز الزنداني، ج ١، ص ٥.

(٤) تفسير السُّدي الكبير، للإمام أبي محمد إسماعيل بن عبد الرحمن السُّدي الكبير، ص ٤١٦.

(٥) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب كون الشرك أقبح الذنوب وبيان أعظمها بعده، ص ٥٢، حديث رقم (٨٦).

برغم إقرارهم بوجود الله إلا أنهم أشركوا، والله تعالى لا يغفر أن يشرك به شيئاً، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٤٨].

والكافرون جميعاً مخلدون يوم القيامة في نار جهنَّم، وإن تفاوتت درجات عذابهم، وكلما ازدادت درجات الكفر كلما انعكس ذلك على نفس الكافر في صفاته، وأفعاله، وحركاته، وكل أمور حياته.

لأجل ذلك **سيبين الباحث** أهم صفات الكافرين كونها انعكاساً لشخصيتهم، وسلوكهم، وتصرفاتهم، وتفكيرهم في الحياة، مستدلاً على هذه الصفات ببعض الآيات دون الاستطراد في ذلك حتى نستطيع من خلال هذه الصفات التعرف على نفس الكافر.

صفات الكافرين:

١- تعطيل وإهمال وسائل الإدراك عن معرفة الله ورُسُلِه ورسالاتهم.

الكافر على قلبه غشاوة تحجب عنه السمع، والبصر، والتفكر، والتدبر في الكون، فهو لا يستجيب لله ولرسله، فمصيره النَّار، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف:١٧٩].

يخبر الله تبارك وتعالى أنه خلق كثيراً من الجن والإنس للنار، وهم الذين حقت عليهم الكلمة الأزلية بالشقاوة. ومَنْ خلقه الله لجهنَّم فلا حيلة له في الخلاص منها، وهؤلاء ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ أي: لا يعقلون بها الخير والهدى ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ سبيل الهدى والرشاد ﴿وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ مواعظ الله والقرآن بمعنى أنهم في تركهم الحق وإعراضهم عنه بمنزلة من لا يفقه ولا يبصر ولا يسمع ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ﴾ يأكلون ويشربون ولا يلتفتون إلى الآخرة كما تأكل الأنعام وتشرب لا همَّ لها إلا الأكل، وكذلك الكافر ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ وذلك أن الأنعام تبصر منافعها ومضارها فتلزم بعض ما تبصره، وهؤلاء يعلم أكثرهم أنه معاند فيُقدم على النَّار ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ عن أمر الآخرة وما فيها من العذاب (١).

٢- المكر والخديعة بالرّسول والمؤمنين.

المكر والخديعة متمثلة في التخطيط والتفكير بإلحاق الضرر، والأذى بالرّسول، وبالمؤمنين، وذلك بالتخطيط لقتلهم، أو إتلاف عضو من أعضائهم، أو محاصرتهم، أو محاولة

(١) الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ج٢، ص ٤٢٨-٤٣٠.

التخريب، والإضرار بهم، وهذا ديدن الكافرين عبر التاريخ، لأجل ذلك فضحهم الله، وبين خبث أعمالهم، وسوء نياتهم، وكشف ألاعيبهم، وتآمرهم، فبينها في كثير من المواضع في كتابه العزيز نخص منها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال:٣٠].

قال مقاتل: **(ليثبتوك)** يعني ليحبسوك في بيت، **(يخرجوك)** أي من مكة، **(ويمكرون)** يعني بالنبي ﷺ الشر [١].

بالرجوع إلى سبب نزول الآيات تبين لنا طبيعة المكر، والخديعة التي مارسها الكفار ضد الرّسول ﷺ وضد المؤمنين، اجتمعت مشيخة قريش في دار الندوة يتشاورون في النبي ﷺ بعدما أسلمت الأنصار، فاعترضهم إبليس في صورة شيخ نجدي فدخل معهم في دار الندوة ليشاركهم الرأي، ليخلُصْ وإياهم إلى رأي شيطاني، فلما أبدى بعض الحضور رأيه في النبي ﷺ فأشار بحبسه، فنهض إبليس وقال: بئس الرأي لأن أصحابه يأتون إليه فيخرجونه، فيكون بينكم وبينهم قتال، ثم بعد ذلك أشار البعض بإخراجه من بين أظهرهم، فنهض إبليس وقال: بئس الرأي لأنكم إذا أخرجتموه، فإن حلاوة قوله وطلاوة لسانه تأخذ القلوب، فيؤمن به الناس فيقوى شأنه، فيأتيكم ويقاتلكم.

فأوجم القوم، ثم نهض أبو جهل فقال: نعمد إلى كل بطن من بطون قريش، فنخرج منهم رجلاً فيضربون محمد ضربة رجل واحد، فيتفرق دمه على القبائل، فلا يستطيع بنو عبد المطلب أن يطالبوا بدمه، فليس لهم إلا الديه.

فنهض إبليس فقال: صدقت إن هذا لأجود الآراء، فقوموا عليه [٢].

بعرض سبب النزول، انجلت وانكشفت حقيقة المكر، وطبيعة الماكرين، وفيما يمكرون.

٣- الجدال في الله بغير علم.

الجدال في الله بغير علم صفة بارزة من صفات الكافرين، تنم عن حقد أعمى وغي واتباع الشياطين، فبين الله لنا هذه الحقيقة في مواضع عديدة منها: قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ﴾ [الحج:٣]، نزلت هذه الآية في النضر بن الحارث، وكان رجلاً

(١) تفسير مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي، م ٢، ص ١٥.

(٢) تفسير الجلالين، ص ٢٤٨، ٢٤٩، وتفسير السُدي، ص ٢٨١ بتصرف.

جدلاً خصماً يجادل في الله بغير علم متبعاً شيطانه وهواه، ومن الأمور التي كثر فيها الجدال جلالُ الله، وكماله، وصفاته، وشرائعه، وأحكامه، وسننه في خلقه، والقرآن، والملائكة، والبعث والموت، وغير ذلك من الأمور التي يجادل فيها الكفار بغير علم متبعين الشياطين وهواهم، حيث يقودهم إلى جهنَّم وبئس القرار والمقر (1).

٤- الكفر، والتكذيب بآيات الله والجدال فيها.

الكفر والتكذيب والجدال طبائع جبلت عليها نفس الكافر، فلا تجده إلا يكفر ويكذب ويجادل في آيات الله، ولقد فضح الله عز شأنه الكافرين، وبين طبيعتهم، ونفسيتهم، كي نحذرهم، ونتلافى شرورهم، وآثامهم في الوقت ذاته توعدهم بالعذاب الشديد.

* قال تعالى: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آَيَاتِ اللهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا ...﴾ [غافر:٤].

تبين الآية أن كتاب الله نور، وعلم، وسلطان من سلطان الله، وحجة ساطعة، وآية بينة، وما يجادل فيها بالتكذيب، ودفعها بالباطل إلا الذين كفروا، وذلك لظلام بصائرهم، وضلال عقولهم، ومرض قلوبهم، وجدالهم من قبيل السخرية والاستهزاء، لا طلباً للعلم والمعرفة (2).

وقد بين الله تعالى مصير ومآل الذين كفروا وكذبوا بآيات الله، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الجَحِيمِ﴾ [المائدة:١٠].

وهذا تهديد، ووعيد لكل من كفر وكذب بآيات الله بأن مصيره الجحيم.

بالنظر إلى الآية السابقة نجد أنها تنهى عن الجدال، وأن الذي يجادل في آيات الله هم الكافرون، في حين قال الله تعالى في شأن النبي ﷺ: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ...﴾ [النحل:١٢٥].

لقد بين الزحيلي في تفسيره لهذه الآية أن الجدال المقصود في الآية بمعنى الخِصام في الله وآياته، والتكذيب بها، والجدال بالباطل بقصد دحض الحق، كوصف القرآن بأنه سحر وأساطير الأولين، ثم قسّم الزحيلي الجدال إلى قسمين: قسم محمود، وقسم مذموم، وهو الذي نهى عنه الله.

أما القسم المحمود: وهو الجدال لبيان الحق، وغوامض الأمور، والوصول إلى فهم الحقائق، وهذا نوع اتخذه الأنبياء، في دعوتهم للوصول إلى إقناع الناس، فقال تعالى في شأن نوح:

---

(1) زهرة التفاسير، م ٩، ص ٤٩٤، وأيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ج ٣، ص ٤٥١، والمقتطف من عيون التفاسير، م ٣، ص ٤١٨، ٤١٩ بتصرف.

(2) جامع البيان عن آي القرآن، م ٣، ص ٤٧٨.

﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا ...﴾ [هود:٣٢]، وكذلك في شأن النبي ﷺ: ﴿...وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ...﴾ [النحل:١٢٥].

أما الجدال المنهي عنه في الآية، فهو جدال بالباطل، وهو الذي كان يجادل فيه الحارث ابن قيس السَّهمي، وغيره من الكفار، وقيل: إن الآية نزلت في شأنه [١].

فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فهي عامة بكل الكافرين عبر التاريخ.

٥- اتباع سبيل الشيطان وموالاته.

طريق الشيطان طريق الكفر، والضلال، فالذي يتبع سبيله ويواليه يقوده إلى النَّار وبئس المصير، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ * كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [الحج: ٣-٤].

في الآية بيان لحال أهل البدع والضلال المعرضين عن الحق، والمتبعين للباطل، يتركون ما أنزل الله على رسوله ﷺ من الحق المبين، فيتبعون أقوال رؤوس الضلالة، الدعاة إلى الكفر والبدع والأهواء والآراء ويتبع كل شيطان عاتٍ مستمر في الشر، وقضى الله على الشيطان أن أمر وشأن من تولاه واتبعه وقلده، فإن الشيطان يضله عن سواء السبيل ويهديه إلى عذاب النَّار الحار المؤلم المقلق المزعج [٢].

٦- عدم الاستجابة لله ورسله والفرار من سماع رسالة الله والاستكبار.

عدم الاستجابة لله ولرسله ورسالتهم سمة بارزة من سمات الكافرين، ولقد أظهر الله في كتابه العزيز في كثير من المواضع هذه السمة، فعلى سبيل المثال لا الحصر، قال تعالى في شأن نوح مع قومه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا * وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ [نوح: ٥-٧].

في صورة لبيان عدم الاستجابة لله ورسله، والإعراض عن دعوة الرّسل، والفرار منها يسوق القرآن قصة نوح مع قومه لمَّا دعاهم إلى الله، فما كان منهم إلا الإعراض، والفرار من دعوة الحق، وذلك بوضع أصابعهم في آذانهم، وتغطية رؤوسهم في صورة لبيان مدى الكفر، والعناد والتكبر، والإصرار على هذا الإعراض تكبراً واستكباراً [٣]، وقال تعالى في بيان تكبر واستكبار فرعون

(١) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، م ١٢، ج ٢٤، ص ٧٥ بتصرف.

(٢) الأساس في التفسير، م٧، ص ٣٥٢٣.

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبد الرحمن ناصر السَّعدي، ص ٨٢٣.

وجنوده: ﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾ [القصص:٣٩].

وهذا هو حال الكافرين عبر التاريخ والأزمنة.

٧- العلو في الأرض.

كلما عظم أمر الكافر استفحل طغيانه، فأظهر في الأرض التمرد، والتكبر، والتجبر، والعناد، والفساد، فتجاوز وضعه الحقيقي ومقامه الأصلي مقام العبودية لله، ولبس ثوب التألُّه، فشأن الكافرين حينما يعظم أمرهم لا يرون إلا أنفسهم، وينصبون أنفسهم إله للناس، فعلى سبيل المثال، قال تعالى في شأن فرعون لما استفحل طغيانه: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الأَرْضِ ...﴾ [القصص:٤]، ثم يخبر الله تبارك وتعالى عن علو فرعون في الأرض، والذي بلغ الطغيان ومجاوزة الحد في الظلم والاستكبار والافتخار بنفسه [١]، بعد ذلك لم يرَ فرعون إلا نفسه فنصب نفسه إله في الأرض فماذا قال: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا المَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ...﴾ [القصص:٣٨] ، ثم عماه الغرور، والكبرياء، والعظمة، فقال للناس: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾ [النَّازعات:٢٤]، وهذا هو حال الطغاة، والجبابرة، الكافرين المعاندين الجاحدين عبر العصور والأزمان التمرد، والتكبر، والتجبر، والعناد، والإصرار عليه.

٨- الإفساد في الأرض.

إذا كان من صفات المؤمنين عمارة الأرض، ونشر القيم، والمثل، والبر، والعدل، والإحسان، وكل وجوه الخير، فإن من صفات الكافرين الإفساد في الأرض، ويندرج تحت هذا المسمى كل أشكال الفساد، من قتل، وظلم، وسلب، ونهب، وتسلط، واستضعاف، وقتل، وسرقة، ونشر الرذيلة بجميع صورها وأشكالها، وإضعاف الناس، وبث الفرقة بينهم، وغير ذلك من صور الفســاد وأشكاله، فحين طغـى فرعون، وتجبر، وتكبر، وعلا في الأرض، وأظهر فيها الفساد، قال تعالى في شأنه: ﴿... إِنَّهُ كَانَ مِنَ المُفْسِدِينَ﴾ [القصص:٤] .

قال القاسمي في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ مِنَ المُفْسِدِينَ﴾ : "أي: المتمكنين من الإفساد وقهر العباد" [٢]، أي: الذي عنده دراية بكل أساليب ووسائل وأدوات الإفساد الممكنة له.

وقال عز شأنه في شأن المفسدين: ﴿... وَاللهُ لَا يُحِبُّ المُفْسِدِينَ﴾ [المائدة:٦٤].

---

(١) تفسير النسفي، م٢، ص ١٢٥٠.

(٢) تفسير القاسمي "محاسن التأويل"، م٨، ج١٣، ص ٩٥.

٩- الاستخفاف بالناس، واستضعافهم، وسفك دمائهم، وتدمير ممتلكاتهم.

الاستخفاف بالناس، واستضعافهم، وسفك دمائهم، وتدمير ممتلكاتهم، شعار كبراء الكفار، وزعمائهم عبر التاريخ، وهذه سياسة عامة للكافرين، قال تعالى في شأن فرعون مع قومه: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ [الزُّخرف:٥٤] ، وحينما تتعرض مصالح الكافرين للخطر يحرقون الأخضر واليابس في سبيل أن تظل مصالحهم، فحينما شعر فرعون أنه سيولد طفل في بني إسرائيل يكون زوال ملكه على يديه، صنع الأعاجيب، وقتل الأطفال، واستحيى النساء، وفرق جموع الناس، واستضعفهم، وأذاقهم سوء العذاب، وأذلهم، فقال تعالى واصفاً هذه الحالة الفرعونية: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص:٤].

تظهر الآية حقيقة فرعون في سياسته للبلاد التي حكمها بالمجاوزة بالقهر والتجبر والظلم والعدوان، وجعل أهل تلك البلاد فرقاً وجماعات مختلفة ومتعددة ومتناحرة بإغراء العداوة والبغضاء بينهم؛ ليسهل حكمهم "سياسة فرق تسد"، ولم يكتفِ بذلك، بل استضعف جماعة منهم وقهرهم وسامهم سوء العذاب، وذبّح أبناءهم حين الولادة، وترك الإناث أحياء، إن هذه الأفاعيل من قبل فرعون وجنوده تسمهِ بسمة المتمرس والمتمكن في الفساد (١).

هذه سياسة الطغاة والجبابرة عبر التاريخ لا تتغير ولا تتبدل، ولكن تتغير الأسماء، والأشكال، فالسياسة واحدة، ومن خلالها تتحدد شخصية وملامح الطاغية.

١٠- قتالهم في سبيل الطاغوت.

الكافر لا يقاتل إلا لأجل الشيطان، والهوى، والنَّفس، ومصالحه الشخصية، فبين الله حالهم، فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء:٧٦].

تبين الآية أن الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله ونُصرة دينه ومنهاجه، والذين كفروا يقاتلون في سبيل الشيطان، فقاتلوا أنصار الشيطان تغلبوهم لقوتكم بالله، إن كيد الشيطان بالمؤمنين كان ضعيفاً (٢).

---

(١) تفسير المراغي، م٧، ص ٣٣، ٣٤ بتصرف.

(٢) تفسير الجلالين، ص ١١٨ بتصرف.

١١- الحكم بغير ما أنزل الله.

أهم ملامح المجتمعات الإنسانية هي الحاكمية التي ينبغي أن تكون لله، ومن خلالها تتمايز المجتمعات تقدماً ورقياً ونهوضاً، والنكوص والتمرد على حكم الله سمة من سمات الكافرين، وسبب من أسباب تردي المجتمعات وانحسارها، واندثارها، وضعفها، وهزيمتها، ولقد أشار الله تعالى لهذه السمة، فقال تعالى: ﴿ ... وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤].

نقل ابن كثير قول العلماء في تفسيره لهذه الآية "قال السُّدي: من لم يحكم بما أنزل الله فتركه عمداً وهو يعلم، فهو من الكافرين.

قال ابن عباس: من جحد ما أنزل الله فقد كفر، ومن أقر به فهو ظالم فاسق" [(١)].

١٢- إنفاق الأموال للصَّد عن سبيل الله.

من صفات الكافرين عبر التاريخ إنفاق الأموال في حرب النبي ﷺ، وحرب المؤمنين لصرفهم وإبعادهم عن طريق الحق، والهدى، فهذا سبيلهم، وديدنهم، لأجل ذلك بين الله هدفهم من إنفاق الأموال، فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ ...﴾ [الأنفال:٣٦]. بالرجوع إلى سبب النزول نجد الآية نزلت فيمن أنفق ماله لقتال المسلمين وحربهم يوم بدر[(٢)]، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

١٣- موالاة الكفار بعضهم بعضاً.

إذا كان الله ورسوله ولياً للمؤمنين، والمؤمنون كذلك بعضهم أولياء بعض، فإن الكافرين بعضهم أولياء بعض، ينصر بعضهم بعضاً، ويلجأ كلٌ منهما للآخر، ويأوي بعضهم بعضاً، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ...﴾ [الأنفال:٧٣].

بيَّن ابن كثير في تفسيره للآية أنها تدلل على قطع الموالاة بين المؤمنين والكافرين وإثبات للموالاة بين الكافرين بعضهم بعضاً [(٣)]، فصفات الكافرين واحدة فلا تتغير إلا الأسماء، والأماكن والأزمنة، ففرعون زمن موسى هو نفسه أبو جهل على عصر النبي ﷺ.

هذه أهم وأبرز صفات الكافرين التي تنعكس على نفسية الكافرين، فتنعكس على المجتمع الإنساني مما ترتب على ذلك تردي المجتمعات البشرية، وانحطاطها، وانتشار الرذيلة، والبغي،

---

(١) تفسير القرآن العظيم، م٢، ص ٦٢.

(٢) انظر: لباب النقول في أسباب النزول، جلال الدين السيوطي، ص ١٣٨.

(٣) تفسير القرآن العظيم، م٢، ص ٣٤٣ بتصرف.

والفساد، والعداوات، والظلم، والقهر، والاضطهاد، والقتل، والسرقة، والزنا، وغير ذلك من صور التردي والانحطاط.

المطلب الثالث: نفس المنافق:

النِّفَاق سلوك مركب، يرجع إلى عناصر خُلقِّية متعددة تجمع بين الجبن، والطمع، والمنافع الدنيوية، وجحد الحق، وخُلق الكذب، لذا فالنِّفَاق مرض نفسي له آثاره الوخيمة المدمرة على المنافق، وعلى المجتمع الذي يعيش فيه، فالمنافق قلق على مصالحه، ويعيش حالة من عدم الاستقرار، والتوازن، وهذان العنصران هما أهم مقومات المجتمعات الإنسانية، والمنافق ذا قدرة فائقة، ومهارة في السلوك لتصنع الكذب، وكلما تكيف وتلون المنافق بالبيئات الاجتماعية والجماعات الإنسانية المختلفة كلما كان أقدر على العمل على عدة جبهات ليمكر بها جميعاً، ويوقع الأذى، والضرر، والفساد؛ لأجل ذلك **سيبين الباحث** معنى النِّفَاق لغةً واصطلاحاً حتى نستطيع الوقوف على ملامح الشخصية المنافقة.

النِّفَاق لغةً: بين ابن منظور أن النِّفَاق نسبة إلى النَّفَق، وهو السَّرَب في الأرض، لأن المنافق يستر كفره ويغيبه، فَشُبِه بالذي يدخل النَّفَق ويستتر فيه.

وقيل: سمي منافقاً لأنه نافق كاليربوع وهو دخوله نافقاءه؛ وذلك لأن اليربوع له جحر يقال له النافقاء وآخر يقال له القاصعاء فإذا طلب من القاصعاء قصع فخرج من النافقاء، وكذا المنافق يخرج من الإيمان من غير الوجه الذي يدخل فيه، **والنِّفَاق:** فعل المنافق، والنِّفَاق الدخول في الإسلام من وجه والخروج عنه من آخر، وهو كذلك الذي يستر كُفْره ويظهر إيمانه. ويقال: نافق مُنافقه ونفاقاً (١).

قال الفيروزآبادي: نافق في الدين: أي ستر كفره وأظهر إيمانه (٢).

النِّفَاق اصطلاحاً: هو إظهار القول باللسان أو الفعل بخلاف ما في القلب من القول والاعتقاد (٣).

أو "هو الذي يستر كفره ويظهر إيمانه" (٤). أو هو إظهار الخير وإسرار الشر (٥).

---

(١) انظر: لسان العرب، م١٤، ص ٢٢٦، ٢٢٧.

(٢) القاموس المحيط، ص٨٣٤.

(٣) نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف، د. محمد بن عبد الله الوهيبي، ج٢، ص ١٤٨، ١٤٩.

(٤) نفس المرجع السابق، ونفس الجزء، ص١٤٩.

(٥) تفسير القرآن العظيم، م١، ص٥٠.

وعرفه الميداني: هو إظهار الإسلام باللسان، وادعاء الإيمان كذباً وزوراً ومخادعةً للمؤمنين، مع إبطان الكفر، مما يجعل جَاحِده كافراً، ويُدَلُّ على النِّفَاق أن يدَّعي الإنسان الإسلام ولا يعمل به[1].

بعد بيان معنى النِّفَاق لغةً واصطلاحاً تبين أن أخطر وأهم ما يميز المنافق هو الاختلاف بين الظاهر والباطن، أي بين ما يدّعى وبين حقيقة ما هو عليه كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آَمَنَّا بِاللهِ وَبِاليَوْمِ الآَخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة:٨] .

قال الإمام الطبري – رحمه الله –: "أجمع جميع أهل التأويل على أن هذه الآية نزلت في قوم من أهل النِّفَاق، وأن هذه الصفة صفتهم" [2].

وتتضح حقيقة نفسية المنافق من خلال إبراز صفاته التي تعتبر انعكاساً لحالته النَّفسية بكل جوانبها الفكرية، والوجدانية، والانفعالية، وما يترتب على هذه الجوانب من قول، وفعل، واعتقادٍ، ونظراً لأن هذه الصفات كثيرة ومتعددة ومتشعبة وهناك رسائل وكتب ألفت في هذا المجال لذا **سيقوم الباحث** ببيان أهم هذه الصفات وأبرزها، والاستدلال عليها من القرآن الكريم.

صفات المنافقين:

١- الكذب في القول والعمل:

الكذب سمة من أبرز سمات المنافقين لذا نجد الحق (تبارك وعلا) قد بين هذه الصفة في إشارة للمنافق، فقال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آَمَنَّا بِاللهِ وَبِاليَوْمِ الآَخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة:٨]، فالمنافق يقول بلسانه ما ليس في قلبه؛ لأن قلبه جاحد منكر عن تعمُّد وإصرار، وهذه من أخطر القضايا على المجتمع لأنك لا تستطيع أن تقف على حقيقة أمره.

٢- الخداع:

شخصية المنافق، مخادعة، مريضة، غير سوية، فهو يتظاهر بمظهر الصادق الأمين ليقوم بخداع المؤمنين والنيل منهم والإيقاع بهم، قال تعالى في شأن المنافقين: ﴿يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة:٩] .

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آَمَنُوا﴾ "بإظهارهم ما أظهروه من الإيمان من إسرارهم الكفر، يعتقدون بجهلهم أنهم يخدعون الله بذلك" [3].

---

(١) ظاهرة النِّفَاق وخبائث المنافقين في التاريخ، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ج١، ص٥٣.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، م١، ص٢٠١.

(٣) تفسير القرآن العظيم، م١، ص٥٠.

٣- المنافق مصاب بمرض قلبي:

المنافق غير سوي، مصاب بمرض مستقر في القلب مما ينعكس على سائر الجسد، قولاً، وفعلاً، واعتقاداً، روى مسلم عن النعمان بن بشير أن النبي ﷺ قال: **(إن الحلال بينٌ والحرام بينٌ وبينهما مشتبهاتٌ لا يعلمهن كثيرٌ من الناس فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه ألا وإن في الجسد مضغة إذا صَلَحتْ صَلَحَ الجسدُ كلهُ وإذا فسدت فسد الجسد كُلُّهُ ألا وهي القلب)**[١]، فبصلاح القلب يصلح سائر الجسد، وبفساده يفسد سائر الجسد، ومن دلائل صلاح القلب ترك الإنسان لأمور ليست بواضحة الحل ولا الحُرمة؛ لأن من باب الورع تركها مخافة الوقوع في الحرام، فيصون بذلك عرضه، ويستبرئ لدينه، بعكس المنافق الذي يتصيد الأمور، ويضع المبررات الواهية الكاذبة التي تنم عن فساد فعله وقوله واعتقاده.

ولقد بين الله حقيقة هذا المرض المستشري في قلوب المنافقين فقال تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضًا ...﴾ [البقرة:١٠].

ولقد تعددت آراء العلماء في بيان معنى المرض الوارد في الآية، فقيل: الشكَّ.

وقيل: بمعنى الرياء.

وقيل: بمعنى النفاق فزادهم نفاقاً.

وقيل: هو مرض في الدين، وهم المنافقون [٢].

٤- الإفساد في الأرض:

نظرة المنافق إلى الحياة نظرة مادية نفعية ذاتية؛ لأجل ذلك لا ينفك عن الإفساد في الأرض، فكل ما يخدم مصلحته الشخصية ونزواته وشهواته هو في عُرفِهِ من الإصلاح في الأرض، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة:١١] .

قال ابن عطية في تفسير قوله تعالى: ﴿لَا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ﴾،"معناه لا تفسدوا في الأرض بالكفر وموالاة الكفرة" [٣].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب من استبرأ لدينه، ص ٢٤، حديث رقم (٥٢)، وصحيح مسلم، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، ص٧٦٨، ٧٦٩، حديث رقم (١٥٩٩).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، م١، ص٥١ بتصرف.

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، م١، ص ٩٣.

فنظرية الإصلاح بالنسبة للمنافق تنحصر فيما يحققه من نفع ذاتي.

٥- الخيانة، والغدر، ونقض العهد، والفجور:

المنافق خائن لنفسه، ولدينه، ولمجتمعه، فهو متنكر للقيم، والمُثل، والمبادئ، خارج على الأُطر الأخلاقية والاجتماعية، والإنسانية، لا مبدأ له ولا مروءة، الغدر شيمته، ونقض العهد ديدنه، والفجور سمته، ولقد قال ﷺ : **(آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان)**، وفي رواية في صحيح مسلم بشرح النووي **(إذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر)** [(١)]، وقال تعالى: **﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾** [الرعد:٢٥].

نقل ابن كثير قول أبو العالية [(٢)] في تفسير قوله تعالى: **﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ ...﴾** قال: "هي ست خصال في المنافقين إذا كان لهم الظهرة على الناس أظهروا هذه الخصال، إذا حدثوا كذبوا، وإذا وعدوا أخلفوا، وإذا ائتمنوا خانوا ونقضوا عهد الله من بعد ميثاقه، وقطعوا ما أمر الله به أن يوصل، وأفسدوا في الأرض، وإذا كانت الظهرة عليهم أظهروا الثلاث خصال: إذا حدثوا كذبوا، وإذا وعدوا أخلفوا، وإذا ائتمنوا خانوا"[(٣)].

٦- البغض للمؤمنين:

البغض والعداء والكره للمؤمنين من صفات المنافقين؛ لذا نهانا الله عن موالاة المنافقين، واتخاذهم بطانة، لأنهم لا يتوانون عن السعي لإيقاع الضرر، والأذى، والمكيدة، والخديعة والمكر بالمؤمنين.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب من أمر بإنجاز الوعد وفعله الحسن، ص٥٨٥، حديث رقم (٢٦٨٢)، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب خصال المنافق، ص٤٦، حديث رقم (٥٩).

(٢) أبو العالية: هو رُفَيع بن مِهْران أبو العالية الرِّيَاحي البصري مقرئ، وفقيه، ومفسر، وراوي للحديث، كان مولى لامرأة من بني رياح من تميم ثم اعتقته، قرأ القرآن على أبي بن كعب وغيره من القُرَّاء، كان ثقة كثير الحديث، سمع من عمر وابن مسعود وعلي وعائشة وطائفة من الصحابة، كان ابن عباس يرفعه على سريره ويقول هكذا العلم يزيد شرفاً ويُجلس الملوك على الأسِرَّة قيل عنه: ليس أحد بعد الصحابة أعلم بالقرآن من أبي العالية ثم سعيد بن جبير، حج ستين حجة، مات سنة تسعين للهجرة وهو يقرأ في صلاة الصبح: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ * فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ [المدَّثر:٨-٩]، فخر ميتاً.

انظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج١، ص١٠٢، والطبقات الكبرى لابن سعد، م٧، ص ١١٢-١١٤، وطبقات المفسرين: شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداودي، ج١، ص ١٧١-١٧٣، وفيات الأعيان وأنباء الزمان، م٣، ص ١٤٣، ١٤٤.

(٣) تفسير القرآن العظيم، م٢، ص٥٣٠.

* قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ البَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآَيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران:١١٨].

يشير الإمام المعلم سيد قطب أن في الآية توجيه للجماعة المسلمة بالحذر من اتخاذ أعدائها من الكفار، والمنافقين، وأهل الكتاب بطانةً تجعلها أمناء على أسرارها، ومصالحها، وأمور حياتها، وما ذلك إلا لأن ملامح وطبائع، وخبايا هذه النفوس في كل زمان ومكان تتربص بالمؤمنين؛ ليخدعوهم، ويلحقوا بهم الضرر والأذى، فليحذر المؤمنون من منح هؤلاء الأعداء الثقة والأمن، والود، والاستشارة. ثم بين سيد قطب أن هذه الصورة تنطبق ابتداءً على أهل الكتاب من اليهود المجاورين للمسلمين بالمدينة، وما حصل منهم من الشرور، والآثام، والنوايا السيئة، والبغض الدفين في وقت كان فيه المسلمون منخدعين بالمودة يبديها لهم أولئك اليهود فيطلعونهم على أسرارهم، وخباياهم، وكثير من أمور حياتهم [١].

وفي الحديث أن النبي ﷺ قال: **(ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان، بطانة** [٢] **تأمره بالخير وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالسوء وتحضه عليه، والمعصوم من عصمه الله)** [٣]، في الحديث إشارة إلى أن هناك بطانتين من الأصدقاء والأصفياء والأولياء، وهم بطانتان إما دعاة للخير، أو دعاة للشر، بطانة الشَّر تحض على فعل الشر وتزينه، وهذا عمل المنافقين، وبطانة تأمر بالخير وتحض عليه، وهذا عمل المؤمنين، والمعصوم من حماه الله من الوقوع في الهلاك، أو ما يجرُّ إليه؛ لأجل ذلك لا بد أن نتحرى أن تكون البطانة التي تحيط بنا جميعاً بطانة خير نتخيرها من الصلحاء، والأتقياء، وأهل الخير.

٧- الفرح والسرور بما يحل بالمؤمنين من المصائب والمحن والابتلاءات:

الفرح، والسرور، والتشفي بما يحل بالمسلمين من المصائب، والكوارث، والنوازل طبع وسجية المنافق جبله عليها النِّفَاق، وقد بين الله تعالى هذا الطبع وتلك السَّجِيَّة في قوله تعالى: ﴿إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران:١٢٠].

---

(١) في ظلال القرآن، م١، ص ٤٥٢ بتصرف .

(٢) البطانة: اسم جنس يشمل الواحد والجماعة، والمراد: من يطَّلع على باطن حال الكبير من أتباعه. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، م١١، ص ٥١١.

(٣) صحيح البخاري، كتاب القدر، باب المعصوم من عصم الله، ص١٣٣٦ ، حديث رقم (٦٦١١) .

قال الميرغني في تفسير هذه الآية: "﴿إِنْ تُصِبْكُمْ ﴾ أيها المؤمنون "حسنة" كغنيمة ونصر "تسؤهم" تغضبهم وتحزنهم "أي المشركون والمنافقون" ﴿ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ﴾ كقحط أو هزيمة "يفرحوا بها" عليكم فإذا علمتم أنهم كذلك فامتنعوا عن موالاتهم ﴿ وَإِنْ تَصْبِرُوا﴾ على عداوتهم ﴿ وَتَتَّقُوا﴾ الله باجتناب موالاتهم ﴿ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ من عداوتهم ﴿ مُحِيطٌ﴾ فيجازيهم عليها ويجازيكم كذلك على صبركم على أذيتهم" (١).

فإذا كان الفرح، والسرور، والتشفي بما يحل بالمسلمين من مصائب، وكوارث، ونوازل صفة للكافرين، والمنافقين، فإن المسلم مطالب بالصبر والثبات والعزم والصمود والتماسك والوحدة أمام كل هذه الابتلاءات، فلا يظهر الانهيار والتخاذل والتراجع، فإن الصبر، وتقوى الله، والخوف منه والعمل على إرضائه والاعتصام بحبله وعدم الحيد عنه، يجعل هذه النوازل والابتلاءات خيراً ورصيداً للمؤمنين، فيجازيهم الله على تقواهم، وصبرهم ، وإيمانهم.

٨- نشر الإشاعات الكاذبة، وترويج مقالات الفحش، والسوء ضد المسلمين وضد رسوله ﷺ:

الإشاعات والأكاذيب والأضاليل ينشط المنافقون لإشاعتها، وبثها، وترويجها بين المسلمين بهدف النيل منهم، وإحداث جو من الفوضى، والاضطراب، والبلبلة بين المسلمين، والذي بدوره يؤدي إلى إرباك الصف الإسلامي، والنيل منه، وتمزيقه، وتفتيته، فعلى سبيل المثال نشر حادثة الإفك للنيل من عرض النبي ﷺ، ومن ثم زعزعة مكانة النبي ﷺ بين أصحابه، والنيل منه، وكذلك ما نشره المنافقون عن النبي ﷺ من أمر تزويجه زينت بنت جحش، وغيرها من الأمور، ولقد بين الله ألاعيبهم، وفضحهم فتوعدهم بالعذاب في كثير من المواضع منها على سبيل المثال: ما جاء في شأن حادثة الإفك، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور:١٩].

هذه الآيات نزلت في تبرئة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها حينما رماها المنافقون "بالإفك" وهو أبلغ الكذب، وأقبح الافتراء، وساهم المنافقون في إشاعة الفاحشة المكذوبة على أم المؤمنين "الزنا" وذلك بهدف النيل من شرف النبي ﷺ والطعن فيه، وفي رسالته، فنزلت هذه الآيات تفضح المنافقين، وتعلن تبرئة وطهارة عائشة رضي الله عنها (٢).

---

(١) تاج التفاسير، م١، ص ٧٢.

(٢) لمزيد من العلم حول هذه الآيات يراجع كتاب الصحيح المسند من أسباب النزول، ص ١٦٦-١٧٠.

وتمثل الإشاعات، والأضاليل، والأكاذيب خطراً جسيماً على المجتمع؛ فيؤثر على ضِعاف الإيمان، ويثنيهم ويفت من عزيمتهم، لذلك حضَّنا الله على أن نعمل على فضح مروجيها، وعدم تصديقهم؛ لأن هذه الأمور تتنافى مع الإيمان.

٩- إفشاء أسرار المسلمين، وبثها، ونشرها، وإذاعتها بهدف النيل منهم:

السر والكتمان أمران يسهمان في نجاح العمل وإتقانه؛ لأجل ذلك كان ﷺ يسعى لقضاء كثير من الأمور بالسر والكتمان، ومنها يوم الهجرة، وغزواته، وروحاته، وأمور حياته التي تقتضي الإسرار والكتمان والتخفي والتورية، لذا فإن المنافق يسعى لإفشاء هذه الأسرار، وبثها ونشرها للنيل من المسلمين، قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوِ الخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ...﴾ [النساء:٨٣].

جاء في تفسير هذه الآية أن النبي ﷺ كان يبعث السرايا فإذا غَلَبوا، أو غُلِبوا بادر المنافقون يستخبرون عن حالهم، فيفشون، ويحدثون به قبل أن يُحدث به رسول الله ﷺ فيضعفون به قلوب المؤمنين، فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ﴾ يعني المنافقين، ﴿أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ﴾ أي الفتح والغنيمة، ﴿أَوِ الخَوْفِ﴾ القتل والهزيمة ﴿أَذَاعُوا بِهِ﴾ أشاعوه وأفشوه [١].

١٠- ارتكاب الجرائم، والآثام، والشرور، وإلقاء التهم على البرآء من الناس:

يعمل المنافق لأجل تحقيق مصالحه المادية، ولو على حساب الآخرين بارتكاب الجرائم، والآثام والشرور إلا أنه يلبس نفسه ثوب الطهارة، والعفة، والبراءة، وذلك بإلقاء التهم على الآخرين من الناس، ولقد فضح الله المنافقين، وبين ألاعيبهم، وتوعدهم بالعذاب، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [النساء:١١٢].

في الآية بيان لصفة من صفات المنافقين الذين يقترفون الذنوب سهواً أو يرتكبون إثماً قصداً، ثم يرمي به بريئاً غير فاعل لهذا الذنب والإثم، فالذي رمى فقد احتمل "بهتان" أي كذباً على البرئ "وإثماً" كبيرة من الكبائر [٢].

١١- المخادعة، والقيام للصلاة كُسَّالى، والمراءاة للناس في أعمالهم، وأنهم لا يذكرون الله إلا قليلاً:

التلون بالبيئات، والمخادعة، وقلة العبادة، والكسل في أدائها، والقيام عليها، والمراءاة للناس في الأقوال، والأفعال، وقلة ذكرهم لله، طبيعة جبلت عليها نفس المنافق، لذا يكشف الله تعالى لنا هذه الجوانب في كتابه العزيز لكي نحذرهم فقال عنهم: ﴿إِنَّ المُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا

(١) معالم التنزيل في التفسير والتأويل، محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي، م٢، ص٧١.

(٢) تفسير القرآن بكلام الرحمن، ثناء الله الهندي الأمر تسَرِيّ، ص ١٤٢.

قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء:١٤٢].

أورد الرازي قول الزجاج في تفسير هذه الآية قال: "﴿يُخَادِعُونَ اللهَ﴾ أي يخادعون رسول الله، أي يظهرون له الإيمان، ويبطنون الكفر كما قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ ...﴾ [الفتح:١٠]، وقوله: ﴿وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ أي: مجازيهم بالعقاب على خداعهم".

ثم ذكر قول ابن عباس ﷺ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ قال: "إنه تعالى خادعهم في الآخرة، وذلك أنه تعالى يعطيهم نوراً كما يعطي المؤمنين، فإذا وصلوا إلى الصراط انطفأ نورهم وبقوا في الظلمة، قال تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [البقرة:١٧]"، أما عن قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى﴾ يعني وإذا قاموا إلى الصلاة مع المسلمين قاموا كسالى، أي متثاقلين متباطئين وهو معنى الكسل في اللغة، وسبب ذلك الكسل أنهم يستثقلونها في الحال ولا يرجون بها ثواباً، ولا من تركها عقاباً، فكان الداعي للترك قوياً من هذه الوجوه، والداعي إلى الفعل ليس إلا خوف الناس، والداعي إلى الفعل متى كان ذلك وقع الفعل على وجه الكسل والفتور، أما قوله تعالى: ﴿يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ المعنى أنهم لا يقومون إلى الصلاة إلا لأجل الرياء والسُّمعة لا لأجل الدين، ثم بين الرازي أن المراد بالذكر عدة أمور: **الأول:** الصلاة ، **الثاني:** الذكر حقيقة أثناء الصلاة ، **الثالث:** أنهم لا يذكرون الله في جميع الأوقات، سواء وقت الصلاة، أو غير وقت الصلاة(١).

١٢- المنافقون مذبذبون في ولائهم، وسلوكهم بين المؤمنين والكافرين:

التلون والتذبذب لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء شعار المنافقين، وصفة من صفاتهم في المجتمع، وهذا أمر خطير يفت من عضد المجتمع، ويضعف تماسكه وقوته، لذا بين الله تعالى هذه الصفة الذميمة لكي يحذرها المؤمنون، فقال تعالى فيهم: ﴿مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ [النساء:١٤٣] ، ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ بمعنى مردودين بين الإيمان والكفر من الذبذبة، وهي جعل الشيء مضطرباً ﴿لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ﴾ بمعنى لا هم منسوبين إلى المؤمنين، ولا إلى الكافرين (٢).

---

(١) التفسير الكبير تفسير الإمام محمد الرازي فخر الدين بن ضياء الدين بن عمر، م٦،ج١١، ص٨٤، ٨٥.

(٢) انظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج١، ص٣٩٧، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل "تفسير البيضاوي"، م١، ص٢٤٤.

قال ابن عاشور: الذبذبة " شدة الاضطراب من خوف أو وجل"[1].

١٣- الإعراض عن مجالس العلم، وإن تظاهروا بالإصغاء فإنهم منصرفون بعقولهم وقلوبهم:

المنافق لا ينصرف إلا لأموره الذاتية النفعية، ويقيس الأمور بمقياس مادي، لذا فإنه يعرض عن مجالس العلم لأنه يعتبرها مضيَّعة لوقته من غير نفع مادي يعود عليه، وإن تظاهر بالإصغاء فإنه معرض بقلبه وعقله، قال تعالى في بيان هذا الأمر: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ [محمد:١٦]، لقد بين الله حال المنافقين فقال: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ أي ومن الكافرين (لأن المنافق كافر) من يستمع إلى دعوتك، وكلامك، وقراءتك ﴿حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ﴾ قال المنافقون للذين آتاهم الله العلم، والفهم من المؤمنين ﴿مَاذَا قَالَ آنِفًا﴾ أي شيء قال، وما ذلك إلا استهزاء، وتحقيراً، ورياءً، ونفاقاً، وإظهار أنهم لم ينشغلوا بوعي، وفهم ما قاله ﷺ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ أي وسم قلوبهم بسمة الكفار ﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ أي شهوات نفوسهم، وما مالت إليه طبائعهم [2].

١٤- الغرق في الملذات، والنَّهم في الشهوات وحُسن الحديث:

من المنافقين من هم ذو أجساد يُعجبُ الناظر إليها، ومنهم من له مقالة يجذب الناس للاستماع إليه بحسن تصنعه واختياره للألفاظ.

المنافق حريص على الدنيا، وعلى متاعها والتلذذ بها، وإشباع شهواته ونزواته، والكثير من المنافقين يهتمون بأجسادهم بناءً على اهتمامهم بالأمور المادية لذا فمنهم من يُعجَبُ الإنسان بأجسادهم، ومقالهم، ومالهم بناءً على الصورة الظاهرة والمظهر الخارجي، لأجل ذلك بين الله تعالى هذه الأمور في كتابه العزيز، قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ ...﴾ [المنافقون:٤].

تظهر الآية بعضاً من صفات وهيئات المنافقين، فإذا رأيتهم؟ تُعجبُ من يراها لما فيها من النضارة والرونق، ﴿وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ فتحسب أن قولهم حقّ وصدق لفصاحتهم وذلاقة ألسنتهم، وقد كان عبد الله بن أبيّ رأس المنافقين فصيحاً جسيماً جميلاً ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ﴾ شبهوا في جلوسهم في مجالس رسول الله ﷺ مستندين بها، بالخُشب المنصوبة المسندة إلى الحائط،

(١) التحرير والتنوير، م٣، ج٥، ص ٢٤١.

(٢) انظر: مجمع البيان في تفسير القرآن، الإمام أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، م٦، ج٢٦، ص٣٧.

التي لا تفهم ولا تعلم، لخلوهم عن الفهم النافع والعلم الذي ينتفع به صاحبه [1].

١٥- إثارة الفتن وخصوصاً في الظروف الحرجة، كالحروب وزمن الابتلاءات:

البيئة الطبيعية للمنافق تكون في ظل الاضطرابات، والفتن، والأحوال الحرجة التي يمر بها المجتمع، وبالنظر إلى حالة من حالات النِّفَاق؛ لنرى كيف تتصرف بهدف النيل من المجتمع المسلم وإفراده، قال تعالى في كتابه العزيز على لسان عبد الله بن أُبي بن سلول لتثبيط المسلمين، وإلحاق الأذى، والضرر، والهزيمة بهم: ﴿لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ...﴾ [المنافقون:٨].

روى البخاري عن زيد بن أرقم قال: **كنت مع عمي فسمعت عبد الله بن أبي بن سلول يقول: "لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا" وقال: "لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل" فذكرت ذلك لعمي فذكر عمي لرسول الله ﷺ فأرسل رسول الله ﷺ إلى عبد الله ابن أبي وأصحابه، فحلفوا ما قالوا وصدقهم رسول الله وكذبني، فأصابني هم لم يصبني مثله فجلست في بيتي فأنزل الله ﷻ:** ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ ... لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ وَللهِ العِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون :١-٨]، **فأرسل رسول الله ﷺ إليّ إن الله صدقك**[2].

هذه حالة من حالات النِّفَاق التي زرعت نفسها في المجتمع المسلم، وهناك صور كثيرة لمثل هذا المنافق عبر التاريخ الإسلامي.

١٦- الحب الشديد للمال، حتى أموال الزكاة والصدقات والسعي عليه وإليه:

جمع المال، وتكديسه، والسعي عليه وإليه سبيل المنافقين، وقد بين الله تبارك وتعالى هذا الجانب في المنافقين في مواضع كثيرة منها:

* قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ [التوبة:٥٨].

تشير الآية إلى أن من المنافقين من طعن في قسمتك للصدقات يا محمد ﷺ بأنك لم تعدل في عطائك للبعض ومنعك للبعض فأنزل الله هذه الآية [3].

---

(١) زُبدة التفاسير، ص ٥٥٥.

(٢) الصحيح المسند من أسباب النزول، ص ٢٥٠، وصحيح البخاري، كتاب التفسير، باب إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله ... إلى الكاذبين، ص ١٠٣٨، حديث رقم (٤٩٠٠).

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان البلخي، م٢، ص ٥٣ بتصرف.

يُستدل من الآية مدى الطمع والجشع وحب الدنيا من خلال جمع المال بكل السُّبل والطرق حتى ولو تعلَّق فيه حق الآخرين.

١٧- الفرح الشديد بالتخلف عن الجهاد في سبيل الله:

المنافق شره نَهِم يحب الدنيا، ويركن إليها، وكل ما من شأنه حفظ مصالحه، وأهدافه المادية يسعى للدفاع عنها، وما سوى ذلك من جهاد في سبيل الله فإنه يتخلف عنه، ولا يسعى إليه، ولقد بين الله هذا الجانب خصوصاً في غزوة تبوك حينما تخلف جمع من المنافقين، وكرهوا أن يجاهدوا في سبيل الله فقال تعالى في شأن من تخلف من المنافقين عن الجهاد مع رسوله ﷺ: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جهنَّم أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة:٨١].

في الآية بيان لحال المنافقين، بتخلفهم عن الجهاد، ومن ثمَّ رضاهم بإظهار فرحهم وسرورهم بذلك التخلف، وكرههم أن يجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، وبرروا هذا التخلف؛ بأن النفير مشقة عليهم بسبب الحر، فحذروا من الحر في الدنيا الذي يمكن أن يتقيه الإنسان بالظلل والبكور والآصال، على حر الآخرة الذي لا يقدر قدره [(١)].

هذه أهم صفات المنافقين التي تعتبر انعكاساً لنفسية المنافق، والتي من خلالها نستطيع أن نتعرف على المنافق كيف يعمل، وكيف يفكر، وكيف ينظر إلى الناس من حوله، وهناك العديد من الصفات الأخرى [(٢)].

بعد عرض هذه الصفات انجلت لنا حقيقة نفس المنافق، لذا فهو يعتبر من أشد، وأخطر الناس على المجتمع المسلم، وذلك لأنه مندس في داخل الصف الإسلامي، فيعمل بمعوله لينخر في عضد المجتمع ساعياً لتدمير، وتفتيت، وإضعاف، وتمزيق الصف الإسلامي، ونشر الرذيلة، والفساد، والانحلال، ومحاربة الفضيلة، والخير، والبر، والعدل، والإحسان، وكل قيم الخير، والهدى، والرشاد فحذروه!!!

المطلب الرابع: نفس الكتابي (يهود ونصارى):

الكتابي لفظ يطلق على كلٍّ من اليهود والنصارى، ونفس الكتابي تتراوح ما بين نفس المنافق، ونفس الكافر، وليس هذا من باب التجني!! ولكن من باب الحقيقة، وذلك لأن الأصل في

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٣٢٥.

(٢) من أراد معرفة المزيد من هذه الصفات فعليه بكتاب: ظاهرة النِّفَاق وخبائث المنافقين في التاريخ، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني.

أهل الكتاب "يهوداً أو نصارى" اتباع ما جاء به أنبياؤهم في شتى الأمور بما فيها الإيمان بالرّسل جميعاً دون تفريق بين أحد من رسل الله، وعلى رأسهم خاتم النبيين والمرسلين محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرّسول النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ المُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آَمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ * قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ الله إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآَمِنُوا بِالله وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِالله وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧-١٥٩].

فالرّسل جميعاً من عند الله، ورسالة الله للبشرية هي الإسلام، قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ الله الإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ العِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآَيَاتِ الله فَإِنَّ اللهَ سَرِيعُ الحِسَابِ﴾ [آل عمران:١٩]، ويشير الله في موضع آخر أنه لا يقبل غير الإسلام ديناً حيث يقول: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآَخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران:٨٥]، ويقول الله في شأن أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ المُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران:٦٧].

تظهر الآية حقيقة إبراهيم عليه السلام بأنه ما كان يهودياً، ولا نصرانياً، وإنما كان حنيفاً موحداً مطيعاً لربه مسلماً له، ولم يكن من المشركين [(١)]، وهذه حقيقة كل الأنبياء والرّسل، الحنيفية التي لا تزيغ عن الحق قيد أنملة.

فشريعة عيسى عليه السلام ناسخة لشريعة موسى عليه السلام، وشريعة محمد ﷺ ناسخة لشريعة عيسى عليه السلام، لذا قال الله تعالى: ﴿آَمَنَ الرّسول بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آَمَنَ بِالله وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ المَصِيرُ﴾ [البقرة:٢٨٥].

وللتعرف على نفس الكتابي **سيقتصر الباحث** على ذكر أهم الصفات التي يتسم بها الكتابي، في ظل نقاط مستدلاً بما يثبتها من آيات قرآنية كريمة.

صفات الكتابي (يهوداً ونصارى):

كما أسلفنا الكتابي لفظ يطلق على كلٍّ من اليهود والنصارى، ولقد صُبِغ كلٌ منهما بصفات من خلالها نستطيع التعرف عليها.

---

(١) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ج ١ ، ص ٣٢٨.

١- الإشراك بالله ووصفه بصفات النقص ونسبه الولد إليه.

عبادة الله مع الإشراك به كفر، فكيف بالذي ينكر وجود الله؟ والإشراك بالله أن تجعل مع الله نداً تعبده وتقربه إليك، ولقد بين الله تعالى أن الإشراك به يحبط العمل مهما عظم، لذا قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ * بَلِ اللهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزُّمر: ٦٥-٦٦].

فهذا نداء من الله للرسل جميعاً، ولأتباع الرّسل بعدم الإشراك به، ثم بين الله تبارك وتعالى أنه لا يغفر أن يشرك به، ولكن يغفر ما دون ذلك لمن يشاء، فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء:١١٦].

بالنظر إلى حال أهل الكتاب نجد أن كلاً منهم يهوداً ونصارى أشركوا بالله، ووصفوه بصفات النقص، ونسبوا الولد إليه، قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ اليَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى المَسِيحُ ابْنُ اللهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ * اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ وَالمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠-٣١].

لقد ذكر البغوي في تفسيره لقوله تعالى أيضاً: ﴿يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ﴾ عدة أقوال منها :

قال ابن عباس: "بمعنى يشابهون، والمضاهاة المشابهة".

وقال مجاهد: "يواطئون".

وقال الحسن البصري: "يوافقون".

وقال السُّدي: "ضاهت النصارى قول اليهود من قبل فقالوا : المسيح ابن الله كما قالت اليهود من قبل عزير ابن الله".

وقال مجاهد: "يضاهئون قول المشركين من قبل الذين كانوا يقولون اللات والعزى ومناة بنات الله" (١).

ولقد نعت الله تعالى بالكفر كل من أشرك، أو وصف الله بصفات النقص، أو بصفات لا تليق بجلاله حيث يقول تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ المَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللهِ

(١) معالم التنزيل في التفسير والتأويل "تفسير البغوي"، ج ٢، ص ٢٤١.

شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ المَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَللهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَقَالَتِ اليَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَللهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ المَصِيرُ﴾ [المائدة: ١٧-١٨].

وفي آية أخرى بين الله كفر اليهود فاستحقوا اللَّعنة حينما وصفوه بصفات لا تليق به تعالى شأنه حيث يقول: ﴿وَقَالَتِ اليَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ...﴾ [المائدة:٦٤].

ولقد بين السُّدي في تفسيره لهذه الآية حقيقة قولهم عن الله بقولهم: "إن الله وضع يده على صدره فلا يبسطها حتى يرد علينا ملكنا" [١].

وهذا كفرٌ وتجني على الله، عدا عن الأمور الكثيرة الأخرى التي توجد في كتبهم بوصف الله بصفات الشر، وبصفات النقص، ووصف الأنبياء بالزنا، وغيرها من الصفات الذميمة التي لا تليق بهم.

٢- الكفر بآيات الله.

لقد كفر أهل الكتاب بآيات الله التي جاء بها رسلهم، ويتمثل الكفر بآيات الله من قبل أهل الكتاب بالكفر بآيات الله المتلوة وغير المتلوة "المعجزات" التي أظهرها الله على يد رُسُلِه، فيد موسى التي تتلألأ نوراً، وعصاه التي تتحول تارة إلى حية تسعى، وتارة تشق البحر، وتارة تنفجر من ضربها الحجر العيون، وغيرها من الآيات التي أرسلها الله على الفراعنة من الجراد، والقمل، والضفادع، والدم، آيات مفصلات لكي يؤمن الفراعنة، ويزداد بهذه الآيات بنو إسرائيل إيماناً ويقيناً، قال تعالى في شأن الآيات التي أرسلها على الفراعنة: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالجَرَادَ وَالقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف:١٣٣]. أي أرسل الله عليهم المطر فأغرق مزارعهم ودخل بيوتهم، ثم الجراد فأكل زروعهم وثمارهم، ثم القُمَّل وهو البراغيث أو السوس أو القراد فتتبع ما ترك الجراد، ثم الضفادع فملئت بيوتهم وطعامهم، ثم الدم في مياههم، أو يسيل من أنوفهم، هذه كلها آيات [٢].

(١) تفسير السُّدي الكبير، ص ٢٣٢.

(٢) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، م ٤، ص ٣٦٠٤-٣٦١٤، وتفسير الجلالين، ص ٢١٩ بإيجاز.

هذه الآيات لزاماً أن تزيدهم إيماناً ويقيناً بوحدانية الله إلا أنهم برغم ذلك بمجرد أن نجاهم الله من فرعون وجنده، وعبروا البحر طلبوا من موسى أن يجعل لهم إلهاً: أي صنماً يعبدونه من دون الله، وكأن موسى لم يأتهم بشيء من الله، قال تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف:١٣٨].

بيّن ابن كثير أن بني إسرائيل حين جاوزوا البحر وقد رأوا من آيات الله وعظيم سلطانه، فمروا على قوم يعبدون الأصنام، فطلبوا من موسى عليه السلام أن يجعل لهم صنماً يعبدونه من دون الله، فقال لهم موسى: إنكم تجهلون عظمة الله وجلاله وما يجب أن يُنزه عنه من الشريك والمثيل [١].

فوبخهم موسى عليه السلام وذكرهم بنعم الله إلا أنهم بعد ذلك كفروا، وعبدوا العجل، ثم بعدما تابوا تاب الله عليهم، ثم بعد ذلك أخذ منهم موسى نقباء ليطلبوا التوبة والمغفرة من الله فقالوا لموسى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ [البقرة:٥٥]، إلى غير ذلك من المواقف التي تشير، وتدلل على كفر أهل الكتاب من بني إسرائيل، ونكوصهم وعدم اتباع أمر الله، وأمر رسوله، والتي لا مجال للإفاضة فيها هنا.

أما عن الآيات التي جاء بها عيسى عليه السلام من إبراء الأكمه والأبرص، وإحياء الموتى، وغيرها من الآيات، قال تعالى في شأن عيسى عليه السلام: ﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ الله وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ الله وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [آل عمران: ٤٩-٥٠].

برغم ذلك كُذِّب عيسى عليه السلام ولم يؤمن معه إلا قليلاً، وطلبوا مزيداً من الآيات، ومن الآيات المتلوة التي وردت في التوراة والإنجيل، ووجب الإيمان بها إلا أنهم كفروا بها.

أوصاف محمد ﷺ:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ الله إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [الصَّف:٦].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، م٢، ص ٢٥٣.

ورد في الحديث أن النبي ﷺ قال: **(إن لي أسماء، أنا محمدٌ، وأنا أحمدُ، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفرَ، وأنا الحاشرُ**[١] **الذي يحشرُ الناس على قدمي، وأنا العاقب)** [٢].

لذا قال الله لهم: ﴿**يَا أَهْلَ الكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآَيَاتِ اللهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ**﴾ [آل عمران:٧٠].

قال السُّدي: "آيات الله" محمد ﷺ ، وأما "تشهدون" : يشهدون أنه الحق، ويجدونه مكتوباً عندهم" [٣].

برغم ذلك ناصبوه العداء، وكفروا به.

٣- الصد عن سبيل الله.

الصد: "هو الامتناع والانصراف عن الصراط القويم بنية الإعراض عنه، وعدم قبول الحق" [٤].

لذا خاطب الله تعالى أهل الكتاب لصدهم عن سبيل الله، وقال تعالى: ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ مَنْ آَمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾ [آل عمران:٩٩].

في الآية نداء إلى أهل الكتاب ومطالبة لهم بعدم صد وصرف من آمن بالله، وكان صدهم عن سبيل الله بإلقاء الشبهة والشكوك، وذلك بإنكارهم صفة محمد ﷺ في كتبهم زيغاً وميلاً عن الحق، والزيغ والميل عن الاستواء في الدين والقول والعمل، وأنتم شهداء أن نعت محمد ﷺ وصفته مكتوبة في التوراة، وأن دين الله الذي لا يقبل غيره هو الإسلام، فالله لا يغفل عما تعملون، وهذا تهديد ووعيد من الله لهم لصدهم عن سبيل الله، وعدم التصديق بمحمد ﷺ [٥].

قال تعالى مخبراً عن مدى معرفة أوصاف النبي ﷺ من قبل مجيئه في إشارة لوجوب الإيمان به ﴿**الَّذِينَ آَتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة:١٤٦].

---

(١) الذي يُحشر الناس خلفه وعلى ملته دون ملة غيره، لسان العرب، م٤، ص ١٢٨.

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب يأتي من بعدي اسمه أحمد، ص ١٠٣٧، حديث رقم (٤٨٩٦).

(٣) تفسير السُّدي الكبير، ص ١٨٠.

(٤) مباحث في التفسير الموضوعي نظرية وتطبيقاً، بحث د. عبد السلام اللوح، د. زكريا الزميلي، ص ١٥٤.

(٥) مختصر تفسير الخازن المسمى "لباب التأويل في معاني التنزيل"، علاء الدين علي بن محمد البغدادي، م ١، ص ٣١٦، ٣١٧.

٤- الغلو في الدين.

المجاوزة في الحد غلو، والوسطية ميزان الاعتدال فلا غلو، ولا حيف، ولا نقص، ولا تفريط، لأجل ذلك مدح الله تبارك وتعالى أمة محمد ﷺ فقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرّسول عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ...﴾ [البقرة:١٤٣].

ولكي نحدد البون الشاسع بين أمة محمد ﷺ وأهل الكتاب بنكوصهم وتمردهم وكفرهم، أوجز ما تحدث به الإمام سيد قطب في تفسيره عن "الأمة الوسطا"، إنها الأمة الوسط بكل معنى الحُسن والفضل والاعتدال والاقتصاد والتصور والاعتقاد، فلا تغلو في التجرد الروحي، ولا في الانتكاس المادي كأمة وسط في التفكير والشعور تستمسك بمنهاجها، وتنظر في نتاج الفكر والتجريب في حدود ما بينه الله ورسوله، أمة وسطاً في التنسيق والتنظيم، أمة وسطاً في الارتباطات والعلاقات؛ فلا إفراط ولا تفريط، إنها الأمة المنشودة، أمة محمد ﷺ التي تأخذ عنه، والذي بدوره يأخذ عن ربه عز شأنه" [(١)]، وبتتبع أحوال أهل الكتاب نجد أنهم غالوا في دينهم، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة:٧٧].

يوضح الإمام الشوكاني حقيقة الغلو الذي مارسه أهل الكتاب، وذلك بمجاوزتهم للحد لدرجة أنهم أثبتوا الألوهية لعيسى عليه السلام كما يقول النصارى، أو حطه عن مرتبته العلية كما يقول اليهود، فذلك كله من الغلو المذموم، وسلوك طريق الإفراط، أو التفريط، واختيارهما على طريق الصواب[(٢)].

وقد بين الله حقيقة عيسى عليه السلام في موضع آخر حيث يقول: ﴿يَا أَهْلَ الكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلَّا الحَقَّ إِنَّمَا المَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآَمِنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلًا﴾ [النساء:١٧١].

في الآية خطاب لأهل الكتاب "النصارى" بأن لا يتجاوزوا الحد بالتفريط أو الإفراط، بل لا بد من لزوم الحق بتنزيه الله عن الشريك والولد، فعيسى عليه السلام أوجده الله بقدرته بنفخ الروح فيه بواسطة جبريل عليه السلام وليس كما زعمتم أنه ابن الله، أو إلهاً معه، أو ثالث ثلاثة، أي الآلهة ثلاثـة: الله وعيسى وأمـه، انتهوا عن ذلك خيراً لكم، إنما الله واحد منزه عن الولد والشريك، له ما في

---

(١) في ظلال القرآن، م ١، ص ١٣١ بتصرف واختصار.

(٢) فتح القدير، ج ٢، ص ٨٢ بتصرف.

السموات وما في الأرض وكفى به شهيداً على ذلك [1].

سيقتصر الباحث على هذه الصفات لضيق المقام، فصفات أهل الكتاب كثيرة، وعديدة، ويكفي صفة واحدة كفيلة بأن تضع صورة متكاملة لطبيعة ونفسية أهل الكتاب، ألا وهي إنكار صفة محمد ﷺ ونبوته، ووجوب اتباعه، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آَتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٤٦] ، ثم هذه بعض الآيات التي يستشف منها صفات أخرى لأهل الكتاب سيُكتفى بذكرها مستدلاً بالآيات دون التعليق عليها:

٥- عدم إقامة شرع الله وأحكامه:

* قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى القَوْمِ الكَافِرِينَ﴾ [المائدة:٦٨].

٦- حب الانتقام من المؤمنين:

* قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آَمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾ [المائدة:٥٩] .

٧- إلباس الحق بالباطل وكتمان الحق:

* قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الحَقَّ بِالبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران:٧١].

٨- ولاء بعضهم بعضاً ومناصرة بعضهم بعضاً ولو كانوا على الباطل:

* قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا اليَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة:٥١].

٩- الكفر والجحود بكل ما جاء به النبي ﷺ:

* قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ بِكُلِّ آَيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ ...﴾ [البقرة:١٤٥].

١٠- الاستخفاف بالله وآياته والمتاجرة بها وخشية الناس:

* قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآَيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤].

---

(١) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، م٣، ج٦، ص ٤٣.

١١- الفسق والفجور وعدم الحكم بما أنزل الله:

* قال تعالى: ﴿**وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ**﴾ [المائدة:٤٧].

بعد عرض هذه الشواهد القرآنية التي أبرزت نفس الكتابي "يهوداً ونصارى"، فما بقي لنا إلا أن نحذر من الوقوع فيما وقع فيه أهل الكتاب من الزيغ، والضلال، والانحراف، والبعد عن منهج الله.

المطلب الخامس: الحكمة من تنوع النَّفس البشرية:

إذا كانت الحكمة من خلق الإنسان هي عبادة الله التي تؤهله ليكون خليفة الله في الأرض، ويدلل على هذا قوله عز شأنه: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ [الذاريات:٥٦]، ثم يدلل الله على ترشيحه للخلافة حيث يقول: ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ...**﴾ [البقرة:٣٠]، فالهدف واضحٌ والحكمة جلية، ثم إذا كانت الحكمة من إرسال الرّسل هي تعريف الناس بربهم، وخالقهم تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ**﴾ [الأنبياء:٢٥].

فثمة سؤال يطرح نفسه: **ما الحكمة من خلق المؤمن، والكافر، والمنافق، والكتابي؟؟؟**

قبل الإجابة على هذا السؤال لا بد أن نعرف الحكمة لغة واصطلاحاً.

الحكمة لغة: تأتي بمعنى العدل، والحِلْمُ، والكلام الموافق للحق، والعلم مع العمل، وقيل: هي الكلام المنقول المصون عن الحشو.

وجمع الحِكمَة: حِكَمْ، ويقال: إن من الشعر لحِكمَة: أي عبرةً، وأمثالاً، وكلاماً نافعاً يمنعُ من الجهل والسفه، وينهى عنهما.

ويقالُ لمن يتقن الأمور، ويُحكِمُ ويحسن دقائق الصناعات: حكيماً.

والحَكيمُ: ذو الحكمة، ويجوز أن يكون بمعنى الحاكم، مثل قدير بمعنى قادر، وعليم بمعنى عالم.

والحِكمَةُ: من الحُكمِ الذي هو أعم من الحِكمة، فكل حِكمَة حُكم ولا عكس، وهو بمعنى العلم والفقه والقضاء بالعدل، والحكمة تمنع صاحبها من الجهل والسفه.

وجمع الحكيم: حُكماء، والذي يُحْكِمُ الأشياء ويتقنها فهو فعيلٌ بمعنى مُفْعِلٍ.

ومن صفات الله: الحَكَمُ والحَكِيمُ والحاكِمُ.

والحَكَمُ والحكيمُ: بمعنى الحاكم، وهو القاضي، وهو أيضاً الذي يُحكِمُ الأشياء ويتقنها.

ويطلق على القرآن الذكر الحكيم: أي الحاكم لكم، وعليكم، وهو الحكم الذي لا اختلاف فيه، ولا اضطراب [١].

الحكمة اصطلاحاً: هي هيئة القوة العقلية العملية المتوسطة بين الجَزْبَرة، التي هي إفراط هذه القوة، والبلادة التي هي تفريطها [٢].

أو هي إصابة الحق بالعلم والعمل [٣].

وعرفها القونوي في حاشيته: العلم المحقق، والعمل المتقن المحكم [٤].

وأشار القونوي إلى أن العلم المحقق تكميل القوة النظرية بالعلوم اليقينية المتعلقة بالمعتقدات، والأخلاق، والعبادات، والثاني إشارة إلى كمال القوة العملية بالتعبد بالشرائع النبوية، ثم بين أن من استكمل واحدة منهما دون الأخرى لا يسمى حكيماً، وإذا أحرز الكمال للجانبين كان عالماً من العلماء الربانيين [٥].

الحكمة من الله: عِلمُ الأشياء وإيجادها على غاية الإحكام [٦].

والحكمة الإلهية: علم يبحث فيه عن أحوال الموجودات الخارجية المجردة عن المادة؛ لا بقدرتنا واختيارنا.

أو هي العلم بحقائق الأشياء على ما هي عليه، والعمل بمقتضاها [٧].

والحكمة من الإنسان: معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الأحكام [٨].

---

(١) انظر: مجمل اللغة، ج ١، ص ٢٤٦، والمحيط في اللغة، ج ٢، ص ٣٨٧، ٣٨٨، ولسان العرب، م ٤، ص١٨٦،١٨٧، والمنجد في اللغة والأعلام، ص١٤٦، والتعريفات، ص ١٠٣، والتوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، ص ٢٩١.

(٢) كتاب التعريفات، ص ١٠٣، والتوقيف على مهمات التعاريف، ص ٢٩١.

(٣) معجم تفسير مفردات ألفاظ القرآن، سميح عاطف الزين، ص ٢٣٩، والتوقيف على مهمات التعاريف، ص ٢٩١.

(٤) حاشية القونوي، م ٥، ص ٤٤٦.

(٥) نفس المرجع السابق ونفس المجلد والصفحة.

(٦) معجم تفسير مفردات ألفاظ القرآن، ص ٢٤٠، والتوقيف على مهمات التعاريف، ص ٢٩١.

(٧) التعريفات، ص ١٠٣.

(٨) التوقيف على مهمات التعاريف، مرجع سابق، ص ٢٩١.

بعد بيان معنى الحكمة لغة واصطلاحاً فإن الباحث **يخلص إلى تعريف مبسط** يكون أكثر موائمة لموضوع البحث: هي لطفٌ وهبة من الله لمن آمن يقيناً، وعمل تصديقاً، تتكشف له بعض حقائق ومقاصد وغايات الأحكام والأشياء المترتبة على أمر أو حكم أو خَلْقٍ، تظهر من خلالها مدى عدل الله، وقدرته، وسعة علمه في الكون.

ولقد تحدث القرآن الكريم في العديد من آياته عن الحكمة هذه بعضاً منها: قال تعالى: ﴿**يُؤْتِي الحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الأَلْبَابِ**﴾ [البقرة:٢٦٩].

في معرض الحديث عن بيان معنى الحكمة المعني في الآية نورد جملة من أقوال العلماء منها:

* قال السُّدي: هي النبوة.

* وقال ابن عباس وقتادة: علم القرآن، ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ومقدمه ومؤخره، وحلاله وحرامه، وأمثالاً.

* قال الضحاك: القرآن والفهم فيه.

* قال مجاهد: القرآن، والعلم، والفقه.

* قال إبراهيم النخعي: معرفة معاني الأشياء والتي منها:

أ- قال الحسن: الورع في الدين.

ب- **قيل**: القول والعمل.

ج- **وقيل**: هي الإقدام على الأفعال الحسنة الصادقة.

* وقال مقاتل: تفسير الحكمة في القرآن بأربعة وجوه:

الأول: مواعظ القرآن.

الثاني: ما في القرآن من العجائب والأسرار.

الثالث: العلم والفهم.

الرابع: النبوة [١].

---

(١) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ج ١، ص ٣٠٤، وحاشية القونوي، م ٥، ص ٤٤٦.

بالنظر لكل هذه الآراء نرى أنها كلها صحيحة، وتصبُّ في معين واحد وهو العلم، والذي من خلاله يتوصل الإنسان إلى استنباط واستنتاج الأحكام، والرؤى، والتصورات المبنية على العلم اليقيني والعمل الصادق.

وأفضل الحكمة وخيرها، وهي ما جاءت به الرّسل، كما بين ابن القيم رحمه الله حيث يقول: "هي الحكمة الحق المتضمنة للعلم النافع، والعمل الصالح للهدى ودين الحق، لإصابة الحق اعتقاداً، وقولاً، وعملاً، وهذه الحكمة فرقها الله سبحانه بين أنبيائه ورسله، وجمعها لمحمد ﷺ كما جمع له من المحاسن ما فرقه في الأنبياء قبله، وجمع في كتابه من العلوم والأعمال ما فرقه في الكتب قبله، فلو جمعت كل حكمة صحيحة في العالم من كل طائفة لكانت في الحكمة التي أوتيها صلوات الله وسلامه عليه جزءاً يسيراً جداً لا يدرك البشر نسبته" [١].

وهناك العديد من الآيات التي تتحدث عن الحكمة في حق الأنبياء والرّسل منها:

* قال تعالى في نبيه داود عليه السلام: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الحِكْمَةَ وَفَصْلَ الخِطَابِ﴾ [ص:٢٠].

* وقال عن المسيح عليه السلام: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ﴾ [آل عمران:٤٨].

* وقال تعالى عن يحيى عليه السلام: ﴿وَآتَيْنَاهُ الحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم:١٢].

* وقال لرسوله ﷺ: ﴿... وَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ﴾ [النساء:١١٣].

وأياً ما كان المعنى المقصود من الحكمة، فكله صحيح أصله العلم اليقيني المستمد من علم الله!!!

ولكل شيء خلقه الله في هذا الكون حكمة تنطق بلسان الحق، تشير وتدلل على عظم الخالق، وقدرته، وجبروته، وسعة علمه، فعينك، ولسانك، وأنفك، وجهازك الهضمي، والتناسلي، والإخراجي، والدوري، ورائحتك الخاصة، ولون بشرتك، وعقلك، بل وكل خلية في جسدك تنطق بحكمة الحكيم، وعظمة العظيم، وقدرة القدير، فمن الحكمة ما عُلم أمرها، ومنها ما زالت خافية، ومنها ما تفرد بعلمها خالق الخلق.

وبالنظر إلى الحكمة من تنوع النَّفس البشرية ما بين نفس مؤمنة، ومنافقة، وكافرة، وأهل كتاب، نجد أن هناك مواضع عديدة في القرآن الكريم تبين الحكمة من هذا الاختلاف نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر، قوله تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ المُسْلِمِينَ كَالمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم: ٣٥-٣٦] .

---

(١) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ص ٢٠٣.

تبين هذه الآيات عدالة الله في الكون، وذلك بالمفارقة بين من هو مؤمن، ومن هو كافر، فكما أنهم لا يستوون في العمل، فهم لا يستوون في الجزاء والعقاب.

يقول الإمام فخر الدين الرازي: "إن التسوية بين المطيع والعاصي غير جائزة، ثم يشير إلى أنه إذا كانت هناك تسوية في الجوهرية والجسمية والحدوث والحيوانية وغيرها من الأمور الكثيرة، فهناك إنكار في استوائهما في الإسلام والجرم، ثم يؤكد الإمام على هذا الاستبعاد من خلال تقرير هذا الاستبعاد بقوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ فهذا الحكم المعوج (1).

فكما أنه لا يستوي المسلم والمجرم، كذلك لا يستوي من يعمل صالحاً، وهو قانت، وساجد، وقائم خوفاً من الآخرة، ورجاءً لرحمة الله ورضوانه، مع من لا يعمل لآخرته، فيتنكر للعمل الصالح، ولا يسعى لمرضاة الله.

لأجل ذلك قال تعالى: ﴿أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآَخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ﴾ [الزُّمر:٩].

في هذه الآية يضرب الله مثلاً في عدم الاستواء بين من هو مطيع عابد في ساعات الليل، يتعبد ربه في صلاته، ساجداً أو قائماً، وبين من أشرك بالله، وجعل له أنداداً؛ فالمؤمن ليس كالكافر، فهو يعمل خوفاً من عذاب الله في الآخرة، وراجياً بطاعته لله رحمة من ربه، فهل يستوي المؤمن التقي مع الكافر الفاجر؟ إنهم لا يستوون عند الله، ثم يضرب الله مثلاً آخر مبيناً حقيقة العالِم، والجاهل هل يستويان؟ لا يستوي هذان، كذلك لا يستوي المطيع والعاصي، إنما يعتبر ويتعظ أصحاب العقول السليمة (2).

ففي الآية مفارقة كذلك بين جانب العمل للآخرة، وعدم العمل لها، ومفارقة بين الذين يعلمون، والذين لا يعلمون، ثم تدلل آيات الله في مواضع أخرى على أنه لا يستوي أصحاب النَّار، وأصحاب الجنَّة، فإن أصحاب الجنَّة هم الفائزون: ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّار وَأَصْحَابُ الجنَّة أَصْحَابُ الجنَّة هُمُ الفَائِزُونَ﴾ [الحشر:٢٠].

ولمزيد من التأكيد على عدم الاستواء بين جانب الخير، وجانب الشر عند الله، هذه بعض الآيات التي تتحدث عن هذا الجانب:

* قال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالبَصِيرُ * وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ * وَلَا الظِّلُّ وَلَا الحَرُورُ * وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ وَلَا الأَمْوَاتُ ...﴾ [فاطر: ١٩-٢٢].

---

(1) التفسير الكبير، م ١٥، ج ٢٨، ص ٩٢.

(2) انظر: صفوة التفاسير، الشيخ محمد علي الصابوني، م ٢، ص ٧٢.

* وقال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ...﴾ [فصّلت:٣٤].

* وقال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ...﴾ [فاطر:١٢].

وهناك العديد من المواضع في القرآن الكريم تشير إلى عدم الاستواء بين الشيء ونقيضه، بالنظر إلى المسلم والمجرم، والخير والشر، والظلم والعدل، والحسنة والسيئة، والماء العذب الفرات والملح الأجاج، والليل والنهار، والنور والظلام، وغيرها من الجوانب التي تظهر البون الشاسع والتناقض التام في كلا الجانبين، وبمفهوم آخر عدم الالتقاء والمفارقة التامة، فجانب الخير يترتب عليه السعادة في الدنيا والآخرة، وجانب الشر يقود إلى الهلاك والخسران، وهذا يقودنا إلى استنتاج أن هناك حالة صعود، وارتقاء إلى الله، وحالة تردي وسقوط، جانب مشرق مضيء، وجانب مظلم قاتم، جانب بناء وجانب هدم، هذه الحقيقة تقودنا إلى فهم الحكمة المترتبة على خلق الله، وتنوع هذه النَّفس في هذا الكون: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزَّلزلة: ٧-٨].

إنه العدل الإلهي المطلق، إنه عدل خالق الخلق تبارك وتعالى جل شأنه، وعظمت قدرته، وتقدست أسماؤه، وتفرد عن الخلق في صفاته.

خلاصة المبحث:

أبان المبحث أنواع النّفس البشرية في القرآن الكريم، فبين نفس المؤمن والكافر والمنافق والكتابي "يهوداً ونصارى" من خلال عرض صفاتهم، ومن ثمّ بيان الحكمة الإلهية في تنوع هذه النفس التي من خلالها يُحدد ويُبيّن طريق الخير والشر، والهدى والضلال، وما يترتب على كل طريق، ونهاية السير فيه.

المبحث الثالث

القدرة الإلـهيـة في خلق النَّفس البشريـة

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: القدرة الإلهية في خلق الإنسان من العدم.

المطلب الثاني: القدرة الإلهية في خلق الأنثى من الذكر.

المطلب الثالث: القدرة الإلهية في خلق النَّفس من ذكر وأنثى.

المطلب الرابع : القدرة الإلهية في خلق الذكر من أنثى دون زوج.

المبحث الثالث

القدرة الإلهية في خلق النَّفس البشرية

يعتبر الخلق من أقوى البراهين والأدلة على وحدانية الله، لأجل ذلك كانت أول آيات القرآن نزولاً على نبينا ﷺ تبدأ بذكر الخَلْق، قال تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [العلق: ١-٢].

ولقد تعددت وجوه الخلق في الإنسان منذ آدم عليه السلام إلى عيسى عليه السلام، وقد أخذت أطوار الخلق صوراً متعددة، وطرقاً مختلفة، في حين خلق الله آدم بدون أب وأم، فقد خلق من نفسه زوجته حواء، ثم أخذ الخلق في التكاثر بعد ذلك منحى آخر، وذلك عن طريق التزاوج بين الأب (آدم) والأم (حواء) بالتقاء ماء الرجل، وماء الأنثى لينتج من هذين المائين: النسل الإنساني، في تعبير عن استمرارية الحياة، وتدخلت يد القدرة الإلهية في صورة أخرى من صور الخلق، ليخلق عيسى عليه السلام من أم بلا أب، وكأن الله يقول لنا: إذا كان خلق آدم بلا أم وأب من لا شيء؟ فها أنا أخلق من نفسه زوجاً له، وها أنا أخلق من آدم وحواء ذريتهما، وبطريقة تختلف عن خلق آدم، وخلق حواء، ثم ها أنا أخلق عيسى عليه السلام من أم بلا أب، قال تعالى: ﴿هَذَا خَلْقُ اللهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [لقمان:١١].

سبحان من خلق فسوى، سبحان من قدر فهدى، سبحان الله العظيم، تعالت قدرته، وعظم شأنه.

خلاصة القول: أن خلق النَّفس البشرية أخذ صوراً وأشكالاً متعددة وهي:

أولاً: خلق الإنسان (آدم عليه السلام) من لا شيء بدون أب وأم.

ثانياً: خلق (حواء عليها السلام) من نفس (آدم عليه السلام) من ذكر دون أنثى.

ثالثاً: خلق ذرية آدم وحواء عليهما السلام من ذكر وأنثى.

رابعاً: الخروج على هذه الصور بخلق (عيسى عليه السلام) من أم بلا أب.

وهذا بيان لهذه الصور:

المطلب الأول: القدرة الإلهية في خلق الإنسان من العدم:

من صفات الله تعالى القدرة، وقدرته مطلقة، فلا يعجزه شيء في هذا الكون، ومن دلائل قدرة الله تعالى في هذا الكون خلق الكون من لا شيء، فقبل خلق هذا الكون لم يكن شيئاً، وبخلقه

أصبح كائناً موجوداً، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ...﴾ [هود:٧] ، ثم أوجد الإنسان (آدم) من تراب ليتحول إلى إنسان بقدرة الله وعظمته بنفخة فيه من روحه، فإذا هو إنسان حي. وقبل بيان هذا الجانب يتعين أن نبين معنى الخلق لغة واصطلاحاً.

الخلْقُ لغةً: الخَلْقُ بالفتح يطلق على معنيين:

الأول: إبداع الشيء من غير أصل، ولا احتذاء.

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ...﴾ [البقرة:٢٩] ، وفي موضع آخر قال تعالى: ﴿الحَمْدُ للهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ...﴾ [الأنعام:١].

الثاني: إيجاد الشيء من الشيء.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ...﴾ [النساء:١] [(١)].

وبتتبع معنى الخَلْقُ في كتب اللغة وجد أنه يطلق على معانٍ عديدة منها:

الخَلْقُ: بمعنى التقدير والمساواة بين شيئين، يقال : خلقت النعل إذا قدرته، فأطلق على إيجاد شيء على مقدار شيء سبق له الوجود، ويَرِدُ كذلك بمعنى التقدير المستقيم، والخلق – الذي هو إبداع الشيء من غير أصل ولا احتذاء – لا يكون إلا لله، قال تعالى: ﴿... فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون:١٤] ، أي المقدرين.

ويطلق الخلق كذلك: على الإحياء، وتأليف الأجزاء، قال تعالى: ﴿وَاللهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ...﴾ [فاطر:١١] ، ويطلق كذلك على إيجاد الشيء على تقدير مشتملاً على تعيين قدر، كان ذلك التعيين قبل ذلك الإيجاد.

وقد يراد بالخلق: الهم بالشيء والعزم على فعله.

وقد يطلق بمعنى الكذب والافتراء، قال تعالى: ﴿... وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ...﴾ [العنكبوت:١٧] ، أي تكذبوا تكذيباً، والخَلْقُ لا يستعمل في كافة الناس إلا على وجهين:

أحدهما: في معنى التقدير.

الثاني: في الكذب.

---

(١) انظر: التوقيف على مهمات التعاريف، ص ٣٢٤، ومفردات ألفاظ القرآن، ص ٢٩٦.

ويدل على أنه يصح أن يوصف غير الله بالخلق على معنى التقدير، قال تعالى: ﴿... فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون:١٤] ، على تقدير ما يعتقده الناس ويزعمونه من أن غير الله يبدع، فالله أحسنهم إيجاداً على ما يعتقدون، أو إشارة إلى ما يشوهونه من الخليقة بالحناء ونتف اللحية، وما يجري مجراه، أو على معنى تغيير حُكمه [(١)].

بعدما تبين معنى الخلق في اللغة **يخلص الباحث** إلى الوقوف على تعريف اصطلاحي للخلق وهو: قدرة الله المطلقة في إبداع وإيجاد الأشياء من الأشياء، أو إيجادها من العدم من غير أصل ولا احتذاء.

* قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾ [الإنسان:١].

في الآية إخبار من الله أنه أوجد الإنسان بعد أن لم يكن شيئاً [(٢)]، ونستدل من الآية أن الإنسان قبل خلقه، لم يكن شيئاً، وبخلقه أصبح شيئاً، فما هو هذا الشيء الذي خلق منه الإنسان؟؟ وماذا كان الشيء الذي خلق منه الإنسان قبل أن يخلق؟؟

* قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ...﴾ [هود:٧].

فالخلق كما أسلفنا إيجاد للشيء من العدم، وهذا يشير إلى أن السماوات والأرض قبل خلقهما لم يكونا شيئاً، وبخلقهما أصبحا شيئاً، ثم من تراب الأرض خلق الله الإنسان، وقبل خلقه لم يكن شيء، وهذا دلالة على قدرة الله وعظمته، وكذلك سائر المخلوقات لم تكن شيئاً قبل خلقها فتبارك الله أحسن الخالقين.

وفي معرض الحديث عن قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾ [الإنسان:١].

يشير سيد قطب في وقفاته مع هذه الآية مبيناً أنها تفيض بإيحاءات كثيرة من وراء صيغة الاستفهام، وهذه الإيحاءات تثير في النَّفس تأملات شتى، منها ما تتجه بالنَّفس إلى ما قبل خلق الإنسان ووجوده، كأين كان قبل وجوده؟ من الذي أوجده؟ ومن الذي جعله شيئاً مذكوراً في هذا الوجود قبل أن يكون له ذكر ووجود؟ ثم يتابع حديثه مبيناً أن هذه الإيحاءات تثير في النَّفس الإنسانية تفكير عميق، ونظرة إلى الوراء، تدعو إلى التفكر في حقيقة الإنسان، وتدبر يد القدرة،

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن، ص ٢٩٦، ٢٩٧، تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم، ص ٢٨٩، ٢٩٠، التوقيف على مهمات التعاريف، والكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسين الكفوي، ص ٤٢٩، ٤٣٠ بتصرف واختصار.

(٢) تفسير القرآن العظيم، م ٤، ص ٤٨٣.

والحكمة الإلهية، ثم نظره إلى الأمام لتلمس طريق الهدى والرشاد، والبعد عن طريق الغواية والضلال [(١)].

وللتأكيد على حقيقة هذه الآية بأن الإنسان قد أتى عليه زمن كان فيه غير موجود، ولا مخلوق، ولا مذكور لأحد من الخليقة المتقدمين عليه، وهم الملائكة والجن، وهذا إخبار بكون الإنسان في بدء الخلق كان معدوماً غير مخلوق وهذا ما أكده علماء طبقات الأرض الذين قالوا: "لم يوجد الإنسان على الأرض إلا بعد خلقها بأحقاب طوال" [(٢)].

ولبيان هذا الشيء الذي خلق الإنسان منه:

* قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ [المؤمنون:١٢].

ولقد سبق بيان هذا الأمر في الفصل التمهيدي عند الحديث عن خصائص النَّفس الإنسانية[(٣)] ، **وسيكتفي الباحث** بإجمال ذلك:

إن الله خلق آدم عليه السلام من تراب متفرق الأجزاء، ثم ابتل هذا التراب فتحول إلى طين، ثم تُرك هذا الطين فترة زمنية إلى أن أنتن واسود فصار حمأ مسنوناً (أي طين له رائحة كريهة من طول مكثه) إلى أن نفخ الله تعالى فيه من روحه ليصبح بشراً متكاملاً له سمع وبصر وعقل، وما نود الإشارة إليه، ونؤكد عليه أن آدم عليه السلام قبل أن يخلق لم يكن شيئاً، وبخلقه من تراب الأرض أصبح شيئاً، ولكن ثمة سؤال ماذا كان التراب قبل أن يكون شيئاً؟ إن معرفة معنى الخلق الذي يطلق في إحدى معانيه على إيجاد الشيء من لا شيء، وذلك بإيجاد الأشياء من العدم يشير إلى أن التراب الذي خلق منه آدم لم يكن شيئاً، وبخلقه أصبح شيئاً، وهذا هو عين القدرة والعظمة الإلهية، وهناك سؤال آخر، ماذا كان نسلُ آدم قبل أن يكونوا شيئاً؟ الإجابة واحدة، لا شيء، وبخلقهم أصبحوا شيئاً، فأصل آدم التراب، وأصل نسل آدم التراب، وليس أدل على ذلك مما دللنا عليه في الفصل التمهيدي في خصائص النَّفس الإنسانية أنها تنبت من الأرض، بمعنى تتغذى على مكونات الأرض التي تُستخلص للإنسان عن طريق كائنات أخرى من حيوان، ونبات، وغير ذلك، فيتغذى عليها الإنسان لينمو جسمه، ويكبر شيئاً فشيئاً .

* قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾ [الرُّوم:٢٠].

أشار أبو بكر الجزائري في تفسيره لهذه الآية إلى أن من آيات الله الدالة على وجوده، وعلمه وقدرته المستوجبة لعبادته وحده، والمقررة لقدرته على البعث والجزاء، وخلق البشر من تراب

---

(١) في ظلال القرآن، م ٦، ص ٣٧٧٧، ٣٧٧٨، بتصرف وإيجاز.

(٢) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، م١٥، ج٢٩، ص ٢٨٢.

(٣) انظر: ص ٢٣-٢٥ من الرسالة.

إذ خلق أباهم الأول آدم عليه السلام من تراب، وخلق حواء زوجه من ضلعه، ثم خلق باقي البشرية بطريقة التناسل، فإذا هم بشر منتشرون في الأرض متفرقون في أقطارها يعمرونها بإذنه تعالى، ثم يبين الشيخ حقيقة الخلق من تراب بعد آدم مدللاً على هذه الحقيقة الإلهية: بأن هناك وجهاً آخر للخلق من تراب، وهو أن النطف التي هي أصل خلق الإنسان بعد الأبوين آدم وحواء قد تكونت من الغذاء، وأن الغذاء قد يكون من نبات الأرض، وأن نبات الأرض مشتمل على الأجزاء الترابية التي أنبتته، فبهذا كان تكوين الإنسان من تراب [(١)].

يتبين من كلام الشيخ أن أصل آدم تراب، وأصل نسل آدم تراب، وهذه حقيقة وجودية، ولكن ما هي الصورة التي من خلالها يتحول هذا التراب إلى كائن حي يتحرك، ويسمع، وينطق، ويصدر عنه كل مظاهر الحياة؟ كيف تحول الجماد إلى هذه الصورة الحية؟ إنها الروح التي تفرد بعلمها خالق الخلق، قال تعالى: ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا**﴾ [الإسراء:٨٥].

إن الذي جعل الجماد الساكن (الذي لا يشعر ولا يحس ولا يتحرك) ينتشر في الأرض – بقدرته وعظمته – هو الله، خلق التراب الذي هو أصل آدم وذريته، خلقه من لا شيء، وبخلقه أصبح شيئاً، فسبحان الله العظيم وبحمده عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته، صاحب القدرة والعظمة المطلقة.

المطلب الثاني: القدرة الإلهية في خلق الأنثى من الذكر:

تتجلى القدرة الإلهية مرة أخرى وبصورة مختلفة عن خلق آدم عليه السلام لتكشف عن آية من آيات الخلق في هذا الكون، لتبين أن المرأة جزء حقيقي من الرجل، منه خلقت، وإليه تعود، ليسكن كل منهما للآخر، ويألفه ويحن إليه، فوحدتهما مظهر من مظاهر الحياة، وتكامل بشري يتحد فيه عنصري الذكورة والأنوثة ليتجسد من وراء هذا الاتحاد تكاثر الجنس البشري، فبعد أن خلق الله آدم عليه السلام من لا شيء وبخلقه أصبح شيئاً تبدع القدرة الإلهية بخلق حواء من شيء من نفس آدم عليهما السلام، وهناك العديد من الآيات التي تدلل على هذه الحقيقة منها على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا** ... ﴾ [النساء:١].

بين الإمام القرطبي أن معنى قوله تعالى (وَاحِدَةٍ) على تأنيث لفظ النَّفس، ولفظ النَّفس يؤنث وإن عُني به مذكر، ويجوز في الكلام (مِنْ نَفْسٍ وَاحِد) على ما ورد في بعض القراءات وهذا

---

(١) أيسر التفاسير لكلام العلي القدير، ج ٤، ص ١٨٦.

على مراعاة المعنى، إذ المراد بالنَّفس: آدم عليه السلام والمراد (مِنْهَا) بني آدم وحواء [1].

أما الإمام الزحيلي فأشار أن في الآية تذكير بأصل الإنسان الواحد، ودلالة على وجوب التزام حدود الإنسانية، وأن الإنسان أخ الإنسان أحب أم كره والأخوة تقتضي المسالمة، والتعارف، ونبذ المحاربة والخصومة والتقاطع [2].

يستدل من تفسير الآية أن الله خلقنا من آدم عليه السلام، وأنه من نفس آدم عليه السلام خلق زوجاً له وهي حواء عليها السلام.

وقد ورد في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: **(استوصوا بالنساء خيراً فإنهن خلقن من ضِلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإذا ذهبت تقيمه كسرته وإن تركتهُ لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيراً)** [3].

يظهر الحديث مدى ضعف المرأة ورقتها، والطبيعة التي خلقها الله عليها فلذا لا بد أن يكون الإنسان حكيماً في تعامله معها!!!

ولقد بين ابن عباس فيما ورد عنه طبيعة هذا الضلع حيث يقول: **(إن حواء خلقت من ضلع آدم الأيسر وهو نائم)** [4].

يستدل من الحديث أن الله خلق من ضلع آدم الأيسر: زوجته حواء وهذا دليل من دلائل قدرة الله في الخلق.

ولقد حدد الله عز شأنه الهدف الذي خلق لأجله حواء من ضلع آدم عليه السلام في العديد من الآيات منها:

* قال تعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا ...** ﴾ [الأعراف:١٨٩].

بين الله تبارك وتعالى للخلق أن الفطرة التي فُطِر الناس عليها تتجه بوصلتها إلى الإيمان بالله تعالى، وهذه شهادة النَّفس الإنسانية، وهذا العهد الذي أخذه الله تعالى على الناس، وهم في ظهور آبائهم، وها هو الله يذكرهم بالنشأة الأولى، وذلك لترسيخ العقيدة بوحدانيته، والامتناع عن

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ، م٣، ص٦.

(٢) التفسير الميسر في الشريعة والعقيدة والمنهج ، م٢، ج٤، ص٢٢٣.

(٣) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الوصاة بالنساء، ص١٠١١، حديث رقم (٥١٨٦)، وصحيح مسلم، كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء، ص٥٥٥، حديث رقم (١٤٦٨).

(٤) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الوصاة بالنساء، م٩، ص١٦٣.

الشرك، والبعد عن وسوسة الشيطان، فالله خلق الناس جميعاً من نفس آدم عليه السلام؛ لذلك فهم متجانسون أصحاب طبيعة واحدة مهما اختلفت أجناسهم، وتباينت شعوبهم، وقبائلهم فهم لآدم وآدم من تراب، ولم يتم هذا الانتشار إلا بعد ما خلق الله لآدم من نفسه من كينونيته زوجة له يسكن إليها، ويطمئن بها، ويأنسها، ويألفها، وهذه الجوانب جزء لا يتجزأ من كيان طبيعة كل من الرجل والمرأة فلا سكن إلا بالتزاوج والاقتران، فلذلك تجد شوقاً وميلاً للترابط بين الجنسين؛ ليمتد ويُورَّث إلى الأجيال جيلاً بعد جيل، وهذا ما يؤكد عليه خالق الخلق حيث يقول: ﴿فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا﴾ هذا هو اللقاء المشروع الذي من خلاله تكون الثمرة الإنسانية نتيجة لهذا اللقاء لينتشر الجنس الإنساني ليحمل رسالة الله في هذا الوجود [١].

بعد ما تبينت الطريقة والصورة التي خلق الله فيها الأنثى من الذكر من غير زوجة لبيان قدرة الله، وعظمته في خلقه نشير إلى أن هناك العديد من الآيات التي تتحدث عن هذه الصورة، والطريقة منها:

* قال تعالى: ﴿وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرُّوم:٢١].

* قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يس:٣٦].

* قال تعالى: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ [الزُّمر:٦].

المطلب الثالث : القدرة الإلهية في خلق النَّفس من ذكر وأنثى:

بالنظر إلى خلق آدم وخلق حواء عليهما السلام من ضلعه، دليل آخر من دلائل عظمة الله وقدرته في هذا الكون لتأخذ سنة الله في الكون في تكاثر وانتشار النَّفس الإنسانية منحى آخر وشكلاً مختلفاً عن الطريقة الأولى التي خلق فيها من نفس آدم وزوجته حواء عليهما السلام، وهذا دليل آخر على أن الله لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، وفي معرض بيان هذا الجانب:

---

(١) زهرة التفاسير، م٦، ص٣٠٢٨-٣٠٣٠، والتفسير المنير في الشريعة والعقيدة والمنهج ج٩، ص٢٠٠، ٢٠١ بتصرف واختصار.

* قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ...﴾ [النساء:١].

قال الإمام القرطبي: "بث" معناه فرق ونشر في الأرض [١] في الآية دليل على أن التزاوج بين الذكر والأنثى هو طريق التكاثر والانتشار للجنس البشري في هذه الأرض الذي عماده الذكر والأنثى "الأب والأم".

* قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرُّوم:٢١].

من أجمل ما بينه العلماء في تفسير هذه الآية ما أشار إليه الشيخ الشعراوي حيث بين أن الآية هي الشيء العجيب الذي يقف عنده العقل مندهشاً دهشة تورث إعجاباً، وإعجاباً يورث يقيناً بحكمة الخالق، ومن آيات الله العجيبة الباهرة أن خلق لنا من أنفسنا من جنسنا ونوعنا أزواجاً، فلم يحدث التكاثر بين الإنسان وكائن آخر من كائنات الخلق، إنما بين إنسان مع إنسان يختلف معه في النوع، فهذا ذكر وذاك أنثى، وهذا الاختلاف اختلاف تكامل لا اختلاف تعاند وتصادم، فالمرأة للرقة والليونة والحنان، والرجل للقوة والخشونة، لذا فهو يفرح ويأنس بنعومتها ورقتها وحنانها، وهي تبدي السرور والفرح بخشونته ورجولته، فحينها يحصل التكامل الذي أراده الله وقصده، وكأن الإنسان يعود إلى أصله التحام واتحاد كما هو آدم المتجذرة حواء في كيانه، فكما أن الليل والنهار ضرورتان متكاملتان، فيسلخ الله من الليل النهار ثم يعود مرةً أخرى دواليك فالرجل والمرأة كذلك آيتان، فلذا لا غرابة في أن يجمع الله بين الليل والنهار، والذكر والأنثى، قال تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى * وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى * إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾ [الليل:١-٤]، فالكل مهمة منوطة به فالليل للراحة ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾ [النَّبأ:١٠]، والنهار للسعي والعمل ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ [النَّبأ:١١]، وأنى يستوي الليل مع النهار، فالمساواة بينهما جهل وظلم وحيف واختلال في موازين الكون والخلق، ثم يتابع الشيخ حديثه مبيناً اختلاف العلماء في تفسيرهم لقوله تعالى: ﴿مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾، قائلاً: "في حين يرى البعض أن المعني حواء من ضلع آدم، فهي قطعة منا، يرى الفريق الآخر من العلماء أن المخاطب به الذكر والأنثى معاً، كما أن الأزواج تطلق عليها أيضاً رجل وامرأة"، ثم يؤكد الشيخ على حقيقة قد تكشفت لنا وهي أنه كان الاعتقاد سائداً أنه يتحدد نوع الجنين من ماء الرجل وماء المرأة، لكن القرآن الكريم غير هذا الاعتقاد وذلك من خلال تكشف

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، م٣، ص٦.

معنى الآية في ظل التقدم العلمي والتكنولوجي: ﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى ﴾ [القيامة:٣٧]، فتوصل العلماء إلى أن ماء المرأة لا دخل له في نوع الجنين، إنما الذي يحدد ذلك هو ماء الرجل، واستدل الشيخ بقوله تعالى: ﴿ ... خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ... ﴾ [الرُّوم:٢١]، بأن المعنى بذلك ذكور الأزواج وذلك بما يحمله ماء الرجل من شفرة وراثية (١) تحتوي على صفات الأنوثة وصفات الذكورة(٢).

تدلل الآية على أن أصل الإنسان هو آدم عليه السلام وجاء العلم الحديث ليدلل على هذه الحقيقة بما يحمله من شفرته الوراثية الحاملة للصفات الذكرية والصفات الأنثوية في حين أن الأنثى تحمل فقط الصفات الأنثوية.

العلة في خلق الأزواج (الذكر والأنثى):

وفي معرض بيان العلة التي خلق الله من أجلها من أنفسنا أزواجاً يقول الشيخ الشعراوي: "أن العلة الأصيلة في الزواج أن يسكن كل واحد للآخر، والسكن لا يكون إلا عن حركة، كذلك فالرجل طول يومه في حركة العمل والسعي على المعاش يكدح ويتعب، فيريد آخر النهار أن يسكن إلى من يُريحُه ويواسيه، فلا يجد غير زوجته عندها السكن والحنان والعطف والرقة، وفي هذا السكن يرتاح ويستعيد نشاطه للعمل في غد، لكن تصور إن عاد الرجل متعباً فلم يجد هذا السكن، بل وجد زوجته ومحل سكنه وراحته تزيده تعباً، وتكدَّر عليه صَفْوه، إذن: ينبغي للمرأة أن تعلم معنى السّكَن هنا، وتؤدي مهمتها لتستقيم أمور الحياة، ثم أن الأمر لا يقتصر على السَّكَن إنما ﴿ ... وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ... ﴾ [الرُّوم:٢١]، ثم يتابع الشيخ قوله: "المودة هي الحب المتبادل في مشوار الحياة وشراكتها فهو يكد ويوفر لوازم العيش وهي تكدح لتدبر أمور البيت وتربية الأولاد وإن الله يقول: ﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ﴾ [الليل:٤]، هذا في إطار الحب والحنان المتبادل أما الرحمة: فتأتي في مؤخرة هذه الصفات، سكن ومودة ورحمة".

---

(١) المقصود بالشفرة الوراثية هي ما تحمله الصبغيات "الجينات" أو ما يسمى "كروموسوم" من صفات وراثية تورث من جيل لآخر ويبلغ عددها في خلية جسم الإنسان ٤٦ صبغياً "كروموسوم" منهم ٢٢ زوج من الصبغيات الحيوية، وزوج واحد من الصبغيات الجنسية أما بويضة المرأة فتحتوي على ٢٣ صبغياً "كروموسوم"، والحيوان المنوي للرجل كذلك يحتوي على ٢٣ "كروموسوم" وبجمعها يصبحا نفس عدد الصبغيات الموجودة في الخلية العادية في جسم الإنسان ٤٦ كروموسوم ويختص كروموسوم واحد فقط بتحديد جنس المولود وهذا الكروموسوم موجود في الذكر فقط دون الأنثى وهو الذي يحدد جنس المولود: ذكر أم أنثى لذا المسئول عن تحديد جنس الذكر هو الرجل وليس المرأة، انظر: علم النَّسيج، دكتور: موفق شريف جِنيد، ص٤٥، ٤٦، ومحاضرات في علم نفس النمو والصحة النَّفسية، أ. أسامة عطية المزني ود. حسن محمود الغلبان، ص٣٣، ٣٤.

(٢) تفسير الشعراوي، م ١٨، ص١١٣٥٦-١١٣٥٨ بتصرف واختصار.

ثم يشير الشيخ إلى أن القرآن يلفت أنظارنا إلى أن هذه المرحلة التي ربما فقدتم فيها السكن وفقدتم المودة، فإن الرحمة تسعكم، فليرحم الزوج زوجته إن قصُرت إمكاناتها للقيام بواجبها، ولترحم الزوجة زوجها إن أقعده المرض أو أصابه الفقر ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾، في هذه المسائل والمراحل التي تمر بالحياة الزوجية، وكيف أن الله تعالى جعل لنا الأزواج من أنفسنا وليست من جنس آخر، وكيف بنى هذه العلاقات من السكن والحب والمودة ثم في مرحلة الكبر على الرحمة التي يجب أن يتعايش بها الزوجان طيلة حياتهما [١].

يترتب على هذا السكن والحب والمودة والرحمة إعمار الكون واستعماره.

بعدما استبانت الصور التي يتم فيها خلق الإنسان من الذكر والأنثى "الأب والأم" فهناك العديد من الآيات التي تتحدث عن هذا الجانب والتي منها:

* قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يس:٣٦].

* قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى﴾ [النَّجم:٤٥].

* قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات:١٣].

المطلب الرابع: القدرة الإلهية في خلق الذكر من أنثى دون زوج:

من دلائل عظمة الموجد المتفضل بالإيجاد في هذا الوجود: خلق الذكر من أنثى دون زوج، وهذه صورة أخرى من صور القدرة الإلهية تتجلى في أبدع صورها وأشكالها، فكما أن هذا الإله جعل بعض مخلوقاته أرضاً، وبعضها سماءً، وبعضها حيواناً، وبعضها نباتاً، وبعضها تراباً، وبعضها ذهباً، وبعضها أنهاراً، وبعضها من ذكر وأنثى، وبعضها من لا ذكر ولا أنثى، وبعضها خلق منها زوجها، وبعضها خلق منها ذكراً من أنثى دون زوج كما هو عيسى عليه السلام خلقه الله من أم دون أب، هذه الصور، والأشكال للخلق، وخصوصاً حينما يكون الخلق من لا شيء، وبخلقه يصبح شيء!! فهذا شيء يشير، ويدلل على مدى قدرة الله المطلقة التي ليس لها حد، فكل ما في هذا الوجود مدين لله بكينونيته، وما يتعلق بالكينونة، فكل ما في هذا الوجود آية تنطق بمحض فضله، وقدرته، وعظمته، وحكمته.

---

(١) تفسير الشعراوي، م ١٨، ص١١٣٦٠-١١٣٦٢ بتصرف.

لذا بين الله تعالى قدرته في خلق عيسى عليه السلام من أم بلا أب، فقال ﷻ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آَدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * الحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ المُمْتَرِينَ﴾ [آل عمران:٥٩ –٦٠].

تبين الآية أن من اتخذ عيسى إلهاً فقد كذب على الله، وكذب جميع أنبيائه، وكذب عيسى عليه السلام، فالشبهة التي اعترضت له باتخاذه إلهاً، شبهة باطلة، فلو كان لها وجه صحيح، لكان آدم أحق منه، فإنه خلق من دون أم ولا أب، ومع ذلك، فاتفق البشر كلهم على أنه عبد من عباد الله، فدعوى إلهية عيسى عليه السلام من أبطل الدعاوى" [(١)] .

لقد حسم الله تبارك وتعالى أمر عيسى كي لا يدخل الشك، والريبة في قلوب المرجفين فلم يترك لهم مجالاً للنيل منه، كما يدلل لنا على قدرة القدير، وعظمة العظيم، فعيسى عليه السلام مخلوق كباقي المخلوقات، فكما أن الله خلق آدم عليه السلام من طين، فإنه قادر – من باب أولى– على خلق عيسى من أم من غير أب.

ثم بين الله لنا الكيفية التي جاء بها عيسى عليه السلام من أم دون أب، حيث يقول تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ القَانِتِينَ﴾ [التَّحريم:١٢].

فمريم عليها السلام نفخ جبريل عليه السلام في جيب درعها، وهي طاهرة مصدقة بكتب الله، وبما أرسل به جبريل حين نزل عليها، وبعيسى عليه السلام وهي من المطيعين العابدين الصادقين [(٢)].

وفي آية أخرى يبين هذه الحقيقة، حيث يقول: ﴿إِنَّمَا المَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ ... ﴾ [النساء:١٧١].

أي إنما عيسى عليه السلام كلمة الله (كن فيكون) ألقاها إلى مريم عليها السلام [(٣)]، فعيسى عليه السلام ذو روح من أمر الله مثل كل الأرواح البشرية التي خلقها.

وفي موضع آخر تتجلى هذه الحقيقة لتكشف عن ذاتها، حيث يقول الله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا * فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا * قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا * قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا *

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ١٠٢.

(٢) النكت والعيون "تفسير الماوردي"، م٦، ص ٤٨ بتصرف.

(٣) اللؤلؤ والمرجان في تفسير القرآن، م١، ص ٢٣٥.

قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا * قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا * فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا * فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا * فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا * وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا * فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا * فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا * يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا * فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا * قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا * وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا * ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ * مَا كَانَ للهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [مريم:١٦-٣٥].

واذكر في القرآن مريم إذ اعتزلت في مكان بعيد، واتخذت ساتراً بعيداً عن الناس فجاءها جبريل عليه السلام، فاستعاذت والتجأت إلى الله، فأخبرها جبريل أني جئت بأمر الله لأتسبب في أن يهب الله لكِ غلاماً طاهراً مباركاً، فأجابته وكيف يكون ذلك ولم يقترب رجل مني بالزواج وأني لست فاجرة تبغي الزنا، فأجاب جبريل إنه آية وبرهان على تمام القدرة الإلهية في خلق الغلام من غير أب، وهذا أمر الله سبق فيه القضاء، فحملت فابتعدت بعيداً عن أهلها فألجأها المخاض وهي مقدمات الولادة إلى جذع النخلة، فقالت: يا ليتني مت قبل هذا تخوفاً من اتهامها بالرذيلة، فناداها جبريل أو عيسى عليه السلام أن الله جعل تحتك جدول ماء، وهزي بجذع النخلة يتساقط عليك رطباً من أطيب الطعام للنفساء، فطيبي نفساً ولا تحزني بشأن مولِده دون أب، وإذا رأيتِ أحداً من الناس فأشيري إلى عيسى عليه السلام، وقولي إني نذرت للرحمن صوماً عن الكلام، فأتت به قومها فاتهموها بفرية عظيمة حيث أتت بولد من غير أب، وأنت يا مريم أخت هارون في الصلاح والتقوى، فأجابوا بعد إشارتها لعيسى عليه السلام كيف نكلم من كان في المهد رضيعاً، فأجاب عيسى عليه السلام: أني عبد الله آتاني الكتاب، "أي قضى بإعطائي إياه" لا بد من تحقيقه، وأن أكون باراً بوالدتي مكرماً لها ممتثلاً لأمر الله بالبر، ولم أكـن متعاظماً عاصياً لربه، هذا قول الحق فخلقه بقوله كن، وأنتم تتخاصمون في شأنه، فسبحان الله الذي إذا أراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون [1].

---

(١) مصحف الصحابة في شرح كلمات القرآن الكريم، عبد الله علوان، ص ٣٠٦، ٣٠٧ بتصرف وإيجاز.

إن هذه الطريقة التي خلق فيها عيسى عليه السلام أعطت مجالاً لمن يتصيد الأمور ويحرفها عن مسارها، ويؤولها كيف يشاء لأمر في نفسه يريد تحقيقه، وتضيق هذه النظرة وتتسع حسب اختلاف الأهواء والآراء، كما أن أموراً أخرى أعطاها الله لعيسى عليه السلام كمعجزات أيده بها كإحياء الموتى "الذي لا يكون إلا لله" وإبراء الأكمه، والأبرص، والإخبار عن بعض الغيوب، هذه المعجزات جعلت النصارى يعتقدون الألوهية، والربوبية لعيسى عليه السلام، لذا قال تعالى في شأنه ﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي المَوْتَى بِإِذْنِ اللهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:٤٩].

فالذي اعتقد ألوهية عيسى عليه السلام قد كفر، ولقد قال تعالى في شأن من اعتقد ذلك: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ المَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ المَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة:٧٢].

وفي موضع آخر قال: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة:٧٣].

وبمزيد من التأكيد على بطلان ألوهية المسيح وأمه؛ وذلك باحتياجهما لغيرهما، وإن من لوازم الإله أن يكون غنياً بذاته، ويتنافى عنه العجز، وصفات الضعف، فيبرهن الله على ذلك حيث يقول: ﴿مَا المَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرّسل وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ * قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ﴾ [المائدة:٧٥-٧٦].

في موضع آخر يشهد الله عيسى على نفسه، وعلى الخلق في تبرئته من هذه الادعاءات، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ﴾ [المائدة:١١٦].

فعيسى عليه السلام مخلوق كبقية المخلوقات، وإذا كان الله قد خلق آدم من الطين فإنه قادر من باب أولى على خلق عيسى من غير أب، كما أنه خلق من ذكر دون أنثى زوجاً للذكر، وذلك بخلق حواء من ضلع آدم كما أنه خلق إنساناً من أبوين كبيرين في السن بعد بلوغ الزوجة سن اليأس كما حصل لعمران وزوجته، وزكريا وزوجته، وغيرهما.

حقاً إنه الإله الأعظم المتفرد في الخلق على الصورة، والكيفية والهيئة والشكل الذي يريد، وفي الوقت الذي يختار إنه صاحب القدرة المطلقة، العظيم القهار، فما من شيء خلقه إلا بميزان واقتدار.

خلاصة المبحث:

أظهر المبحث قدرة الله المطلقة في خلق النّفس البشرية في صور وأشكال عديدة، ابتداءً من خلق الإنسان من عدم مروراً بخلق الأنثى من ذكر، ثم خلق النّفس من ذكر وأنثى انتهاءً بخلق الذكر من أنثى دون زوج.

الفصل الثاني

آثار وآيات القدرة الإلهية في خلق مكونات الإنسان ومراحله وأطواره

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: مراحل خلق الإنسان.

المبحث الثاني: مكونات النَّفس البشرية وآثار وآيات القدرة الإلهية فيها.

المبحث الأول

مراحل خلق الإنسان

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مراحل خلق الإنسان في عالم الذَّر.

المطلب الثاني: مراحل خلق الإنسان وأطواره في عالم الأرحام.

المطلب الثالث: مراحل خلق الإنسان ما بعد الأرحام.

المبحث الأول

مراحل خلق الإنسان

الحديث عن مراحل خلق الإنسان من أهم الأمور التي تكشف عن عظمة الله وقدرته في هذا الكون، والتي تستدعي الإيمان واليقين بخالق الخلق، ففي الوقت الذي كان العرب يغُطُّون في دائرة أميتهم وانحسار حدود معرفتهم التي لا تتجاوز معالم البادية بمكوناتها المحدودة؟ نزل القرآن الكريم ليخاطب الناس بمفهوم يخرجهم من هذه الدائرة المغلقة إلى دائرة العالمية المنفتحة بشتى جوانب المعرفة ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [العلق: ١-٢] .

هذا الخالق خلق الكون من لا شيء، وبخلقه أصبح شيئاً، وخلق الإنسان من طين، وجُذِّر في كينونة آدم ذريته تخرج من ذاته يوماً بعد يوم، وساعة بعد ساعة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، لذا **سيبين الباحث** مراحل هذا الخلق من خلال ما ورد في القرآن الكريم ابتداءً من عالم الذر وانتهاءً بالحياة الأبدية؟!!

المطلب الأول: مراحل خلق الإنسان في عالم الذر:

عالم الذر عالم عجيب، متناهٍ في الصِّغر، عالم ينطق بالآيات الدالة على قدرة الله وعظمته، ظل هذا العالم خافياً علينا حتى توصل العلم الحديث إلى شيءٍ يسيرٍ من أسرار هذا العالم المثير للاهتمام الباعث على الإيمان.

وفي إشارة لبيان بعض من خفايا هذا العالم، بين النبي ﷺ ما حدث مع آدم عليه السلام في وادي نعمان بعرفة حين شاهد ذريته المتجذرة في كيانه تخرج أمامه من عالم الذر إلى عالم المجسمات، ومن عالم الغيب إلى عالم الشهادة.

عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **(إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم عليه السلام بنعمان – يعني عرفة– يوم عرفة، فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرها بين يديه، ثم كلمهم قُبلاً قال: ألست بربكم؟ قالوا: بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين، أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل، وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون)** (١) .

هذا الحديث يدلل على صدق الوحي والنبوة؛ وذلك لأن هذا العلم كان مغيب عنا وجاء به الصادق المصدوق قبل ألف وأربعمائة عام ونيف، وهو أمي لا يعرف القراءة والكتابة، ولم يتعلم في

---

(١) رواه أحمد في مسنده، ج٤، ص٢٦٧، وذكره: محمد ناصر الدين الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، م٤، ص١٥٨، حديث رقم (١٦٢٣).

معهد أو جامعة أو كلية، حيث إن الخصية التي هي مكان تكوين النطف أول ما تتكون في الجنين فإنها تكون في منطقة الظهر، ثم تنزل شيئاً فشيئاً، في هذا اليوم المشهود: رأى آدم من أمته الأنبياء والمرسلين، ورأى منهم ذوي النور، وذوي الظلمة، والحُسن والقبح، والمعاندين، ورأى منهم أتباع الشياطين، يومها أشهدهم ربهم على أنفسهم ألست بربكم؟ قالوا: بلى وشهد الملائكة قالوا: ﴿ ... شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف:١٧٢].

عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: **(لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نَسَمة** [١] **هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة وجعل بين عيني كل إنسان منهم وبيصاً** [٢] **من نور، ثم عرضهم على آدم فقال آدم أي رب من هؤلاء؟ قال: هؤلاء ذريتك فرأى رجلاً منهم فأعجبه وبيص ما بين عينيه قال: قال أي رب من هذا؟ قال هذا رجل آخر الأمم من ذريتك يقال له داود، قال رب وكم جعلت عمره؟ قال: ستين سنة، قال: أي رب هذا وهبتُ له من عمري أربعين سنة، فلما انقضى عمر آدم وجاءه ملك الموت قال: أولم يبقى من عمري أربعون سنة، قال: أولم تعطها ابنك داود قال فجحد آدم فجحدت ذريته، ونسي آدم فنسيت ذريته وخطئ آدم فخطئت ذريته)** [٣].

عالم الذر والعلم الحديث:

هذا الحديث يضع صورة حقيقية لعالم الذر المتجذر في كينونة آدم الذي يُكشف عن أسراره وخباياه يوماً بعد يوم وساعة بعد ساعة، وليس أدل على ذلك مما توصل إليه العلم الحديث.

قال الدكتور محمد البار: إن العلم الحديث يقول: "إن الإنسان موجود بشكل شيفرة معقدة مطوية مبرمجة، فإذا استقرت النطفة الأمشاج في الرحم، بدأت تفك شيئاً من سرها المغلق حسب البرنامج المعد لذلك خطوة فخطوة، حتى تخطو النطفة الأمشاج من مرحلة إلى مرحلة ومن طور إلى طور، حسب ذلك البرنامج المعد منذ أن كانت في عالم الذر حسب أمر بارئها وخالقها.." [٤].

إنه عالم الذر المغيب عن الإنسان الذي لا يعلمه إلا خالق الخلق، هذا العالم الموجود في الرمز والشيفرة الوراثية الموجودة على الكروموسومات، ويوجد بهذه الكروموسومات ما يسمى

---

(١) نسمة: النَّفس والروح. النهاية في غريب الحديث والأثر، محي الدين أبي السعادات بن محمد الجزري بن الأثير، ص ٩١٣.

(٢) الوبيص: البريق. المرجع السابق، ص ٩٥٦.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، ج٢، ص٣٥٥، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة، م٤، ص١٦٠.

(٤) انظر: ص ١٥٠.

بالناسلة أو الجين [١] التي تحتوي على الصفات الجسدية والنَّفسية والسلوكية، والتي يظهرها الله متى شاء وأينما شاء وكيفما شاء ثم يعيدها إلى عالمها السرمدي، هذه الصفات تنتقل عبر الحيوانات المنوية للآباء والبويضة للأمهات، ثم تتوارث جيلاً بعد جيل، وأمة بعد أمة؛ ليظهر من جاء أوان ظهوره إلى عالم الظهور.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ...﴾ [النساء:١].

وقال أيضاً: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ...﴾ [الزُّمر:٦].

برغم أن الناس خلقوا من آدم وآدم من تراب، نجد أن الناس يختلفون في صفاتهم، وسماتهم، وحركاتهم، وسكناتهم، وأفكارهم، وخيالهم، وكل ذلك موجود والإنسان في عالم الذر تعمل فيه يد القدرة الإلهية [٢]، وذلك لأن النّاس خليط من نطفة الرجل ونطفة المرأة، وباجتماعهما تخرج صفات جديدة ومختلفة.

العهد والميثاق يقتضي عدم الإشراك بالله:

العهد والميثاق الذي أخذه الله على آدم وذريته بوادي نعمان أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، ورد في الصحيح عن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال: **(يقول الله تبارك وتعالى لأهون أهل النَّار عذاباً: لو كانت لك الدنيا وما فيها أكنت مفتدياً بها؟ فيقول نعم فيقول قد أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم أن لا تشرك أحسبه قال ولا أدخلك النَّار فأبيت إلا الشرك)**[٣].

يشير هذا الحديث إلى العهد والميثاق الذي أخذه الله عز شأنه على آدم وذريته يوم خلقهم في صُلبه، ثم بين أن فريقاً من النّاس يكفرون بالله خالقهم والمتنعم عليهم بالإيجاد والإمداد وبنعمة

---

(١) هذه الناسلات تؤدي وظائف وتحمل أسراراً لا يحيط بها ولا يدرك مداها إلا علام الغيوب وفي كل خلية من جسم الإنسان أكثر من ثمانية بلايين ناسلة، وفي جسم الإنسان أكثر من ٦٠ مليون خلية، في حين لو جمعت هذه الناسلات كلها في جسم الإنسان فإن حجمها لا يزيد عن رأس دبوس فأي عقل يستطيع أن يحيط بها، قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ...﴾ [البقرة:٢٥٥]، انظر: خلق الإنسان بين الطب والقرآن، د. محمد علي البار، ص١٤٣.

(٢) خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ص١٤٢-١٤٨ بتصرف واختصار.

(٣) صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنّة والنّار، باب طلب الكافر الفداء بملء الأرض ذهباً، ص١٠٨٠، حديث رقم (٢٨٠٥).

الهدى والرشاد. كيف بهم يكفرون بعد كل هذه المنح والفضائل والعطايا!!!

ولقد بين الله تبارك وتعالى هذا العهد والميثاق في كتابه العزيز حيث قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آَدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف:١٧٢].

يصور القرآن الكريم المشهد الكوني الذي أخذه الله على البشرية قاطبة، والذي يتجسد في إبراز جانب الفطرة التي فطر الله البشرية عليها بأخذه الميثاق عليهم بالاعتراف له بالربوبية وحده وهم في عالم الذر، قال تعالى: ﴿... فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ...﴾ [الرُّوم:٣٠]، فالتوحيد ميثاق معقود بين فطرة البشرية وخالقها، فلا حجة لهم في نقض الميثاق؛ وأما كيفية هذا المشهد فإن الإدراك البشري يعجز عن كيفيات أفعال الله ما دام أنه لا يدرك ذات الله، وأياً ما كان هذا الإشهاد بإخراج ذرية آدم من كينونته أمام ناظريه وهذا ما ترجحه الدلائل والقرائن، أو بجعل نسله جيلاً بعد جيل وقرناً بعد قرن ليشهدوا على أنفسهم بلسان الحال، أو المقال على وحدانية الله وربوبيته في هذا الكون وهي أكبر شهادة على تحقيق هذا الميثاق والوفاء به، وهذا حجة على الخلق بما أودعه الله فيهم من قوى البصيرة والإدراك التي تشهد بوحدة الوجود وبربوبية الخالق [١].

أما الشيخ الشعراوي في إطار حديثه عن هذا العالم من خلال الآية السابقة، فبدأ باستعراض قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾ [الرُّوم:٢٠].

يقول الشيخ الشعراوي: "الكلام هنا عن بدء الخلق بصيغة الجمع، والمراد آدم ثم حواء، ثم بث الله فيهما رجالاً كثيراً ونساء، فالعالم اليوم الذي يعد بالمليارات حين تعود به إلى الماضي لابد أن تعود إلى اثنين هما آدم وحواء، فلما التقيا نشأ منهما النسل، لكن هل نشأ النسل من أبعاض ميتة خرجت من آدم، أم من أبعاض حية هي الحيوانات المنوية!!! لو أن الحيوان المنوي كان ميتاً لما حدث الإنجاب، إذاً: جاء أولاد آدم من ميكروب [٢] أبيهم آدم، وانتشروا في الأرض وأنجبوا، وكل منهم يحمل ذرة من أبيه الأول آدم ، وبالتالي فكل منا فيه ذرة من عهد آدم، وحتى الآن لم يطرأ عليها فناء أبداً وهذا هو عالم الذر الذي شهد خلق الله لآدم، إنها أبعاضنا التي شهدت هذا العهد الأول بين الخلق والخالق سبحانه قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آَدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف:١٧٢].

---

(١) في ظلال القرآن، م٣، ج٩، ص١٣٩١-١٣٩٦، والأساس في التفسير، م٤، ص٢٠٥٨-٢٠٦٢، وتفسير القرآن العظيم، ج٢، ص٢٧٢-٢٧٥ بتصرف وإيجاز.

(٢) ميكروب الشيء: أصل الشيء.

"إذاً في كلٍّ منا الآن وحتى قيام الساعة ذرية حية من أبيه آدم، هذه الذرة الحية هي التي شهدت هذا العهد، وهي التي تمثل الفطرة الإيمانية في كل نفس بشرية، ولكن هذه الفطرة تُطمَس أو تُغلّف بالغفلة والمعاصي" (١).

إن الدليل العقلي المقرون بالواقع العلمي اليوم ليؤكد حقيقة هذا العالم الموجود على الشفرة الوراثية للإنسان الممتدة إلى آدم عليه السلام المتجذرة في كينونته، ليتواصل سر هذا الوجود إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، حيث إن الحيوان المنوي للذكر حال التقائه بالبويضة يكوّنان خلية واحدة تحتوي على عدد مساوٍ لعدد كروموسومات الخلية في الجسم (٤٦ كروموسوم)، عليها تحمل الصفات الوراثية المتوارثة عبر الأجيال، وعليها تحمل الصفات الإنسانية إضافة إلى الصفات الذكرية والأنثوية، فلم يحصل على الإطلاق أن رجلاً تزوج بامرأة أنجبت شجرة أو جملاً أو حصاناً ولكن أنجبت إنساناً موجوداً على الشفرة الوراثية، إنه عالم الذر، إنه عالم الكينونة الأولى التي تنتشر جيلاً بعد جيل إنه عالم الآيات التي تتكشف في هذا الوجود سبحان خالق الخلق سبحان الله.

المطلب الثاني: مراحل خلق الإنسان وأطواره في عالم الأرحام:

لقد تحدث القرآن الكريم والسنة النبوية عن مراحل خلق الإنسان منذ آدم عليه السلام، مروراً بذريته، ابتداءً من مرحلة الطين مروراً بالنطفة، ثم العلقة، ثم المضغة، ثم خلق المضغة عظاماً، ثم كسوة العظام لحماً، ثم خلق الإنسان المتكامل في أحسن تقويم ثم مرحلة الطفولة، ثم مرحلة الشباب "الأشد" ثم الكهولة، ثم انتهاء هذه الحياة بالموت.

في الوقت ذاته أجمع العلماء قديماً وحديثاً على مرور الإنسان بهذه المراحل، ولكن اختلفوا في تحديد ملامح، وأشكال، وطبيعة هذه الأطوار، وما هذا الاختلاف إلا لقصور ومحدودية علم الإنسان برغم ما أوتي من علم، قال تعالى: ﴿**عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**﴾ [العلق:٥]، وقال أيضاً مبيناً محدودية هذا العلم ﴿... **وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا**﴾ [الإسراء:٨٥] ، وفي إشارة لكمال علم الله ﴿**مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا**﴾ [الكهف:٥١] ، وفي موضع آخر يتساءل الله مبيناً محدودية علم الإنسان ﴿... **أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللهُ** ...﴾ [البقرة:١٤٠] .

---

(١) تفسير الشعراوي، م١٨، ص١١٣٤٩، ١١٣٥٠.

لذا **سيقتصر الباحث** على ذكر هذه المراحل معزَّزة بالآيات وبعض الأحاديث النبوية مع التطرق لآراء العلم الحديث دون الخوض في جزئيات الخلاف ما أمكن.

عالم الأرحام:

من خلال التعرُّف على عالم الأرحام **يرى الباحث** أنه:

الفترة الزمنية التي تمكث فيها النطفة الأمشاج في رحم الأم "حمل الجنين داخل الرحم" إلى فترة الولادة، وهي في الغالب تسعة أشهر.

ولقد تحدث القرآن الكريم عن فترة الحمل في عدة آيات منها قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ...﴾ [الأحقاف:١٥].

في الآية وصية من الله لجنس الإنسان، بالإحسان والحنو على والديه، وصية قائمة على أساس إنسانيته، وهذا الإحسان بمقتضى الوالدية، وهذه الوصية مربوطة بإظهار جانب التضحية النبيلة الكريمة التي تتقدم بها الأمومة، والتي لا يجزيها أبداً إحسان من الأولاد مهما أحسنوا، وإبراز صورة الألم والتعب والعذاب من قبل الأم خلال فترة الحمل، خصوصاً في أواخر أيام الحمل، وبفضل تقدم علم الأجنة فإذا به يكشف عن أسرار وجسامة التضحية ونبلها في صورة حسية مؤثرة، فالبويضة بمجرد تلقيحها بالحيوان المنوي، تسعى للالتصاق بجدار الرحم، وهي مزودة بخاصية آكلة، تمزق جدار الرحم الذي تلتصق به وتأكله فيتوارد دم الأم إلى موضعها، حيث تسبح هذه البويضة الملقحة في بركة من دم الأم، الغني بكل ما في جسمها من خلاصات، وتمتصه لتحيا به وتنمو وتكبر، ثم بعد الوضع تعطي الأم عصارة لحمها وعظمها في اللبن، وعصارة قلبها وأعصابها في الرعاية، وهي مع ذلك فرحة سعيدة (١).

ولقد استدل على رضي الله عنه على أقل مدة للحمل من هذه الآيات قال تعالى: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ...﴾ [الأحقاف:١٥]، وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ ...﴾ [لقمان:١٤]، وقال تعالى: ﴿وَالوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ...﴾ [البقرة:٢٣٣] استنبط علي ﷺ من هذه الآيات أن أقل مدة للحمل ستة أشهر، ووافقه عثمان وجمع من الصحابة ﷺ، عن معمر بن عبد الله الجهني قال: تزوج رجل منا امرأة من جهينة فولدت له تمام ستة أشهر، فانطلق زوجها إلى عثمان ﷺ فذكر له ذلك، فبعث إليها فلما قامت لتلبس ثيابها بكت أختها فقالت ما يبكيك؟ فوالله ما التبس بي أحد من خلق الله

---

(١) الأساس في التفسير، م٩، ص٢٢٥٨-٢٢٦٠ بتصرف.

تعالى غيره قط يقضي الله ﷻ فيَّ ما شاء، فلما أتى بها عثمان ﷺ أمر برجمها فبلغ ذلك علياً ﷺ فأتاه فقال له: ما تصنع؟ قال: ولدت تماماً لستة أشهر، وهل يكون ذلك؟ فقال له علي ﷺ: أما تقرأ القرآن؟ قال: بلى. قال: أما سمعت الله ﷻ يقول: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ وقال: ﴿حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ فلم نجده بقي إلا ستة أشهر قال: فقال عثمان ﷺ: والله ما فطنت بهذا، عليَّ بالمرأة فوجدوها قد فرغ منها قال: فقال معمر: فوالله ما الغراب بالغراب، ولا البيضة بالبيضة، بأشبه منه بأبيه فلما رآه أبوه قال: ابني والله لا أشك فيه [١].

كيفية استنباط أقل مدة للحمل !!!

كما ورد في الآية أن الحمل والفصال "الفطام" في ثلاثين شهراً، وفي آية أخرى أن الفطام أقصاه في عامين "أربعة وعشرين شهراً"، فإذا تم طرح مدة الفطام "٢٤ شهراً" من مدة الحمل والفطام "٣٠ شهراً" أي: ٣٠-٢٤ = ٦ أشهر وهو أقل مدة الحمل.

هذا الاستنباط من قبل علي ﷺ هو ما أقره العلم الحديث اليوم.

أما ابن حزم في المحلى قال: "لا يجوز أن يكون الحمل أكثر من تسعة أشهر ولا أقل من ستة أشهر بقول الله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ...﴾ [الأحقاف:١٥]، وقال تعالى: ﴿وَالوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ...﴾ [البقرة:٢٣٣] فمن ادعى حملاً وفصالاً يكون في أكثر من ثلاثين شهراً فقد قال الباطل والمحال، ورد كلام الله ﷻ جهاراً"[٢].

وهذا ما أكده العلم الحديث في أكثر مدة الحمل وأقله، لذا **سيبين الباحث** مراحل خلق الإنسان في عالم الأرحام بشكل أوسع مما تطرقنا إليه في الفصل التمهيدي مع إبراز بعض جوانب القدرة الإلهية.

أولاً: مرحلة الحيوان المنوي (الحيمن المنوي) [٣] :

يساهم الرجل كما المرأة، في عملية إنتاج الجنين، حيث يقوم الجهاز التناسلي الذكري بإنتاج النطف "الحيوانات المنوية" حيث تقدر هذه الحيوانات التي تسبح في السنتيمتر المكعب بمائة مليون حيوان منوي [٤].

---

(١) الأساس في التفسير، م٩، ص٥٢٦٠.

(٢) المحلى بالآثار، ج١٠، ص١٣٢.

(٣) أشار صاحب كتاب دورة حياة الإنسان بين العلم والقرآن أن لفظ الحيوان المنوي خطأ، والأصوب الحيمن المنوي، وكذلك البويضة خطأ والأصوب البييضة. انظر: ص ٢٩.

(٤) دليل الأنفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث، ص٩٠.

وتقوم هذه الحيوانات المنوية بالاتحاد مع البويضة الأنثوية لتكون الجنين.

ولقد بين الله مكان خروج هذه النطف حيث يقول ﴿فَلْيَنْظُرِ الإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ [الطَّارق:٥-٧] .

في الآيات دعوة من الله للإنسان إلى النظر بعين البصيرة، والتفكر، والتأمل، والتدبر في خلقه، ليستبصر الإنسان حقيقة ضعفه وافتقاره، وهوان نشأته وتواضع أصله حتى يحمله ذلك على إدراك قدرة الله والخضوع لجلال ربه الذي خلقه من مواد لم تشم رائحة الحياة قط؛ من شيء يسير من ماء مهين يندفع من "الصلب" ظهر الرجل، ومن "الترائب" عظام صدر الأنثى، ولقد عبر الله تعالى بالماء علماً بأن الإنسان يخلق من ماءين ماء الرجل وماء المرأة!!! لأن المراد "بالماء" الممتزج من الماءين في الرحم وبالامتزاج صارا ماءً واحداً [١].

والذي عليه العلماء اليوم:

أن الآية تتحدث عن الماء الدافق "المني" الذي يتكون في الخصية وملحقاتها، يخرج من بين الصلب والترائب، وسبب تدفقه أن تقلصات جدار الحويصلة المنوية والقناة القاذفة للمني مع تقلصات عضلات العجان [٢]، فتدفع بالسائل المنوي عبر الإحليل "القضيب" إلى المهبل، وهذا بدوره يتعلق بالجهاز العصبي اللاإرادي، كما أن انتصاب الإحليل يكون بسبب أعصاب خاصة في الجهاز العصبي اللاإرادي، بواسطتها يتدفق الدم لتمتلئ الأوردة الدموية الكثيفة المحاطة ببحيرات دموية، فتسبب حالة الانتصاب، وهذه الأعصاب تأتي من منطقة بين الصلب والترائب.

والجدير بالذكر أن كلاً من الخصية والمبيض يتكونان من الحدبة التناسلية بين صلب الجنين وترائبه، والصلب هو العمود الفقري، والترائب هي الأضلاع، فتتكون الخصية والمبيض في هذه المنطقة "بين الصلب والترائب" ثم تنزل الخصية تدريجياً حتى تصل إلى كيس الصفن خارج الجسم في أواخر الشهر السابع من الحمل، وذلك لأن درجة الحرارة في الخصية أقل بقليل من درجة حراة الجسم، فبينما تبلغ درجة حراة الجسم ٣٧م فإن درجة الحرارة في الخصية ٣٥م، فلو ارتفعت إلى درجة حراة الجسم لقتلت الحيوانات المنوية، أما المبيض فينزل إلى حوض المرأة، ومع هذا النزول تبقى تغذية الخصية والمبيض بالدماء والأعصاب واللمف من حيث أصلها، أي "بين الصلب والترائب". والآية القرآنية صريحة في هذا الأمر حيث تقول ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ ولم تقل من الصلب والترائب، فكلمة (بين) ليست بلاغية فحسب، إنما تعطي الدقة

---

(١) فتح الرحمن في تفسير القرآن، م٧، ص٣٩٠٧، ٣٩٠٨ بتصرف.

(٢) المنطقة الواقعة بين الفرج والشرج. انظر: الإنسان هذا الكائن العجيب، ص ٧١.

العلمية المتناهية [1].

ولقد تنبه ابن القيم رحمه الله إلى هذه الحقيقة حينما بين آراء العلماء في "الترائب".

فقيل: المراد بها ترائبه أيضاً، وهي عظام الصدر ما بين الترقوة إلى الثندوة [2].

وقيل: المراد بها ترائب المرأة.

ثم قال: والأول أظهر لأنه سبحانه قال من بين الصلب والترائب ولم يقل من الصلب والترائب، فلا بد أن يكون ماء الرجل خارج من بين هذين الملتقيين كما قال الله في اللبن ﴿... مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ ...﴾ [النحل:٦٦] [3].

وفي آية أخرى يبين الله المراحل التي يمر بها خلق الإنسان: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ [المؤمنون:١٢-١٣].

فهذه الآيات تبين الأطوار التي يمر بها الإنسان منذ خلق آدم عليه السلام إلى يومنا هذا، فتشير الآيات أن أصل البشر آدم عليه السلام، خلق من خلاصة سلت من تربة الأرض من أديمها لا كدر فيها، ثم بعد ذلك خلقت ذريته من ماء مهين ضعيف حقير (من مني في أصلاب الذكور) لتقذف في أرحام الإناث فصارت النطفة في حرز مستقر متمكن حصين ابتداءً من الحمل إلى الولادة[4].

أما الإمام القنوجي في تفسيره لهذه الآية، فقد بين أن "السلالة" هي من "السل" وهو استخراج الشيء من الشيء، والسلالة هي الخلاصة لأنها تسل من الكدر، وقيل السلالة: الطين إذا عصرته انسل من بين أصابعك فالذي يخرج هو السلالة، وعن ابن عباس قال: السلالة صفو الماء الرقيق الذي يكون منه الولد [5].

ولتأكيد هذه المراحل قال تعالى: ﴿... وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾ [السجدة:٧-٨].

---

(١) خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ص١١٥، ١١٦ بتصرف.

(٢) الثندوة: المنطقة الواقعة أسفل الثديين، وما حولهما من لحم الصدر. انظر: كتب خلق الإنسان مع تحقيق كتاب غاية الإحسان في خلق الإنسان، ص ٢٦١.

(٣) أعلام الموقعين عن رب العالمين، ج١، ص١٣٤.

(٤) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ح١٨، ص١٨، ١٩، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن، م٥، ص٥٩٠٨، ٥٩٠٩ بتصرف.

(٥) الشيخ صدّيق بن حسن بن علي الحسين القنوجي، م٩، ص١٠٢.

فالآية صريحة في أن نسل آدم أخذ شكلاً آخر في التكاثر وهو سلالة من ماء ضعيف وهو النطفة والتي تخرج من مكان حقير [(١)].

هذا خلق الله:

بالنظر إلى نطفة الرجل "المني" وما تحتويه من الحيوانات المنوية التي تعتبر من آيات الله في النَّفس البشرية، فهي أشبه بالقذائف الصاروخية، بل القذائف الصاروخية أشبه بها، وتتجسد عظمة الله وقدرته حينما تتكشف لنا أسرار هذه النَّفس الإنسانية، فهذا الحيوان لا يزيد طوله عن خمسة ميكرون "واحد على المليون من المتر"، ويمتاز هذا الحيوان برأس مصفح مدبب، له قلنسوة مصمتة، مصفحة، تقيه من الأخطار، وله عنق فيه يكمن مصدر الطاقة، وله ذيل طويل بواسطته يتحرك، وينطلق بسرعة فائقة تبلغ أضعاف حجمه "مليمترين في الدقيقة الواحدة" حتى يصل إلى البويضة، وهذه الحيوانات تسبح في السائل المنوي الذي تنتجه ملحقات الجهاز التناسلي، ومن آيات الله العظمى في هذا الكائن المتناهي في الصغر، أن رأس هذا الحيوان يحتوي على أسرار الوراثة كلها، ينقلها من الأب إلى الابن والبنت [(٢)].

ولقد كشف العلم الحديث، أن خلق الإنسان مقدور في نطفة الرجل "الحيوان المنوي" ونطفة المرأة "البويضة" بل إن تأثير العامل الوراثي ضمن الجينات يمتد عبر القرون ليتصل بالآباء والأجداد، حتى يصل إلى آدم عليه السلام [(٣)].

ومن عظيم قدرة الله ما تقوم به عضلات المثانة، التي تغلق فتحة المثانة عند خروج المني حتى لا يخرج شيء من البول فيختلط به، أو أن يدخل شيء من المني إلى المثانة، وعمل هذه العضلات آلياً وغير إرادي [(٤)].

ومن عجائب ما أبانه العلم الحديث عن قوله تعالى ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾ [المرسلات:٢٠] أن السائل المنوي عند عنق المهبل وعنق الرحم يكون متماسكاً على هيئة جلطة "مثل خثرة اللبن" وذلك لوجود مادة "الفيبرنوجن" الذي تفرزه الحويصلة المنوية، ويتحول إلى جلطة في وجود مادة التخثر التي تفرزها البروستاتا.. في حين أن إفرازات البروستاتا تحتوي على إنزيم "بروفيبرنويسين" الذي يحلل هذه الجلطة بعد "١٥-٣٠ دقيقة" وبذلك تتحرر الحيوانات المنوية إلى

---

(١) تفسير الجلالين، ص٥٤٨ بتصرف.

(٢) خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ص١٦٠، أرقام في جسم الإنسان، ص٢١٣ بتصرف.

(٣) خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ص ١٢٧، ومعجم البيولوجيا المصور، تأليف: كورين ستوكلي، ص٩٨ بتصرف.

(٤) دليل الأنفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث، ص٩١.

عنق الرحم، إضافة إلى ما يحدث للمادة المخاطية عند عنق الرحم التي تتضاعف إلى عشرة أضعاف، وتصبح طبيعتها أكثر سيولة، بما يسمح للحيوانات المنوية بالعبور عبر قنيوات تتخلل المخاط، بالنظر إلى هذه الجلطة، والهدف منها؟؟؟

نجد أن الجلطة تعمل على الحفاظ على أكبر عدد من الحيوانات المنوية في دائرة مغلقة مقيدة الحركة، ثم بفعل إنزيم " بروفيبرنويسين" يحرر هذه الحيوانات من دائرة الجلطة لتعمل مرة أخرى [١].

وقفة تدبر:

بوقفة تأمل وتدبر أمام هذا المخلوق المتناهي في الصغر نستنتج وحده هذا الوجود، بعودة حواء إلى كينونة آدم، ولكن مكررة في أبنائه، لتنتقل جيلاً بعد جيل، ثم تلتحم مرة أخرى دواليك، وحين نتأمل حقيقة الشيفرة الوراثية التي تحمل صفات الإنسان القادم، ومدى دقتها وصغرها، أين تكمن صفات اللون، أو الطول، أو القصر، أو الشكل.

وحينما يتعرف الإنسان على المصنع الذي ينتج النطف، وعدد العاملين فيه، ومدى أهليتهم لهذا العمل، والأدوات التي يستخدمها العاملون، وأسئلة أخرى قد تجد لبعضها إجابة وقد لا تجد لأكثرها إلا أن تقول: سبحان خالق الخلق!!!

الحيوان المنوي للرجل هو الذي يحدد المولود ذكراً أم أنثى:

قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى * مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى﴾ [النَّجم:٤٥-٤٦]، لقد أبان العلم الحديث عن سر ظل مبهماً حتى تكشفت حقائقه حين توصل العلماء إلى أن الحيوانات المنوية هي الوحيدة التي بإمكانها تحديد ذكورة الجنين أو أنوثته، وأن المقصود بالنطفة في هذه الآية هو ماء الرجل وذلك أن نطفة الرجل تحتوي على صبغي "كروموسوم" ذكري يحمل شارة "Y"، وصبغي "كروموسوم" أنثوي يحمل شارة "X"، أما بويضة المرأة فتحتوي على صبغيين "كروموسومين" يحملان شارة الأنوثة "XX" وعند الاتحاد بين الحيوان المنوي والبويضة؟ يتحد كروموسوم من الذكر مع كروموسوم من الأنثى، بمعنى اتحاد نطفة منوية ذكرية "YX"، ونطفة أنثوية "البويضة" "XX" فيتحد كروموسوم من الذكر "X" أو "Y" مع كروموسوم من الأنثى "X" لأن كلاهما "XX"، بمعنى اتحاد "X" من الذكر مع "X" من الأنثى = بويضة ملقحة تنتج أنثى.

اتحاد "Y" من الذكر مع "X" من الأنثى = بويضة ملقحة تنتج ذكر.

---

(١) الآيات العجاب في رحلة الإنجاب، د. حامد أحمد حامد، ص٧٦، ٧٧ بتصرف.

ومن الأسرار العظيمة التي تكشفت أن الحيوان المنوي الذي يحمل كروموسوم الذكورة يمتاز بمادة مشعة لماعة بيضاء، بينما الكروموسومات التي تحمل شارة الأنوثة لا تحمل هذه الصفة [1].

إذاً فالرجل هو الذي يحمل حيوانه المنوي خصائص الذكورة والأنوثة.

يستنبط الباحث: أن ما كشفه العلم الحديث عن "الكروموسومات" الذكرية والأنثوية في الحيوان المنوي هو أكبر دليل علمي يؤيد الحقيقة الإلهية التي تنطق بوحدة الخلق المتجذرة في كينونة آدم عليه السلام.

وفي الحديث أن حبراً من أحبار اليهود جاء يسأل النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ: سل، فقال اليهودي: ... قال جئت أسألك عن الولد قال: **(ماء الرجل أبيض، وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعا فَعَلا ماء الرجل مني المرأة أذكرا بإذن الله، وإذا علا مني الرجل آنثا بإذن الله)** قال اليهودي: لقد صدقت، وإنك لنبي ثم انصرف، فذهب فقال رسول الله ﷺ: **(لقد سألني هذا لكن الذي سألني عنه ومالي علمٌ بشيء منه حتى أتاني الله به)** [2].

هذا الحديث يدلل على صدق الوحي والنبوة فنبينا لم يدخل جامعة أو كلية ليتعلم هذا العلم فهو أُمِّي، وأياً ما كان العلو، السبق، أو كثرة الماء، أو الشهوة، أو أي معنى يعنيه العلو، فإن الحديث أفصح عن أمور في قمة الإعجاز العلمي أثبته العلم اليوم في ظل التقدم العلمي والتكنولوجي.

وفي حديث آخر عن أنس بن مالك حدثهم أنّ أم سُليم حدثت أنها سألت نبي الله ﷺ عن المرأة ترى في منامها ما يرى الرجل، فقال رسول الله ﷺ: **(إذا رأت ذلك المرأة فلتغتسل، فقالت أم سُليم: واستحييت من ذلك قالت وهل يكون هذا فقال النبي ﷺ : نعم فمن أين يكون الشَّبه، إنَّ ماء الرجل غليظ أبيض وماء المرأة رقيق أصفر فمن أيهما علا أو سبق يكون الشبه)** [3] فهذا الحديث أيضاً يكشف جانب من جوانب الأعجاز الأخرى، ألا وهو الشبه بين الولد وكلاً من أبويه،

---

(١) الإنسان هذا الكائن العجيب، د. تاج الدين محمود الجاعوني، ص٨٩، ٩٠، وخلق الإنسان بين الطب والقرآن ص١٣٤-١٣٨، ودليل الأنفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث ص٩٩، ١٠٠ بتصرف.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الحيض، باب بيان صفة مني الرجل والمرأة، ص١٣١، حديث رقم (٣١٥).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الحيض، باب وجوب الغسل على المرأة بخروج المني منها، ص١٣٠، حديث رقم (٣١١).

وكذلك الإفصاح عن طبيعة ماء الرجل والمرأة وصفة كلاً منهما، وهذا علم لم يقله إلا رسول الله ﷺ قبل أن يكشف العلم الحديث عنه اليوم.

ثانياً: مرحلة البويضة:

كما أسلفنا، تساهم المرأة كما الرجل في عملية إنتاج الجنين، حيث تقوم المرأة من خلال جهازها التناسلي بإفراز بويضة واحدة كل شهر في الوضع الطبيعي، ويبلغ قطرها ٢٠٠ ميكرون (٢و. ميليمتر) بينما الحيوان المنوي لا يزيد عن خمسة ميكرون، ويكمن السر في كبر البويضة وصغر الحيوان المنوي في أن البويضة هي المسئولة عن تغذيه "النطفة الامشاج" حين تلقح بالحيوان المنوي.

إن من مظاهر قدرة الله في خلق البويضة ما يحيط بها من هالة مشعة كالبدر المنير، تسمى التاج المشع، ثم ما يحيط بها من أهداب تدفعها للسير باختيال وكأنها تتهيأ للزفاف بانتظار العريس "الحيوان المنوي" فتهش وتبش وتسمح لحيوان واحد فقط بالدخول، وبعدها لا تسمح للحيوانات الأخرى بحيث تقفل جدارها ويصبح متين [١].

ومن الجدير بالذكر ما يطرأ على الحيوان المنوي والبويضة أثناء عملية الالتقاء من تغيرات فيزيولوجية [٢] وتشريحية لهو مدعاة لأن يخر الإنسان ساجداً لله الذي أبدع وأحسن وأتقن كل شيء خلقه.

حيث إن البويضة في بداية نموها تفرز هرمون يرفع من سمك الرحم من ملمتر واحد إلى خمسة ملمترات، وتنمو مع غشائه الأوعية الدموية والغدد الرحمية وتكون المرأة مهيأة نفسياً وجسمياً للاتصال والتخصيب [٣].

ومن عظيم قدرة الله أن المبيض الذي يقوم بإفراز البويضة هو مصنع عجيب، فطوله أربعة سنتمترات، وعرضه سنتمتران، وسمكه سنتمتر واحد، وهو يعمل بنظام مستقل عن إرادة المرأة [٤].

هذه الأسرار التي تكشّفت مدعاة لإدراك مدى عِظم قدرةِ خالق الخلق، فعمل هذه الأعضاء وصغرها وتخصصها في أداء عملها يشير إلى وجود قوة عظيمة خلف هذه المخلوقات العجيبة**!!!**

---

(١) خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ص١٦٢-١٦٥، بتصرف.

(٢) علم الفيزيولوجيا: هو دراسة وظائف الأعضاء، أو هو علم الغريزة عند الإنسان، الطب محراب الإيمان، ج١، ص٨.

(٣) دليل الأنفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث، ص٨٥.

(٤) المرجع السابق، ص٨٨.

ومن الظواهر العجيبة افرازات المهبل الحامضية التي تحمي الجهاز التناسلي من الميكروبات، وهذا الوسط الحمضي بإمكانه قتل النطف وشل حركتها؛ لذا فإن الله قدر لهذه النطف سائلاً يحميها ويغذيها وينشطها وتسبح فيه، يفرز من غدد معينة كالبربخ والحويصلة المنوية وغدة البروستاتا (١).

هذا خلق الله!!!

ثالثاً: طور النطفة الأمشاج:

عند إيلاج القضيب في مهبل المرأة مصحوباً بحركات إيقاعية لحوض المتجامعين "الذكر والأنثى" ينتهي الجماع عند الرجل بقذف المني المفرز من ملحقات الجهاز التناسلي عبر القضيب في مهبل المرأة محتوياً على آلاف الملايين من الحيوانات المنوية ليصل حيوان منوي إلى البويضة التي تفرز من ملحقات الجهاز التناسلي ليقوم بتلقيحها فتحدث علمية الإخصاب (٢) "النطفة الأمشاج".

قال تعالى:﴿ ... فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا ...﴾ [الأعراف:١٨٩] .

قال الشعراوي في قوله تعالى :﴿ فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا ...﴾ تعبير مهذب عن عملية الجماع في الوظيفة الجنسية بين الزوج والزوجة، والغشاء هو الغطاء وجعل الله الجماع من أجل التناسل ليبث منهما رجالاً كثيراً ونساء، والمعنى أنها حملت الجنين لفترة وهي لا تدري أنها حامل؛ لأن نمو الجنين بطئ بطء لا تشعر الأم به (٣).

هذا خلق الله !!!

ما إن تعشعش البويضة في الرحم حتى ترسل إلى المبيض إشارات تخبره بأن البويضة بدأت تعشعش، فتطلب منه الإيعاز للرحم أن يقوم بما عليه من حسن الضيافة وتقديم ما تحتاجه من حاجات (٤).

ومن الأسرار التي تكشفت، أن الحيوان المنوي إذا أحس بقرب الوصول للبويضة، سرعان ما يفرز مادة خاصة لها القدرة على إذابة جزء من المنطقة الدائرية المشعة في جدار البويضة،

---

(١) الإنسان هذا الكائن العجيب، ص٧٠.

(٢) الإخصاب: سلسلة من الأحداث تبدأ بالتلامس بين الحيوان المنوي والبويضة وينتهي باتحاد النواتين، الذكرية والأنثوية، واختلاط الصبغات من الأب والأم استعداداً لانقسام البويضة المخصبة، دورة حياة الإنسان بين العلم والقرآن، ص٥٤.

(٣) تفسير الشعراوي، م٦، ص٤٥١٥-٤٥١٦.

(٤) انظر: مع الطب في القرآن الكريم، د. عبد الحميد دياب، د. أحمد قرقوز، ص٩٠.

وفي نفس الوقت تقوم البويضة بدورها بإفراز مادة أخرى لزجة القوام على سطحها في منطقة اقتراب الحيوان المنوي، تحية له وترحيباً به ، ومن جهة أخرى تسهيلاً عليه للالتصاق بسطح البويضة، ثم يثقب الحيوان المنوي جدار البويضة ليدخلها، ثم يغلق الثقب الذي فتحه، ليكملا مشوار حياتهما[١].

من الذي علم هذا الكائن المتناهي في الصغر أن يفرز هذه المادة؟ ومن الذي أفرزها له؟ ومن أين جاء بهذه المواد المكونة لهذه المادة؟ وفي أي كلية أو جامعة تعلم على تحضيرها ؟!!

ومن الأسرار التي أبان العلم الحديث عنها ، ما يفرزه المهبل من ماء لزج يساعد على إيلاج القضيب في المهبل، إضافة إلى أنه يرطب المهبل، وينظفه من الجراثيم والميكروبات [٢].

بقي أن نبين الفرق بين النطفة والنطفة الأمشاج:

وردت لفظة "نطفة" أو " النطفة" في القرآن الكريم اثني عشر مرة [٣] منها:

* قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ [المؤمنون:١٢-١٣] .

* قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ البَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ...﴾ [الحج:٥] .

* وقال أيضاً: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [الإنسان:٢] .

قبل الحديث عن بيان الفرق بين النطفة والنطفة الأمشاج نورد ما ذكره الألوسي في بيان معنى قوله تعالى: ﴿... مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ [المؤمنون:١٢] حيث أشار إلى أن ﴿مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ تشير إلى نطفة الرجل وبويضة المرأة، فهما من غذاء، والغذاء من طين [٤].

فلعله معنى يدل على الواقع، فآدم من طين، وسلالة آدم من طين، والنطفة من خلاصة من غذاء أصله من طين.

---

(١) دليل الأنفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث، ص٩٥، ومع الطب في القرآن الكريم، ص١٩٥، ١٩٦ بتصرف واختصار.

(٢) دورة حياة الإنسان بين العلم والقرآن، ص٥٣.

(٣) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص ٧٩٨.

(٤) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج١٧، ص ١٣.

فذكر ابن كثير في تفسيره لكلمة "أمشاج" أخلاط ..، والمشج والمشيج، المختلط بعضه ببعض، ثم ذكر أقوالاً أخرى في معنى "الأمشاج" منها:

قال ابن عباس :" من نطفة أمشاج" يعني ماء الرجل وماء المرأة إذا اجتمعا، ثم بعد ذلك ينتقل من طور إلى طور، ومن حال إلى حال، ومن لون إلى لون.

وقال عكرمة ومجاهد والحسن والربيع بن أنس: الأمشاج هو اختلاط ماء الرجل بماء المرأة، "نبتليه" أي نختبره [(١)].

أورد الدكتور كريم حسنين مذهب الباحثين في العصر الحديث في مدلول " النطفة" نخص منها هذا المذهب:

١- **النطفة المذكرة** :هي الحيوانات المنوية الموجودة في المني والتي تفرزها الخصية.

٢- **النطفة المؤنثة:** هي البويضة التي يفرزها المبيض مرة في الشهر.

٣- **النطفة الأمشاج:** البويضة المخصبة.

بينما ذهب البعض من العلماء غير هذا المذهب [(٢)].

وأياً ما كان الاختلاف بين العلماء في مفهوم ومدلول النطفة والنطفة الأمشاج، فإن هذا الاختلاف يظل اختلافاً من قبل العلماء للوصول لمدلول الله تبارك وتعالى لمفهوم النطفة والنطفة الأمشاج، أأنتم أعلم أم الله.

النطفة والقرار المكين:

* قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ [المؤمنون:١٣].

* وقال أيضاً: ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ * فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ [المرسلات:٢٠-٢١].

المقصود بالنطفة هي النطفة الأمشاج لقولة تعالى ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [الإنسان:٢].

ولقد أبان العلم الحديث أن الرحم محصنة بعظام العجز والعصص، وعظام الحرقفة وهذه العظام مرتبطة بالعديد من العضلات والمماسك التي تتصل بالرحم وتجعلها جديرة أن تلقب "بالقرار المكين" [(٣)].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، م٤، ص٤٨٣.

(٢) لمزيد من المعلومات في هذا الجانب يراجع كتاب دورة في حياة الإنسان بين العلم والقرآن، ص٧٦.

(٣) الإنسان هذا الكائن العجيب، ص١١٨.

أما صاحب كتاب دليل الأنفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث فقد بين أن المفسرين قديماً وحديثاً ذهبوا إلى أن المقصود بالقرار المكين هو الرحم، واتجهوا إلى وصف الحوض العظمى وأربطة الرحم وموضعه في الحوض، ثم أكّد أن كلمة "قرار" تشير إلى ما يوفر الاستقرار وكلمة "مكين" تشير إلى ما يوفر الحماية وهذا ينطبق على الرحم[١].

رأي العلم الحديث:

والذي عليه صاحب كتاب دورة حياة الإنسان بين العلم والقرآن أن مدلول "القرار المكين" هو غده التناسل في الإنسان وهي الخصية في الرجل والمبيض في المرأة، وقد استدل على ذلك بعدة أدلـة، أياً ما كانت هذه الآراء فإنها لا تلغي مراد الله قط؛ لأن علم الله هو العلم المطلق وعلم الإنسان محدود.

رابعاً: طور العلقة:

طور العلقة: هي المرحلة التي تبدأ عقب المشيج الثاني (مشيج النطفتين أو الإخصاب) لتكون اللاقحة، وهي "نطفة الأمشاج" ذات التركيب الوراثي المميز والفريد؛ لأنها نشأت من اتحاد شيئين فريدين، وهي وما يليها من مراحل لازمة لإتمام التعلق في بطانة الرحم "علقة" لأن وظيفتها الأساسية حال تكونها هي التعلق ببطانة الرحم [٢].

والعلق في اللغة يطلق على الدم الجامد الغليظ ما اشتدت حمرته والقطعة منه عَلَقَة، والعلقة دودة تعلق بالبدن وتتشُب فيه، وتمتص الدم منه [٣]، وهناك تشابه شكلي بين دودة العلقة والجنين في مرحلة قبل تكوين الكتل البدنية حيث تقوم العلقة وتعلق بجدار الرحم وتنغرز فيه [٤].

ولقد ورد لفظ علقة أو العلقة أو علق في القرآن الكريم ست مرات [٥] ومن هذه المواضع:

* قال تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً ...﴾ [المؤمنون:١٤].

* قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ البَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ...﴾ [الحج:٥].

---

(١) لمزيد من العلم يراجع كتاب دورة في حياة الإنسان بين العلم والقرآن، مرجع سابق، ص١٠٣-١٣٠.

(٢) انظر: دورة حياة الإنسان بين العلم والقرآن، ص٢٠٣-٢٠٥.

(٣) انظر: لسان العرب، م١٠، ص٢٥٧.

(٤) دورة حياة الإنسان، مرجع سابق، ص٨٦.

(٥) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص٥٧٦.

* قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى﴾ [القيامة:٣٦-٣٨].

ذهب المفسرون أن معنى علقة في الآيات هي الدم الغليظ المتجمد، ومن هؤلاء المفسرين: الطبري، والقرطبي، وابن كثير، وسعيد حوي، وسيد قطب وغيرهم.

والذي حدى بالعلماء القول بأن العلقة هي الدم الغليظ؛ هو أن حجم العلقة عند انغراسها بجدار الرحم لا يزيد عن ربع المليمتر، وهي محاطة بالدم من جميع جهاتها، وهذا الفهم نتج عن الملاحظة العينية ولكنها لم تبعد كثيراً عن ما توصل إليه العلم الحديث [١].

هذا خلق الله!!!

تبدأ مرحلة العلقة من الأسبوع الثاني منذ علوق النطفة الأمشاج "مرحلة التوتة"، وتنتهي هذه المرحلة في نهاية الأسبوع الثاني من التقاء البويضة بالنطفة عند ظهور الكتل البدنية والتي تعتبر بداية طور المضغة [٢]، ومن الجدير بالذكر أن هذه العلقة "الكرة الجرثومية" تتكون من طبقتين:

أ- طبقة خارجية تتكون من خلايا آكلة تقوم بقضم جدار الرحم دون أن تسبب له أذى، ثم تعلق فيه، في الوقت ذاته يكون الرحم قد تهيأ لهذا الأمر، فيزداد حجمه وثخانته وتزداد الجيوب الدموية استعداداً لتغذية العلقة.

ب- الطبقة الداخلية ومنها يخلق الجنين وأغشيته [٣].

من الذي أصدر أمره لهذه الخلايا أن تتحول إلى خلايا آكلة؟ ثم ما الذي حدى بأجهزة الجسم إلى تهبيط جهاز المناعة، ومن ثمّ عدم مقاومة هذه الخلايا وتركها تقضم جدار الرحم؟ ومن طبيعة الجسم أن يتصدى فوراً لأي غازٍ ومقاومته بشتى الأسلحة التي يمتلكها !!!

ومن الأمور التي تستدعي التفكر والتدبر أن الكرة الجرثومية بعد علوقها بجدار الرحم تكون محاطة ببرك أو بحيرات من الدماء، فتتغذى هذه الكرة الجرثومية على هذه الدماء، إضافة إلى ما تقوم به الغدد الرحمية التي تبلغ خمسة عشر ألف غدة رحمية تفرز ما يسمى بلبن الرحم الذي تتغذى عليه هذه الكرة، ومن الملاحظ أن هذا الدم في أول أمره يكون متخثراً في الوقت ذاته لا يزيد حجم الكرة الجرثومية عن حجم نقطة الحبر(.) فيتم تحويل البحيرات الدموية المحيطة بالأوعية الدموية الرحمية إلى طور جديد وذلك بظهور الكتل البدنية [٤].

---

(١) خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ص ٢٠٤.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص ١٤٩.

(٣) خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ص٢٠٠-٢٠٢ بتصرف واختصار.

(٤) نفس المرجع السابق، ص٢١٢، ٢١٣ بتصرف.

لقد كان العلماء المسلمون الأوائل معذورين بتفسيرهم العلقة بالدم الغليظ نظراً لإحاطتها بالبحيرات الدموية المتجلطة، ولعدم التقدم العلمي والتكنولوجي الذي يكشف حقيقة هذه الأشياء.

خامساً: طور المضغة:

مرحلة المضغة هي المرحلة التي تلي مرحلة العلقة، وتبدأ في اليوم الثالث والعشرين (تقريباً بداية الأسبوع الرابع) بعد التلقيح، أو "بعد آخر حيضة وهو اليوم الأربعين تقريباً"، وهي تظهر كقطعة لحم بقدر ما يمضغ عليه آثار الأسنان، وهي مرحلة تخلق الأعضاء والأجهزة للجنين [١].

وما يعزز هذا التعريف، ما عرفه أهل اللغة للمضغة: هي القطعة من اللحم لمكان المضغ[٢].

ومن غرائب ما بينه العلم الحديث أنه: عندما تظهر الكتل البدنية يبدو الجنين مضغة صغيرة، يشبه شيئاً ممضوغاً عليه آثار الأسنان [٣].

ولقد تحدث القرآن الكريم عن هذا الطور في العديد من الآيات منها:

قال تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ للهِ وَقَارًا * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح:١٣-١٤].

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا العَلَقَةَ مُضْغَةً ...﴾ [المؤمنون:١٢-١٤].

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ البَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ ...﴾ [الحج:٥].

أقوال العلماء في قوله تعالى: " مخلقة وغير مخلقة ":

المخلقة: وهي ما تستقر في الرحم ويتكون منها الجنين وأعضاؤه.

غير المخلقة: السقط وهي ما تلقيها الأرحام [٤].

وهذا المعنى (لقوله تعالى) ذهب إليه أيضاً الكثير من المفسرين.

---

(١) دليل الأنفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث، ص١١٨، ١١٩، والإنسان هذا الكائن العجيب، ص١٦٣، ١٦٤ بتصرف واختصار.

(٢) لسان العرب، م١٤، ص٨٩.

(٣) دليل الأنفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث، ص١١٨.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ج٣، ص٢١٦ بتصرف.

ولقد جمع ابن الجوزي أقوال العلماء في الآية فقال:

أحدهما: أن المخلَّقة ما خلق سوياً، وغير المخلقة ما ألقته الأرحام من النطف وهو دم قبل أن يكون خلقاً. قاله ابن مسعود.

الثاني: أن **المخلَّقة:** ما أكمل خلقه بنفخ الروح فيه، وهو الذي يولد حياً لتمام، و**غير المخلقة:** ما أسقط غير حي لم يكمل خلقه بنفخ الروح فيه ... هذا معنى قول ابن عباس.

الثالث: أن المخلقة المصورة، وغير المخلقة: غير المصورة.. قاله الحسن.

الرابع: أن المخلقة وغير المخلقة السقط، تارة يسقط نطفة وعلقة، وتارة قد صور بعضه، وتارة قد صُوِّر كله ... قاله السُّدي.

الخامس: أن المخلقة التامة، وغير المخلقة: السقط، قاله الفراء وابن قتيبة (١).

ولعل ابن الجوزي بجمع هذه الآراء قد التقى في بعضها مع ما ذهب إليه العلم الحديث في فهم الآية.

آراء الأطباء في العصر الحديث:

هناك العديد من الآراء العلمية في محاولة فهم قوله تعالى" مخلقة وغير مخلقة" ... منها هذا المذهب.

أولاً: أن معنى "مخلقة" وهي الخلايا التي يخلق الله تعالى منها الجنين.

أما "غير المخلقة" فهي الخلايا المغذية للجنين وتقوم بوظيفة العلوق بجدار الرحم ولا يخلق منها الجنين.

ثانياً: معنى "مخلقة" وهي التي يخلق الله تعالى منها الجنين.

و"غير المخلَّقة" وهي التي لا يخلق الله منها جنين، وتعرف طبياً "بالحمل اللاجنيني" وهي الحالة التي تتكون بها أنسجة الجنين خارج الجنين.

وهناك آراء أخرى ذكرها الأطباء، والمذهب المقترح من صاحب كتاب دورة في حياة الإنسان بين العلم والقرآن:

"**مخلَّقة**": هي ذلك الجزء الذي يتم خلقه وتصويره فيصبح تاماً ومستبين الخِلقة، أي مصوراً إنساناً كما ذهبت إليه التفاسير.

---

(١) زاد المسير في علم التفسير، ج٥، ص٢٧٩، ٢٨٠.

"**غير مخلَّقة**": وهي جعل شيء من المضغة غير مخلق، أي لم يستبن خلقها وصورتها وهي خلايا التناسل في الانسان، أي البيضات في مبيض المرأة والحيوانات المنوية في خصيتي الرجل [١].

فأيما كانت آراء العلماء، فالكل يريد الوصول إلى المعنى المنشود من الآية، وبعد ما تبين لنا معنى المضغة عند المفسرين وعند علماء الطب المحدثين في ظل التقدم العلمي والتكنولوجي فنشعر بزيادة الإيمان واليقين بعظم الخالق وقدرته وسعة علمه وحكمته!!!

سادساً: مرحلة خلق العظام:

العظام قوام الجسم، وعليها تقوم العضلات وتشتغل، والعضلات لحم لا يقوم ويعمل وحده، لذا تظهر العظام لتعطي للجنين قوامه لتشد بها العضلات، ثم بعد ذلك تغلق وتكسو العضلات العظام وكأنها لباس مفصل ومنسجم ومتعادل.

إن ما أكده العلم الحديث (بأن تكوين العظام يسبق تكوين العضلات) جاء به القرآن الكريم وأكده قبل ألف وأربعمائة عام ونيف، وفي إشارة لهذا:

قال تعالى: ﴿... **فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا** ...﴾ [المؤمنون:١٤].

أي صيرناها عظاماً، بمعنى شكلناها ذات رأس ويدين ورجلين بعظامها وعصبها وعروقها[٢].

لقد أبان العلم الحديث أن العظم لا يبدأ بالتخلق إلا بعد ظهور مراكز التمعظم [٣] في النسيج المُضغي ابتداءً من الأسبوع التاسع لنمو الجنين باستثناء عظم الترقوة [٤]، [٥].

وفي آيات أخرى تشير إلى إنشاء وتكوين العظام:

قال تعالى: ﴿**لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ**﴾ [التِّين:٤].

في الآية اشارة إلى إبداع الخلق في العمود الفقري الذي يقوم به الإنسان منتصباً رافعاً رأسه منحنياً راكعاً ساجداً لله خالقه [٦].

---

(١) لمزيد من المعلومات يراجع كتاب الإنسان هذا الكائن العجيب انظر: ص١٤٨-١٥٣ بتصرف واختصار.

(٢) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ج١٨، ص١٩.

(٣) هو أسلوب من أساليب تحول أنسجة معينة في الجنين إلى عظم.

(٤) الترقوتان: هما العظمان المشرفان على أعلى الصدر من رأس المنكبين إلى ثغرة النحر. انظر: كتاب خلق الإنسان، للسيوطي، ص ٩٢.

(٥) انظر: الإنسان هذا الكائن العجيب، ص ١٧٣.

(٦) الآيات العجاب في رحلة الإنجاب، ص١٥٥.

وفي موضع آخر بين الله عز شأنه تركيب وانشاء العظام: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آَيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:٢٥٩].

بين السُّدي معنى قوله تعالى: ﴿وَانْظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا﴾ أي كيف نحييها ونجمعها ونركبها فوق بعضها البعض ليقوم الجسم عليها [(١)].

هذا خلق الله!!!

تبدأ مرحلة نمو الأعضاء في مرحلة مبكرة جداً من عمر الجنين، وذلك بالتخطيط لها ووصل مواضع الفصل والوصل، ثم تبنى الأعضاء شيئاً فشيئاً فهناك أمر خفي لا يظهر وهو تصوير تقديري، ثم النشوء والتخلق على التدرج شيئاً فشيئاً، حيث تبدأ الأوعية الدموية تزحف نحو الرأس، وفي أثناء ذلك تضع اللبنات الأولى لعظام الجمجمة على غشاء رقيق حتى تكسو الدماغ، ومن وجوه الإعجاز أن تكوين العظام يبدأ في الأسبوع الخامس والسادس لتتحول الكتل البدنية إلى قطاع عظمي وعضلي، حيث تتحول الخلايا الرخوة إلى خلايا كثيفة هي خلايا الغضاريف وخلايا العظام، والعجيب في الأمر أن بعض العظام تسبق بنسيج غضروفي في الأسبوع الخامس، وذلك بأن تفرز الخلايا الغضروفية مادة سميكة نسبياً تتخلل الخلايا الغضروفية، وتسمى العظام التي تسبق الغضاريف "العظام الغضروفية" أما تلك العظام التي تنمو مباشرة من الأغشية فتعرف بالعظام الغشائية، ثم بعد ذلك يبدأ تحول الهيكل الغضروفي إلى هيكل عظمي، حيث يفتت الغضروف ويغمر ويزال، ثم يترسب الكالسيوم بين الخلايا التي تظهر فيه العظام، ثم تكون خلايا بانية للعظام وخلايا آكله للغضاريف [(٢)].

هذه نبذة بسيطة جدا عن تكوين العظام، ولكن هناك علامات استفهام تطرح نفسها وهي:

من الذي اختار الوقت المناسب لتتحول المضغة إلى مرحلة العظام؟!!

ثم من الذي ألهم خلايا معينة في هذا الكائن لتبدأ بوضع الهيكلية للهيكل العظمي؟!!

ثم من الذي ألهم خلايا معينة لتتحول إلى خلايا غضروفية؟!!

---

(١) انظر: تفسير السُّدي، ص١٦٣، وتفسير الجلالين، ص٥٨.

(٢) خلق الإنسان بين الطب والقرآن: ص٢٧٧-٢٨٦، بتصرف واختصار شديد.

ثم من الذي أنهى دور هذه الخلايا لتتفتت وتقوم خلايا آكله بتدميرها وسحق آثارها؟!!

هذا خلق الله!!!

سابعاً: مرحلة كسوة العظام لحماً:

مرحلة العظام واللحم مرحلة متداخلة في بعضها البعض، فهي تستغرق الأسبوع الخامس والسادس والسابع وتكوين العظام مرحلة سابقة لكسوتها باللحم [(١)]، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ ... فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ...﴾ [المؤمنون:١٤].

ولقد أوضح الدكتور محمد توفيق في كتابه أن القرآن الكريم سمّى كل مرحلة بأهم ما يحصل فيها، فالغالب على هذه المرحلة هو البدء في تكوين العظام وتميزها داخل المضغة، كما أن الغالب في المرحلة التي قبلها ظهور الكتل اللحمية الصغيرة، وعلى التي بعدها اكتساء العظام بالعضلات [(٢)].

والذي وفق المفسرون له: أن التحول قد يكون للمضغة كلها وقد يكون لبعضها [(٣)].

والذي كشف عنه العلم الحديث أن التحول يكون لبعض المضغة، فإن جزءاً منها هو الذي يتحول إلى عظام، وهذا يشير ويدلل على أن جزءاً آخر يتحول إلى عضلات تكسو هذه العظام، نظراً لعدم دقة الترتيب الذي تحصل به التغيرات للجنين، ونظراً لتداخل المراحل في بعضها البعض فإن الأطباء اعتمدوا نظام الأسبوع في تقدير مراحل الجنين الزمنية مما يتبين أن التصنيف القرآني أدق، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم إلى المضغة والعظام واللحم بحرف الفاء، بينما جاءت مرحلة الطين والنطفة العلقة معطوفة بـ "**ثم**"، وهذا يتضمن دقة لغوية وغاية علمية [(٤)].

هذا خلق الله!!!

ثامناً: مرحلة الخلق الآخر:

بما أن الخلق والإيجاد قد حصل في المرحلة السابقة، فإن المرحلة التي تليها هي مرحلة التربية والتنشئة للجنين المخلوق، وهذا يستشف من معنى: النشءَ والنشأةَ: إحداث الشيء وترتيبه، والإنشاءُ: إيجاد الشيء وتربيته [(٥)].

---

(١) خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ص٣٧٠.

(٢) دليل الأنفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث، ص١٢١.

(٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، م٩، ج١٨، ص١٤.

(٤) دليل الأنفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث، ص١٢١ بتصرف.

(٥) معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص٨٠٧.

وهذا ما يفيده اللفظ القرآني: ﴿...ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آَخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون:١٤]، فهو يصور ويصف بعمق وبدقه حالة هذا الجنين وهو ينشأ.

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آَخَرَ﴾ أي نفخنا فيه الروح وصار خلقاً آخر ذا سمع وبصر وادراك وحركة واضطراب فتبارك الله أحسن الخالقين.

ثم أورد ابن كثير عن زيد بن علي عن أبيه عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: اذا أتت على النطفة أربعة أشهر بعث الله إليها ملكاً فنفخ فيها الروح في ظلمات ثلاث، فذلك قول الله "ثم أنشأناه خلقاً آخر" يعني نفخنا فيه الروح. أما ابن عباس فقال عن معنى هذه الآية: أي ينقله من حال إلى حال إلى أن يخرج طفلاً، ثم نشأ صغيراً، ثم احتلم، ثم صار شاباً كهلاً، ثم شيخاً هرماً [١].

أما الإمام الطبري بعد أن نقل أقوال العلماء في تفسير الآية فبين أن أولى الأقوال من قال: أنه عنى بالآية نفخ الروح في الجنين، وذلك أنه ينفخ الروح فيه، فيتحول خلقاً آخر إنساناً، وكان قبل ذلك بأحواله التي وصفه الله أنه كان بها من نطفة، وعلقة، ومضغة، وعظم، وبنفخ الروح فيه يتحول عن تلك المعاني كلها إلى معنى الإنسانية، كما تحول أبوه آدم بنفخ الروح في الطينة التي خلق منها إنساناً وخلقاً آخر غير الطين الذي خلق منه [٢].

فهذه الآية تمثل جانبين:

الجانب الأول: جانب يراقبه العلم التجريبي بوسائله، وهو التميز الذي يظهر به الجنين وقد اكتسب صفاته الإنسانية، وظهرت ذكوريته وأنوثيته، وبدأ يتحرك.

الجانب الثاني: جاء به الوحي، وهو نفخ الروح فيه وهو تتويج نهائي لكافة الاستعدادات الجسمية التي كانت تجري في الجنين لاكتسابه صفات الإنسان، فبنفخ الروح تمّ آخر حلقة من حلقاته التي تجعل الجنين بجسمه وروحه خلقاً آخر مختلفاً عن أي كائن حي آخر، وهذا ما يستنبط من اللفظ القرآني الذي يتلو هذا الإنشاء الآخر، حيث يقول الله تعالى:﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾ [المؤمنون:١٥].

وعلم الروح علم أخفاه الله عن الإنسان لا يعلمه الا هو، قال تعالى:﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء:٨٥] .

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ج٣، ص٢٥١.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، م٧، ص٥٩١١.

إذاً استكمل الجنين حقيقته كإنسان، فله صفاته النوعية والفردية والجسمية والعقلية وله روح لا يشاركه فيها أحد، وأنه إنسان متكامل كما أراده الله.

أما عن مرحلة خلق الإنسان في السنّة فسنورد بعض النصوص من باب الاستئناس بها:

كثيرة هي الأحاديث التي تحدثت عن مراحل خلق الإنسان، **وسيكتفي الباحث** بذكر هذين الحديثين دون الخوض في التفاصيل؛ لأن مراحل خلق الإنسان في السنّة تحتاج إلى بحث خاص ومستقل.

عن عبد الله بن مسعود قال: حدثنا رسول الله ﷺ – وهو الصادق المصدوق – قال: **(إن أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً، ثم علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكاً فيؤمر بأربع: برزقه وأجله، وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح – فوالله إن أحدكم – أو الرجل – ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها غير باع أو ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنَّة فيدخلها، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنَّة حتى ما يكون بينه وبينها غيرُ ذراع أو ذراعين، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النَّار فيدخلها)** [(١)].

وفي حديث آخر عن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال: **(وكل الله ملكاً بالرحم فيقول: أي رب نطفة، أي رب علقة، أي رب مضغة، فإذا أراد الله أن يقضي خلقها قال: أي رب أذكر أم أنثى، أشقي أم سعيد؟ فما الرزق، فما الأجل؟ فيكتب كذلك في بطن أمه)** [(٢)].

من خلال هذين الحديثين نستدل أن هناك ملك موكل بالرحم يؤمر بما يريده الله، ثم نستنتج كذلك أن الإنسان يمر بمراحل وأطوار في خلقه في بطن أمه، ولقد تعددت آراء العلماء في بيان هذه المراحل والأطوار، هل أن النطفة، والعلقة، والمضغة كلها تكون في أربعين يوماً؟ أو اثنين وأربعين، أو خمس وأربعين كما ورد في بعض الروايات، أم أن النطفة في أربعين يوماً، والعلقة في أربعين، والمضغة في أربعين، فيكون المجموع أربعة أشهر، ثم ينفخ الملك الروح؟ [(٣)]

المطلب الثالث: مرحلة خلق الإنسان ما بعد الأرحام:

الولادة: تنتهي حياة الجنين في رحم أمه بالولادة.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب القدر، ص ١٣٣٣، حديث رقم (٦٥٩٤).

(٢) نفس المصدر السابق، ونفس الكتاب والصفحة، حديث رقم (٦٥٩٥).

(٣) لمزيد من المعلومات انظر: كتاب فتح الباري، م١١، ص ٤٨٦-٤٩٥، وكتاب خلق الإنسان بين الطب والقرآن، حيث يعرض المؤلف العديد من الأحاديث، ويعرض آراء العلماء، ويحاول التوفيق والجمع بين الأحاديث، ص ٣٨٦-٤٠٩.

قال تعالى: ﴿وَاللهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل:٧٨] .

بعد ذلك تبدأ حياه جديده لإنسان جديد خرج من عالم الأرحام عالم يحيط به ظلمات ثلاث، قال تعالى: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ...﴾ [الزُّمر:٦] إلى عالم أوسع وأرحب، تَذْكَرَهُ خروج هذا الإنسان يُعبّر عنها بلغة ممزوجة بالألم والمعاناة، في حين يتلقاه الآخرون بالفرح والسرور والسعادة والترحاب.

وتشتمل مرحلة ما بعد الأرحام على مراحل ثلاث:

أ- مرحلة الطفولة. ب- مرحلة الشباب (الأشد). ج- مرحلة الكهولة (الشيخوخة).

أ- مرحلة الطفولة:

قال تعالى: ﴿... ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ...﴾ [غافر:٦٧]، أي يخرجكم من الرحم إلى الدنيا طفلاً[(١)].

وقال أبو عبيدة:" ثم يخرجكم طفلاً" هو في موضع "أطفال" والعرب قد تضع لفظ الواحد في معنى الجميع.

وقيل: إنما قال "طفلاً " فوحد، لأن الميم في قوله تعالى " نخرجكم" قد دلت على الجميع، فلم يحتج إلى أن يقول: أطفالاً [(٢)].

يخرج الطفل إلى الدنيا ضعيفاً عاجزاً، ويمتد هذا العجز مدة طويلة يحتاج فيها إلى رعاية وعناية، فطفولة الإنسان أطول طفولة بين المخلوقات، وهذه الفترة كافية لنمو أعضائه وعقله وعضلاته، يتأثر بالبيئة المحيطة به، ويتعلم فيها، ويتأثر ويؤثر بها وبمكوناتها.

ومن المثير للانتباه في فترة الطفولة التغيرات التي تطرأ على الطفل وعلى الأم معاً ونخص منها:

لبن الأم: قال تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ...﴾ [البقرة:٢٣٣] هذا الطعام الذي يتناسب بمكوناته والمرحلة الزمنية التي يعيشها الطفل منذ الولادة وحتى الفطام، فهو يحتوي على المكونات التي تتناسب مع مرحلة الطفولة التي تمتاز باحتياج

---

(١) روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، م١٢، ج٢٤، ص٨٤ بتصرف.

(٢) زاد المسير في علم التفسير، ج٥، ص٢٨٠.

الطفل لغيره، واحتياجه إلى طعام يتناسب وطبيعة جسمه الضعيف فلبن الأم:

١- تتناسب مكوناته وقوامه وتركيبه الكيماوي مع الإمكانات الهضمية للرضيع، فهو سريع الهضم والامتصاص.

٢- يحتوي على مضادات حيوية تحمي الطفل وتمنحه المقاومة والمناعة من بعض الأمراض.

٣- يعمل على تنمية الجانب العاطفي والنَّفسي عند الطفل.

٤- يعتبر من المنح التي تمنحها الأم للطفل بلا ثمن ولا مقابل.

٥- كما أن عملية الرضاعة تقي الأم من بعض الأمراض النَّفسية والعضوية [(١)].

ب- مرحلة الشباب (الأشد):

مرحلة الأشد: هي المرحلة التي تمتد من نهاية الطفولة إلى بداية الشيخوخة [(٢)]، قال تعالى: ﴿... ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ...﴾ [غافر:٦٧] ، وهذه الفترة يتمتع فيها الإنسان عادة بكامل قواه، ومع بدايتها يبدأ التكليف الشرعي، ولهذا جاءت ﴿لِتَبْلُغُوا﴾ باللام إشارة إلى أن الغاية أن يخرجكم أطفالاً ويبقيكم لتكبروا شيئاً فشيئاً، ثم تبلغوا أشدكم وكمالكم في القوة والعقل [(٣)].

قال تعالى: ﴿... حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ...﴾ [الأحقاف:١٥] .

قال ابن كثير في تفسيره الآية ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ أي قوي وشب وارتجل ﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ أي تناهى عقله، وكمل فهمه وحلمه [(٤)].

وقال الواحدي النيسابوري في تفسيره عن عطاء في قوله تعالى: ﴿بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ ثماني عشرة سنة [(٥)].

من خلال هذه الآراء **يخلص الباحث** بأن مرحلة الأشد تبدأ منذ البلوغ "من التكليف إلى نهاية فترة الشباب".

*** هل هناك تعارض بين مرحلة الأشد وبلوغ الأربعين سنة؟؟؟**

قال تعالى: ﴿... حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ...﴾ [الأحقاف:١٥] .

---

(١) دليل الأنفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث، ص ١٥٩، ١٦٠ بتصرف.

(٢) نفس المرجع السابق ، ص ١٥٨.

(٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، م١٢، ج٢٤، ص ٨٤ بتصرف.

(٤) تفسير القرآن العظيم، م٤، ص ١٦٩.

(٥) الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ج٤، ص ١٠٧.

بيَّن ذلك الإمام الطبري بنقل أقوال العلماء في معنى (الأشد).

أولاً: هي ثلاث وثلاثون سنة.

ثانياً: بلغ الحُلُم "بمعنى بلوغ مرحلة التكليف".

أما استواء الأشد فهو أربعون سنة، وبذلك تكون مرحلة الأربعين هي من ضمن الأشد (١) .

ج- مرحلة الكهولة (الشيخوخة):

الشيخوخة تعني الهرم عنما يتقدم السن بالإنسان ويبلغ الكِبَر، ويرد إلى أرذل العمر، وليس للشيخوخة سن محدد، لكنها معروفة بين الناس.

قال تعالى: ﴿ ... ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا ...﴾ [غافر:٦٧] .

قال الزحيلي: الأشد: "مرحلة اكتمال القوة والعقل والشيخ من جاوز الأربعين" (٢) .

ملخص الأبحاث العلمية التي تناولت هذه المرحلة:

تقول الأبحاث العلمية: أن جسم الإنسان يتوقف عن النمو في مرحلة ما بعد البلوغ، وينصرف إلى المحافظة على مستوى النمو الذي وصل إليه، وذلك بتعويض أي تلف يحصل في الخلايا، وهذا من حكمة الله؛ لأنه لو استمر النمو لفسدت الحياة، ولكن هناك بعض الملكات العقلية التي تستمر في النمو ولا تتوقف، وتستمر مرحلة الأشد حتى تبلغ قمتها في الأربعين، ثم يبدأ انقلاب فسيولوجي في مجموع الجسم، فتصير عملية الهدم أقوى من عملية البناء والتعويض، وتظهر أعراض العجز على بعض الغدد، فيظهر الشيب، وتظهر التجاعيد، وتستأسد الأمراض لقهر مقاومة الجسم، وتعم حالة من الضعف كافة أجزاء الجسم، فيتناقص الوزن والطول، وتقل القدرة على الحركة والنشاط، ويتراجع أداء العقل، وهذا التراجع في هذه الأمور هو الذي جعل الشيخوخة مرحلة ضعف بعد قوة، كما كانت مرحلة الأشد مرحلة قوة بعد ضعف، قال تعالى: ﴿ ...وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [غافر:٦٧] .

فهذه الآية يصح أن توضع بين كل مرحلة وأخرى من مراحل خلق الإنسان، وذلك لأن نمو الجنين منذ لحظة الإخصاب، وكذلك الوليد منذ لحظة الولادة، يسير وفق احتمالين متعادلين، نحو الاستمرار أو التوقف (٣).

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، م٩، ص ٧٤٠٦، ٧٤٠٧

(٢) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ج٢٤، ص ١٥٨.

(٣) انظر: دليل الأنفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث، ص ١٦٥.

هذه الأبحاث العلمية تشير إلى ما أشار إليه القرآن قبل ألف وأربعمائة عام ونيف، لكن بشكل مختصر وموجز، فيما يشير ويدلل على أن هذا القرآن ليس من عند البشر، بل هو من عند خالق الخلق تجلت قدرته وعظم شأنه.

وتنتهي هذه المرحلة بالموت، قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٥-١٦] .

خلاصة المبحث:

تبين من خلال المبحث مراحل خلق الإنسان وأطواره ابتداءً بعالم الذّر (عالم الكينونة الأولى للبشرية)، ثم المراحل والأطوار التي يمر فيها الإنسان في عالم الأرحام ابتداءً من النطفة إلى أن يصبح جنيناً تاماً، ثم مرحلة ما بعد الأرحام المتمثلة في مرحلة الطفولة، ثم مرحلة الشباب (الأشد) انتهاءً بمرحلة الكهولة (الشيخوخة).

المبحث الثاني

مكونات النَّفس البشرية وآثار وآيات القدرة الإلهية فيها

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مكونات النَّفس البشرية.

المطلب الثاني: آيات القدرة الإلهية في النَّفس البشرية.

المطلب الثالث: آثار القدرة الإلهية في خلق النَّفس البشرية.

المبحث الثاني

مكونات النَّفس البشرية وآثار وآيات القدرة الإلهية فيها

المطلب الأول: مكونات النَّفس البشرية:

سبق الحديث عن النَّفس البشرية؛ أنها تتكون من جانبين، جانب الروح، وجانب الجسد، ولقد أخفى الله تبارك وتعالى عن الإنسان علمَ هذه الروح، قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء:٨٥].

يُستدل من الآية أن الله عز شأنه قد تفرد بعلم هذه الروح، وذلك لأن الروح هي سر وجود الإنسان وكينونته، فلما خلق الله تعالى آدم من طين لا حياة فيه ولا حركة، وإذا به بِنَفْخِ الروح في الجسد يتحول إلى إنسان تدب فيه الحياة؛ ليصبح إنساناً متكاملاً له من الخصائص والصفات الإنسانية.

بوقفة تدبر وتفكر أمام جانب الطين الذي في أصله جماد لا يمتلك من مقومات الحياة شيء، فإذا به بقدرة الله وعظمته يتحول هذا الجماد في جسم الإنسان إلى جانب حي ليكون جزءاً لا يتجزأ من كينونة الإنسان الحي، فهذه العلاقة بين الروح والجسد هي علاقة امتزاج بحيث يستحيل فصمها إلا بالموت، بناءً على ذلك لابد أن ينظر للإنسان من كلا الجانبين حتى نصل به إلى حالة من التوازن، تؤهله لأداء متطلبات وحاجات كلا الجانبين وفق ميزان الحق، من غير إفراط ولا تفريط أو بخس أو تجاهل لأي مطلب أو نزعه، وفق معايير ومحددات تضبط سير عمل كلٍ منهما.

فالإنسان السوي متفتح للحياة متفاعل معها، مليء بالتفاؤل، وهو الأقدر على تذوقها والاستمتاع بمنحها وعطاياها، فهو النموذج لأداء وإقامة حق الله في هذه الأرض، فإذا طُعم شكر الله أن منحه الغذاء المَيسُور، والشهية والمعدة الهاضمة والعافية السابغة.

فالإنسان لا يستغني عن جسدٍ صحيح الأعضاء والمشاعر، فالله أباح لأنبيائه وهم صفوة الخلق وأشرف البشر أن يلبوا حاجات الجسد، فأقر الله حاجة الرّسل على وجه الخصوص والناس على وجه العموم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرّسل كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون:٥١]، ثم بعد ذلك وضح الله هذه الإباحة فقال: ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾ [الأنبياء:٨].

فكما أقر الله وظيفة الجهاز الهضمي، أكد وظيفة الجهاز التناسلي، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً...﴾ [الرعد:٣٨].

فالغريزة نزعة تتناسب وطبيعة وتركيب الإنسان، فلا بد أن تؤدى وفق نظام مشروع يصون ويحافظ على طريقة نزوعها، وبشكل شامل أقر الله وظيفة وعمل وإفرازات بقية أعضاء الجسم بنظرة متوازنة بين حاجاته ومتطلباته وما يلقى عليه من مطالب وفي هذا المبحث **سيبين الباحث أهم مكونات جسم الإنسان مع إبراز بعض من جوانب القدرة والعظمة الإلهية تحت مُسمَّى (الآية) وذلك بما تعنيه من معنى، مستدلاً ببعض الآيات من القرآن الكريم.**

مكونات جسم الإنسان:

يتكون جسم الإنسان من العديد من الأعضاء والأجهزة التي تقوم بعمل وظيفة منوطة بها تؤديها في إطار الكل، فلا يستطيع عضو أن يستغني عن الآخر، فالعين للإبصار للمحافظة على سلامة الجسد، والسمع للاستجابة لما فيه خير الإنسان، واللسان يتذوق ليُسعِدَ بقية الجسد بنعمة ولذة ما يستطاب ويؤلف، وكل جهاز أو عضو يعمل متفانياً لراحة بقية الأعضاء وسعادتها، دون التعالي أو التمرد على سائر الأعضاء، وكأن الجسد يبرق برسالة تنطق بوحدة هذا الوجود وعظمة الموجد فالإنسان آية متكاملة في كُنِهها آيات تقر بأن لهذا المخلوق خالق، فهذه البراهين والحجج والشارات والدلالات مقرونة بخلق الإنسان بل بالخليقة، ولسان حالها يقول: ﴿وَفِي الأَرْضِ آَيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ * وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات:٢٠-٢١].

وقبل الحديث عن الآيات المكنونة في جسم الإنسان **سيذكر الباحث أهم العناصر** التي يتكون منها جسم الإنسان.

من خلال التحليل المخبري لمكونات الإنسان وعناصره الأولية، وجد أنه أشبه بمنجم صغير، يشترك في تركيبه حوالي اثنين وعشرين عنصراً، تتوزع بشكل رئيسي على: أكسجين، وهيدروجين على شكل ماء بنسبة ٦٥-٧٠ % من وزن الجسم، وكربون، وهيدروجين، وأكسجين، والتي تشكل أساس المركبات العضوية من سكريات ودسم، وبروتينات، وفيتامينات، وهرمونات أو خمائر، ومواد جافة تنقسم إلى سبع مواد وهي: الكلور، والكبريت، والفوسفور، والمغنيسيوم، والكالسيوم، والبوتاسيوم، والصوديوم، وهي تشكل ٦٠-٨٠ % من المواد الجافة، وسبع مواد أخرى بنسبة أقل وهي: الحديد، والنحاس، واليود، والمنغنيز، والكوبالت، والتوتياء، والموليبديوم، وستة عناصر بشكل زهيد وهي: الفلور، والألمونيوم، والبور، والسيلينيوم، الكادميوم، والكروم.

ومن آيات الله أن كل هذه العناصر موجودة في تراب الأرض، ولا يشترط أن تكون كل مكونات التراب داخلة في تركيب جسم الإنسان، فهناك أكثر من مئة عنصر في الأرض، فيما لم يكتشف سوى اثنين وعشرين عنصراً في تركيب جسم الإنسان، ولقد أشار القرآن إلى هذا الأمر حيث قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ [المؤمنون:١٢] (١).

المطلب الثاني: آيات القدرة الإلهية في النَّفس البشرية:

كثيرة هي الآيات التي أكنها الله في أنفسنا، قال تعالى: ﴿وَفِي الأَرْضِ آَيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ * وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٠-٢١] ، **وسيذكر الباحث** أهم هذه الآيات على سبيل المثال لا الحصر، منها:

الآية الأولى: اللسان:

يُعدُّ اللسان آية من آيات الله في خلق الإنسان، فهو معجزة ربانية تدعو للتأمل والتبصُّر، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آَيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ﴾ [الرُّوم:٢٢] ، بالنظر إلى هذا العالم المترامي الأطراف، وما في هذا العالم من الناس على اختلاف صورهم وألوانهم وألسنتهم، فكل هذا الاختلاف من مظاهر عظمة الله وقدرته في هذا الكون.

ولقد خاطب موسى عليه السلام ربه طالباً منه أن يحلل عقدة لسانه؛ ليكون أفصح في الكلام وأقدر على الفهم، قال تعالى على لسان موسى: ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ [طه: ٢٧-٢٨] ، وما هذا الطلب من الله إلا لأن اللسان وسيلة التفاهم والاتصال بين الناس، به يُعبر الناس عن حاجاتهم في هذه الحياة، في ذات الوقت يعتبر اللسان من نعم الله على الإنسان الذي يقوم بالعديد من الوظائف والمهمات في هذه الحياة، قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾ [البلد: ٨-٩] .

وهذا اللسان يقوم بدورين مهمين أحدهما حسي والآخر معنوي يستولي على الجسد، ويغمر القلب فرحاً أو حزناً كما أخبر بذلك النبي ﷺ: **(ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ورسولاً)** (٢) .

---

(١) مع الطب في القرآن الكريم، ص ٧٢، ٧٣ بتصرف.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً، ص ٤٧، حديث رقم (٣٤).

من المهام والوظائف التي يقوم بها اللسان:

لقد كشف العلم الحديث عن كثير من الوظائف، والمهام، والأسرار التي تبين مكانة وأهمية اللسان منها:

* يستخدم اللسان في عملية مضغ الطعام، وتقليبه، وتبليله باللعاب، ومن ثم بلعه .

* يقوم اللسان بعملية تذوق الأطعمة والأشربة، الحلو والمر، والمالح، والحامض، والطعم المعدني والقلوي، وكل طعم يُتَذَوق على جزء ومكان خاص في اللسان، والتذوق واحد من الأسرار الدقيقة المحكمة التي تكتنف جسم الإنسان .

* يقوم اللسان بدور كبير في عملية التخاطب والتواصل والتصويت، وذلك بمشاركة أعضاء الفم الأخرى .

* يقوم اللسان بعملية تنظيف للفم من الداخل والخارج [(١)] .

* **ومن بديع**[(٢)] **صنع الله:** أنه برغم صغر حجم اللسان إلا أنه يحتوي على تسعة آلاف من نتوءات الذوق الدقيقة، ويتصل كل نُتوء بالمخ بأكثر من عصب، وهو يحتوي غشاء مخاطي يمتد على بقية الفم يسهم في عملية تذوق الأطعمة [(٣)] .

هذه بعض بدائع صنع الله في الإنسان، بقي أن نشير إلى آية عظمى، وهي ما يسمى بلسان المزمار الذي يقوم بعمل لا إرادي مدعاة للتفكر والتأمل حيث يمثل شرطي المرور فهو يقع في أخطر المناطق عند اتصال فتحة الهواء المار على الحنجرة مع البلعوم، فأثناء مرور الطعام من الفم على البلعوم يقوم هذا الشرطي بقفل فتحة الحنجرة كي لا يمر الطعام أثناء البلع إلى الحنجرة فيؤدي إلى الموت!!! سبحان من خلق فسوى [(٤)] .

الآية الثانية: الشفتان:

كل جهاز أو عضو في الإنسان خلق لهدف وغاية ومقصد، وراعى الخالق في خلقه إتقانه وتحسينه، قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التِّين:٤] ، ولقد زود الله الإنسان بشفتين

---

(١) التشريح ووظائف الأعضاء، د. كريمان وديع عبد الرازق، ص ٩٠، وعلم وظائف الأعضاء، أ.د. اشتيوي العبد الله، ص ٣٥٠ بتصرف واختصار.

(٢) الإبداع: إنشاء الشيء بلا ابتداع ولا احتذاء، فإذا استعمل في الله: فهو إيجاد الشيء بغير آلة ولا مادة ولا زمان ولا مكان. انظر: التوقيف على مهمات التعاريف، ص ٢٩.

(٣) الطب محراب الإيمان، ج١، ص٢٢٧-٢٢٩، وفي أنفسكم أفلا تبصرون، د. محمد بن سعود الشويعر، م١، ص١٦٤-١٦٦ بتصرف واختصار.

(٤) انظر: الطب محراب الإيمان، ج١، ص١٤٤.

جمل بها خَلْقَهُ، وأبان عن بديع صنعه، فقال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾ [البلد: ٨-٩]، وتعتبر الشفتان غاية في الحسن والجمال، **إضافة إلى قيامهما بالعديد من المهام والوظائف والتي منها:**

* تساهم الشفتان في عملية النطق، حيث إن هناك حروفاً تخرج من الشفتين مثل حرف الميم، والباء، إضافة إلى المساعدة في مخارج الحروف وحركاتها من ضمة وفتحة وكسرة وسكون (١).

* تقوم بعمل البوابة فلا تسمح بمرور الهواء إلا عن طريق الأنف، وذلك لما في ذلك من فائدة للإنسان، إضافة إلى ما تقوم به من الارتشاف والامتصاص والمج (٢).

* تقوم الشفتان بتحسُّس درجة الحرارة والبرودة للأطعمة، والحفاظ عليها في داخل الفم (٣).

* تُعد الشفتان عنصر تحسس واستمتاع للإنسان؛ فالشفتان من أغنى مناطق الجسم بالمستقبلات الحسِّية (٤).

الآية الثالثة: الأسنان:

الحسنُ والجمالُ، وكمال القوام، يتجلى في كل مظهر من مظاهر الإنسان ولقد أبان الله عن هذا فقال: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ...﴾ [السجدة:٧]، بالتأمل، والتدبر، والنظر إلى الأسنان وتركيبها، واتساقها، وشكلها، وقوامها، وجمالها، والمادة المصنوع منها كل جزء، ندرك أننا أمام آية من آيات الله في الإنسان !!!

ولقد أبان الله عن مكانة الأسنان في الإنسان لما لها من أهمية عظيمة، فجعل عقاب من اعتدى عليها بإتلافها، بالمثل فقال: ﴿... وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ ...﴾ [المائدة:٤٥].

وإن كانت هذه الآية نزلت في بني إسرائيل فإن شرع من قبلنا شرع لنا ما لم ينسخ، قال الحسن البصري: "هي عليهم وعلى الناس عامة" (٥).

---

(١) بغية عباد الرحمن لتحقيق تجويد القرآن، محمد بن شحادة الغول، ص ١٦٠، ١٦١.

(٢) دليل النَّفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث، ص ٢٨١ بتصرف.

(٣) انظر: علم وظائف الأعضاء، ص ٣٤٩ بتصرف.

(٤) لقاء وجاهي مع أ.د. ماجد محمد ياسين، أستاذ علم وظائف الأعضاء بكلية الطب بالجامعة الإسلامية، ٢٠١٢/٩/٥م بالجامعة الإسلامية غزة.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ج٢، ص٦٤.

أما النبي ﷺ وفي إشارة إلى أهمية الأسنان بصفتها المحطة الأولى في عملية الهضم وما تقوم به من وظيفة عظيمة، فقد عُني بجمال أسنانه والمحافظة عليها قوية نظيفة سليمة لأنها سبب لكثير من الأمراض والحفاظ عليها يقي الإنسان من كثير من العلل، فقال: **(لولا أن أشق على أمتي – أو على الناس– لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة)** (١).

وفي إشارة أخرى للحرص والعناية المستمرة على أسنانه: **(كان إذا قام من الليل يشوص**(٢) **فاه)** (٣)، فهذه العناية المستمرة من النبي ﷺ دلالة واضحة على أهمية الأسنان بالنسبة للإنسان.

ولمزيد من بيان أهمية ووظيفة ومكانة هذه الأسنان بالنسبة للإنسان، هذه بعض من **المهام والوظائف التي تقوم بها الأسنان:**

* تعتبر الأسنان الحارس على الفم، فلا تسمح لشيء يضر الإنسان بدخول الفم.
* المشاركة مع أعضاء أُخر بالقيام بعملية التصويت، وإخراج الحروف صافية واضحة من مخارجها، لذا فإذا سقط سن؟ نرى مخارج بعض الحروف يلتبس على السامع.
* تقوم الأسنان بعملية تقطيع وطحن الطعام ليسهل هضمه وامتصاصه.

تمثل الأسنان صورة جمالية وصحية للإنسان، فلقد استطاع الأطباء ومن خلال سلامة الأسنان الحكم على صحة الإنسان، في ذات الوقت أثبتوا أن الأسنان الصناعية لا ترقى إلى مكانة الأسنان الطبيعية (٤).

ومن بديع صنع الله أن الأسنان تقوم بضغط يصل إلى ما يقارب خمسين كيلو جرام على السنتمتر الواحد المربع بفعل العضلات الماضغة التي يحتويها الفك، في حين أن هناك أربع عشرة عضلة تشترك في عملية المضغ، منها ستٌ لرفع الفك السفلي إلى أعلى، وستٌ للخفض، وواحدة في كل جانب للتحريك الجانبي، وتتضافر أربعٌ منها للحركة الأمامية الخلفية، وهذا الطاحون فيه منطقة ثابتة ومنطقة متحركة حتى يُمَكّن من هرش وطحن المواد الغذائية، فالفك السفلي هو المتحرك، أما الأسنان فمنها للتقطيع ومنها للتمزيق ومنها للجرش والطحن (٥).

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب السواك يوم الجمعة، ص ١٨٧، حديث رقم (٨٨٧).

(٢) يشوص: أي يدلك أسنانه وينقيها، وقيل: يستاك من سفل إلى علو، وأصل الشوص الغُسل. النهاية في غريب الحديث والأثر، ص ٤٩٥.

(٣) صحيح البخاري، نفس المرجع السابق نفس الكتاب والباب والصفحة، حديث رقم (٨٨٨).

(٤) وفي أنفسكم أفلا تبصرون، ج١، ص٨٨–٩٠ بتصرف واختصار.

(٥) الطب محراب الإيمان، ج١، ص١٤٥.

الآية الرابعة: الغدد اللعابية:

حينما يمعن الإنسان النظر في مكونات الإنسان وأجهزته وأعضائه، يجد خلف هذا كله سر عجيب، ومن أعجب الأسرار ما يطلق عليه اسم الغدد [١] ونَخُص منها هنا الغدد اللعابية والتي لها دور عظيم في حياة الإنسان، فلو توقفت لجف وتيبس فم الإنسان، مما يؤدي إلى موته وفنائه، فلهذه الغدد دور كبير نجمله فيما يلي:

المهام والوظائف التي تقوم بها الغدد اللعابية:

تقوم الغدد اللعابية بترطيب الفم، وتبليل الطعام، والمساعدة في عملية الهضم، وهضم بعض الأطعمة وذلك بإفراز اللعاب الذي يحتوي على إنزيم الأميلاز الذي بدوره يقوم بتحويل النشا إلى سكر المالتوز وتقوم الغدد اللعابية بإفراز ما يعادل ستمائة سنتيمتر مكعب في اليوم، ويفرز هذا اللعاب من ثلاثة أزواج من الغدد تتوزع داخل الخدين أمام الأذنين وداخل الفك الأسفل وتحت طرف اللسان، كما تقوم الغدد اللعابية بالمساعدة في عملية النطق، وإفراز مواد مخاطية مساعدة في عملية الهضم، كما وأنه وجد أن لعاب الإنسان يحتوي على عوامل تساعد في شفاء الجروح [٢]، هذه بعض من أسرار هذا اللعاب وهناك الكثير.

الآية الخامسة: الجهاز الهضمي:

خلق الله الإنسان من الأرض، وهو يتغذى على نباتات ومخلوقات الأرض، وسيعود إلى الأرض، قال تعالى: ﴿... كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف:٢٩].

ولقد دعانا الله للمأكل والمشرب بصفتهما من ضرورات الحياة، قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا ...﴾** [البقرة:١٦٨]، وقال أيضاً: **﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾** [الملك:١٥]، ولكي يستطيع الإنسان الاستفادة مما يأكل فقد زوده الله بجهاز يقوم بتحويل ما يأكل إلى مكونات بسيطة التركيب قابلة للذوبان في الماء، ثم يمتصها الجسم لتستخدم في بناء الأنسجة والخلايا وتوليد الطاقة والقيام بالوظائف الحيوية.

---

(١) هي أعضاء خاصة أو هي مجموعة من الخلايا أو خلايا منفردة تنتج مواداً مختلفة حيوية للحياة وهي نوعان غدد قنوية "ذات قناة" أو تسمى خارجية الإفراز، وغدد لا قناة لها يجري إفرازها فيها وتصب في الدم مباشرة وتسمى "غدد داخلية" أو غدد صماء وهي تفرز ما يسمى بالهرمونات، انظر: معجم البيولوجيا المصور، ص٦٨، ٦٩، وفي أنفسكم أفلا تبصرون، م١، ص١٠٠ .

(٢) أرقام في جسم الإنسان، ص٤٥، ٤٦، ومعجم البيولوجيا المصور، ص٧٨ ، وعلم وظائف الأعضاء، ص ٣٥٠، ٣٥١ بتصرف.

القناة الهضمية: مصطلح يجمع كلاً من: الفم، والمريء، والمعدة، والأمعاء الدقيقة والغليظة ثم فتحة الشرج.

المهام والوظائف التي يقوم بها الجهاز الهضمي:

وما نوَدُّ الإشارة إليه في عملية الهضم هو:

* ما تقوم به الأسنان من تقطيع وطحن الطعام، والغدد اللعابية وما تفرزه من لعاب يبلل الطعام، ويساهم في عملية الهضم، واللسان وما يقوم به من دور كبير ومهم في عملية الهضم، من تقليبه للطعام، وتحريكه ومزجه ببعضه البعض.

* ما تقوم به العصارات التي خصها الله بحكمة بالغة، منها ما هو قلوي حار له القدرة على إذابة الطعام وتفتيت جزيئاته، وهي تفرز بمقادير تتلائم مع حجم الطعام ومدى حاجته، فلا تكون كثيرة فتضر به وتفسد الفائدة منه، ولا تكون قليلة فتؤثر على الأجهزة وتخل بعملها.

* الدور الذي تقوم به الأنزيمات في عملية الهضم وتحليل المواد الغذائية.

* ما تقوم به المعدة والأمعاء الدقيقة في عملية الهضم وعملية الامتصاص.

* ما تقوم به الأمعاء الغليظة من إتمام لعملية الامتصاص للمواد الغذائية ومن ثم خروج الفضلات عن طريق فتحة الشرج [١].

ومن بديع خلق الله في أعضاء الجهاز الهضمي:

* ما زوده الله للمعدة من مادة مخاطية واقية لجدار المعدة؛ كي لا يؤثر عليها حامض الهيدروكلوريك (الحامض المعدي)، بمعنى أنها تهضم الطعام بما تحتويه من بروتينات، ولا تهضم نفسها **!!!**

* ما أودعه الله من غدد معدية تبلغ ست إلى سبع ملايين غدة، تحتوي على الأنزِمة والمنفحة التي تعمل على هضم الطعام، أو تساعد في هضمه.

* ما تقوم به الأمعاء الدقيقة التي تحتوي على مجموعة من الشعيرات "الزُّغابات" المعوية، تعلوها طبقة من الخلايا ذات زغابات لا تُرى إلا بالمجهر الالكتروني؛ لتزيد من مساحة الجزء الذي يقوم بامتصاص الغذاء إلى عشرين ضعفاً، ثم يزداد إلى أضعاف هذه المساحة. ويبلغ عدد الزغابات المعوية حوالي عشرة إلى اثنتي عشر مليون، فيوجد في كل سنتيمتر مربع ستمائة وثلاثة آلاف زغابة معوية لامتصاص الطعام المهضوم، وخمسة وثلاثون مليون غدة معقدة

---

(١) معجم البيولوجيا المصور، ص٦٦، ٦٧، وفي أنفسكم فلا تبصرون، ج١، ص٢١٢-٢١٥ بتصرف واختصار.

التركيب للعمل على هضم الطعام، ومليار خلية جدارية لإفراز كلور الماء.

* ومن عجيب صنع الله أنه توجد بكتيريا في الأمعاء الغليظة تقوم بتحويل بعض المواد إلى فيتامينات أهمها فيتامين ك ليستفيد منها الجسم [(١)].

وهناك الكثير من العجائب والأسرار في هذا الجهاز!!! فمن الذي ألهم هذه الغدد التي تفرز العصارات أو الهرمونات؟!! من الذي ألهم الخلايا الجدارية في المعدة التي تفرز المواد الهاضمة أو المساعدة في الهضم؟!! من الذي ألهم الغدد المعدية لتفرز مادة مخاطية تمنع وصول العصارات لجدارها لكي لا تهضمها؟!!.

قال تعالى: ﴿هَذَا خَلْقُ اللهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [لقمان:١١].

الآية السادسة: الجهاز التنفسي:

التنفس سر حياة الإنسان، وتوقفه يوحي بانتهائها، ولقد احتار العقل في إدراك كنه التنفس، وذلك لأن الهواء يحس به الإنسان ولكن لا يستطيع أن يراه، وفي نفس الوقت لا يستطيع أن يستغني عنه.

وفي إشارة من الله لبيان ما يحصل للإنسان عند تناقص كمية الأكسجين وخصوصاً في طبقات الجو العليا يقول تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ...﴾ [الأنعام:١٢٥] .

فهذه الآية تظهر حقيقة علمية فحواها: انخفاض نسبة الأكسجين في المرتفعات العالية، ففي حين أنها تبلغ ٢١% فوق سطح البحر فهي تنعدم نهائياً في علو سبعة وستين ميلاً، كما أن الضغط الجوي ينخفض كلما ارتفعنا عن سطح الأرض مما يؤدي إلى نقص معدل مرور الهواء عبر الأسناخ الرئوية إلى الدم، كل هذا يؤدي لصعوبة في التنفس كلما صعد الإنسان عالياً إلى أن يفقد الإنسان وعيه ثم يموت [(٢)].

فالإنسان يحتاج إلى أكسجين يستخدمه الجسم في عملياته الحيوية، وينتج عن هذه العمليات ثاني أكسيد الكربون يتم إخراجه عن طريق الرئتين، والجهاز التنفسي بما يحتويه من

---

(١) أرقام في جسم الإنسان، ص٤١-٧٥، ومعجم البيولوجيا المصور، ص٦٦، ومع الطب في القرآن الكريم، ص٣٩ بتصرف واختصار.

(٢) انظر: مع الطب في القرآن الكريم، ص٢١، ٢٢.

"القصبة الهوائية والحنجرة والرئتين والشعبات والشعيبيات والأكياس الهوائية (الأسناخ)" تقوم بعمل نجمله في:

المهام والوظائف التي يقوم بها الجهاز التنفسي:

* القيام بعملية الشهيق والزفير، حيث يدخل الهواء المحمل بالأكسجين في عملية آلية من فتحة الأنف إلى الحنجرة، ومن ثمَّ إلى الرئتين وذلك من خلال عملية آلية بمساعدة الحجاب الحاجز والعضلات الصدرية، ثم يُحمّل الدم في الأسناخ الرئوية المتصلة بالشعيرات الدموية بالأكسجين.

* القيام بعملية الزفير وهي عملية معاكسة للشهيق حيث يتم فيها خروج ثاني أكسيد الكربون الناتج من عملية الاحتراق في الجسم من الدم إلى الرئتين عبر فتحة الأنف [١].

ومن بديع صنع الله في الجهاز التنفسي:

* احتواء فتحة الأنف على شعيرات تعمل على تنقية الهواء الداخل إلى الرئتين من الغبار والمواد الغريبة.

* وجود غدة بالأنف تفرز مادة نخامية تعطي الهواء المار درجة حرارة تناسب حرارة الجسم، وكذلك إعطاء الهواء درجة رطوبة معينة لتكيف مع الجسم.

* عمليتا الشهيق والزفير تعملان على تطهير، وفلترة، وإزالة ما في الدم من المواد الضارة وإعادة الدم المنقى للقلب ليصل إلى جميع أجزاء الجسم.

* تتكرر عمليتا الشهيق والزفير بمعدل سبع عشرة إلى ثماني عشرة مرة في الدقيقة ليمر إلى الرئتين حوال عشرة آلاف لتر من الهواء خلال أربع وعشرين ساعة، وكبر مساحة الأكياس الهوائية التي يتم من خلالها تبادل الغازات لو تم فردها لغطت ملعب كرة السلة في الرئة الواحدة[٢]

بعد هذه الأسرار والعجائب لا بد أن نتساءل؟!! من الذي ألهم هذا الجهاز على العمل بهذه الطريقة الآلية؟!! من الذي علم الغدة الموجودة بالأنف لتفرز المادة المخاطية!!! من أين يتوفر في اليوم للإنسان عشرة آلاف لتر من الهواء؟!! سبحان خالق الخلق، سبحان الله.

الآية السابعة: القلب:

القلب هو المضغة الصنوبرية الشكل التي في الجانب الأيسر من البدن [٣] فهو مضغة الحياة التي لا تكل ولا تمل، وهو محل الإيمان الذي يُضخ إلى كل خلية من خلايا الجسم ليتجذر في كينونة الإنسان فيزيده يقيناً بخالق الخلق.

---

(١) معجم البيولوجيا المصور، ص٧٠، ٧١ بتصرف واختصار.

(٢) وفي أنفسكم أفلا تبصرون، ج١، ص٩٥-٩٨، وأرقام في جسم الإنسان، ص٧٧-٨٥ بتصرف واختصار.

(٣) مجموع الفتاوى، تقي الدين أحمد بن تيمية الحرَّاني، م٩، ج٥، ص ١٦٢.

ولقد حظي القلب بمساحة كبيرة في آيات كثيرة من كتاب الله منها: قال تعالى في شأن النبي ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ القَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران:١٥٩] .

وقال في شأن إنزال الملائكة يوم بدر لنصرة المؤمنين: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ العَزِيزِ الحَكِيمِ﴾ [آل عمران:١٢٦] .

ولقد وضح النبي ﷺ حقيقية القلب في صورة وصفية معتبراً أن صلاحه صلاحاً للجسد كله، وفساده فساداً للجسد كله حيث يقول: (**... ألا إن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب**) [١] .

يُعد هذا الحديث من دلائل صدق الوحي والنبوة بما يحتويه من أمور علمية، لا يُخبر عنها إلا متخصص ومتبحر في علم الأحياء، وذلك أن القلب بما يقوم به من عمل يضخ الدم المحمل بالغذاء إلى جميع أعضاء الجسم ليصل إلى كل خلية من خلاياه، بمعنى آخر، أن هذا الغذاء إذا كان من حرام أو به بعضاً منه ضخه إلى كل خلية من خلايا الجسم، وكذلك إذا كان من حلال.

ولبيان وظيفة وعمل القلب والتي تتعلق بالدم الذي يعتبر شريان الحياة، وضخه منوط بالقلب، لذا سنجمل:

المهام والوظائف التي يقوم بها القلب والدم:

* يضخ القلب الدم المحمل بالغذاء الممتص في المعدة والأمعاء ليُنقل إلى جميع أعضاء الجسم وخلاياه.

* يضخ القلب الدم المحمل بالفضلات المتخلفة عن عملية البناء والهدم والاحتراق والتنفس وطرحها خارج الجسم، إما عن طريق الكلية ليخرج على شكل بول، أو عن طريق الجلد بشكل عرق، أو عن طريق الرئة بتخليص الدم من ثاني أكسيد الكربون .

* يجمع القلب الدم الغير مؤكسج، ثم يضخه إلى الرئتين ليحمل بالأكسجين، ثم يضخه إلى خلايا الجسم للقيام بالوظائف الحيوية .

* يحتوي على الأجسام المضادة للأجسام الغريبة التي تغزو الجسم لمحاربتها والقضاء عليها .

* يحمل الدم الأنزيمات والهرمونات التي تضبط عمل الجسم في شتى الجوانب من طول وقصر، ونمو، وذكورة وأنوثة، وتغيرات فسيولوجية وغير ذلك من الأمور المتعلقة بها.

---

(١) سبق تخريجه، ص ٩٤.

* يعمل الدم على إنتاج مادة التخثر (التجلط) التي تحدث خارج الجسم لوقف النزيف الذي يحدث نتيجة لتعرض الجسم لإصابات وحوادث فلولا هذا التجلط لظل الدم ينزف إلى مفارقة الحياة .

* في حين يعتبر الدم خط الدفاع الثاني بعد الجلد فهو يقوم وعبر خلايا خاصة بإنتاج السموم والمواد الكيميائية المضادة للسموم التي تفرزها البكتيريا والجراثيم .

* يقوم الدم بواسطة خلايا بلعمية خاصة لها القدرة على التكيف بهيئات وأشكال خاصة تمكنها من التهام الجراثيم والبكتيريا والقضاء عليها.

* يقوم الدم وعبر خلايا خاصة بالمسئولية عن جهاز المناعة في الجسم الذي يقي الجسم من الأمراض ويقاومها .

* يقوم الدم وعبر خلايا خاصة ومن خلال غدة (التيموس) (١) بعمل ما يسمى (كلية حفظ الأمن في الجسم) وذلك بتدريب خلايا خاصة على عدم مهاجمة خلايا الجسم واكتشاف العدو والتعرف على شفرته والتعامل معه، ثم اختبار هذه الخلايا على أداء عملها وإعطائها شهادة تخرج، والسماح لها بتدريب غيرها من الخلايا المناط بها عملية حفظ الأمن في الجسم (٢) .

ومن بديع صنع الله في القلب والدم أن هذه المضخة الإلهية عدد نبضاتها من ستين إلى ثمانين نبضة في الدقيقة تضخ خلالها ستة لترات من الدم، وفي اليوم ينبض القلب ما يزيد على مائة ألف مرة، يضخ خلالها ما يقارب ثمانية آلاف لتر من الدم، أي بمعدل ستة وخمسين مليون جالون على مدى الحياة (٣) .

ولقد اكتشف العلماء وجود أربعة مولدات للكهرباء في القلب؛ والتي تعطي القلب القدرة على النبض، ولا يعمل منها إلا المولد الرئيسي، وتعمل المولدات الأخرى كموصل للكهرباء، وفي حالة تعطل المولد الأول، يعمل المولد الثاني، ويقوم المولدان الآخران بعملية توصيل للكهرباء، وفي حالة تعطل المولد الأول والثاني يقوم المولد الثالث بالعمل، والرابع بتوصيل الكهرباء، وفي حالة تعطل المولد الأول والثاني والثالث يعمل الرابع، وفي حالة تعطله، تعمل عضلة القلب على توليد

---

(١) غدة توجد في مقدمة الصدر، تحتوي على ملايين من الخلايا اللمفية التي في حالة انشطار، عند الولادة تكون كبيرة، وتواصل عملية النماء إلى أن يبلغ الإنسان سن البلوغ، عند ذلك تنكمش على نفسها، وتلعب هذه الغدة دوراً كبيراً في الدفاع عن الجسد ضد الأمراض والعدوى، انظر: الحياة وعجائبها، إميل خليل بيدس، ص ٢٩٩، وعلم وظائف الأعضاء، ص ٤٠٧.

(٢) أرقام في جسم الإنسان، ص ٥٨-٧٠، معجم البيولوجيا المصدر، ص ٥٨-٦٤، مع الطب في القرآن الكريم، ص ١٣٥ بتصرف واختصار.

(٣) الطب محراب الإيمان، ج٢، ص ٢٩٧، أرقام في جسم الإنسان، ص ٦٦ بتصرف واختصار .

الكهرباء ذاتياً [1] .

سبحان الله العظيم!!!

ويعتبر الدم خط الدفاع الثاني بعد الجلد، فهو يمتلك جيشاً جراراً متكاملاً في أجهزته ومراكز قيادته، وثكناته، ومصانعه، ومنشآته، وإمداداته، هذا الجيش يمتلك من التحصينات والإمدادات والتجهيزات ما لا يمتلكه جيش في العالم، فهو يمتلك من الخبراء والعلماء في مجالات عديدة متكاملة في شتى أنواع الحروب الجرثومية والكيميائية والبرمائية مما يجعل الإنسان يقف عاجزاً عن فهم ما يحدث في ذاته [2].

ويزداد عجز الإنسان أمام صنع الله حينما يعلم: أن مصنع إنتاج هذه الجيوش محصن بجدار حصين (مخ العظام) هذا المصنع يصب في الدم في الثانية مليونين ونصف كرية دم حمر، وخمسة ملايين صفيحة دموية، ومائة وعشرين ألف كرية دم بيضاء، وتتراجع وتضعف هذه الوظيفة عند المسنين، قال تعالى: ﴿ **قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ العَظْمُ مِنِّي** ...﴾ [مريم:٤] [3].

حقاً إننا أمام آية بل آيات تتكشف يوماً بعد يوم في ظل التقدم العلمي والتكنولوجي لتظهر عظمة الله وقدرته المطلقة في هذا الكون!!!

الآية الثامنة: الجهاز البولي:

تتوالى آيات الله في النَّفس الإنسانية، ليبصر الإنسانُ عظمَ القدرة الإلهية، وبالنظر إلى المأكل والمشرب وما يترتب عليهما من عمليات هضم، تنتهي بامتصاص العناصر الغذائية، وإخراج الفضلات بما تحتويه من مواد عادمة، أو زائدة عن الحاجة، لا يستفيد منها الجسم، فالفضلات الخلوية الناتجة عن مختلف التفاعلات في الجسم، يخرج قسم منها عبر التنفس، كبخار ماء وثاني أكسيد الكربون وقسم يخرج بواسطة الغدد العرقية في الجلد، وقسم تستأصله الكُليتان من الدم على شكل بول. وبالنظر إلى آلية خروج البول من جسم الإنسان، والأعضاء التي تساهم في هذه العملية؛ يدرك الإنسان مدى عظمة الله ورحمته لسيد الكون "الإنسان"، فلو قدر أن تختزن هذه المخلفات في جسده ماذا سيحدث ؟!!

ولبيان قيمة وأهمية الجهاز الإخراجي الذي منحه الله للإنسان نورد ما حدث مع هارون الرشيد حيث قال للفضيل بن عياض: "ما أزهدك!"، أجابه الفُضَيل: "أنت أزهد مني.. لأني أزهد في

---

(١) لقاء وجاهي مع أ.د. ماجد محمد ياسين، ٢٠١٢/٩/٥م بالجامعة الإسلامية بغزة.

(٢) أرقام في جسم الإنسان، ص ٦٣، ٦٤ بتصرف .

(٣) انظر: مع الطب في القرآن الكريم، ص ٤٢ .

الدنيا وأنت تزهد في الآخرة، والدنيا فانية، والآخرة باقية" وحين أُتيَ الرشيد بماء ليشرب سأله ابن السّماك: "لو مُنعتَ هذه الشربة، بكم كنت تشتريها؟ قال: بنصف ملكي" فلما شربها، قال له: "لو منعت خروجها من بدنك، بماذا كنت تشتريها؟ قال: بجميع ملكي..".

قال ابن السمّاك: "إن ملكاً قيمته شربة ماء جدير ألا ينافس فيه" (١)، علماً بأن هارون الرشيد لعِظَمِ ملكه واتساعه كان يخاطب السحاب في السماء قائلاً لها: أمطري حيث شئت، فإن خراجك راجع لبيت مال المسلمين!!!

تباً لمال لا يساوي كأساً من الماء دخل الجسم واختزن به، بالنظر إلى هذه القصة ندرك مدى قيمة وأهمية الجهاز البولي المتمثل في الكلية، وما تقوم به من إراحة الجسم، والقيام على أمنه، وأمانه، وطمأنينته.

ويمكن أن نجمل ما يقوم به الجهاز الإخراجي البولي، المتمثل في الكلية وما يتصل بها من أعضاء، كالحالب والمثانة والإحليل، وغير ذلك من الأعضاء

أهم مهام ووظائف الجهاز الإخراجي:

- تنظيم مكونات الدم، وحجمه، وإزالة ما به من فضلات سائلة عن طريق البول.
- ضبط درجة حموضة الدم.
- المساهمة في ضبط ضغط الدم.
- المساهمة في عملية سلامة وأمن الجسم (٢).

من بديع صنع الله في الجهاز الإخراجي:

بالنظر إلى حجم الكليتين نجد أن ارتفاعها من عشرة إلى اثنتي عشرة سنتيمتر، وعرضها من خمسة إلى ستة سنتيمتر، وسماكتها ثلاثة سنتيمترات، في حين لم يتجاوز حجم الكلية قبضة اليد، وتزن حوالي خمسة وتسعين ومائة جرام في الرجل وخمسة وعشرين ومائة جرام في المرأة تقريباً، وفيها من الأنابيب البولية من مليون إلى مليونين يعمل كل أنبوب بكفاءة تفوق كفاءة الفلتر المنزلي، فكيف بنا لو تخيلنا أن الكلية بها من مليون إلى مليونين من الفلاتر المنزلية في هذا الجسم الصغير، ويتراوح طول الأنبوب من ثلاثين إلى خمس وخمسين مليمتر، ولو اجتمعت لبلغت أكثر من ستين كيلو متراً ويمر خلال الكليتين كل أربع وعشرين ساعة ما بين خمسمائة وألف إلى ثمانمائة وألف لتر من الدم في حين متوسط ما في جسم الإنسان من الدم يقارب خمسة لترات

(١) موسوعة هارون الرشيد، د. سعدي ضناوي، م٣، ص٦٣٤، ٦٣٥.

(٢) بيولوجيا الإنسان، حميد أحمد الحاج، ص١٧٧، ١٧٨ بتصرف واختصار.

ونصف إلى ستة لترات، وبهذا تنقي الكلية الدم ستاً وثلاثين مرة في اليوم، لذا ندرك العمل الشاق المضني الذي يقوم به جهاز صغير ملكك الله إياه، يعمل ليل نهار لا يكل ولا يمل وصيانته ليست بيدك وإعادة بناء أجهزته مغيبة عنك، هذا الجهاز لا يضاهيه جهاز قط على وجه الأرض لا من حديد، ولا من نحاس، ولا من ذهب، وهاتان الكليتان تعملان على فلترة الدم وتنقيته من المواد الضارة ومقارنة بحجم الدم الوراد إليهما يستخلصا ما يقارب لتر ونصف من البول، ليصفي الدم من الفضلات والمخلفات، ليُضبط مستوى السائل في الجسم[1].

إنه جهاز يبعث الدهشة، ويعمق الإيمان واليقين بعظم خلقِ رب العالمين، من الذي ملكك هذا الجهاز؟!!

بل من الذي ملكك الأجهزة عامة؟!!

إنه مالك الملك: ﴿قُلِ اللهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران:٢٦].

الآية التاسعة: حاسة السَّمع:

الأصوات طريقة التفاهم مع البشر، فهي تعبر عن معنى ما نقول من خلال ما يحدث من الكلام ويتم نقل هذا الكلام عبر حاسة السمع التي وهبها الله للإنسان ولقد حظي السمع بمكانة سامية في كتاب الله، وقدم على البصر كون السمع الأداة الأولى التي تُكتسب به المعرفة، لذا نجدُ الجنين في بطن أمه يسمع قبل أن يبصر، لذلك سمى النبي ﷺ الآذان في الأذن اليمنى للجنين، والإقامة في اليسرى، وفي تركيب الدماغ، منطقة السمع تتقدم على منطقة البصر، وتتضح قيمة حاسة السمع حينما نرى العباقرة، من الذين فقدوا البصر، فامتازوا بسمع مرهف، فيتعذر على الإنسان أن يبدع وهو فاقد حاسة السمع خصوصاً إذا فقدها منذ الولادة.

ولقد وردت لفظتي السمع والبصر في كتاب الله في تسع عشرة مرة، وسبع عشرة موضعاً لفظة السمع قبل البصر [2]، وذلك لأن المدرك بالسمع أعم وأشمل، والمدرك بالبصر أتم وأكمل.

قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ [الملك:٢٣].

وقال تعالى: ﴿وَاللهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل:٧٨].

---

(١) أرقام في جسم الإنسان، ص٩٢-٩٩، ومعجم البيولوجيا المصور، ص٧٢ بتصرف واختصار.

(٢) مع الطب في القرآن الكريم، ص٥٣.

وقال أيضاً: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [الإنسان:٢].

وقال أيضاً: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالبَصَرَ وَالفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء:٣٦].

وهناك آيات كثيرة تتحدث عن قيمة السمع لما له من أهمية عظيمة في حياة الإنسان ويمكن أن نجمل ما تقوم به حاسة السمع في إطار.

المهام والوظائف التي تقوم بها حاسة السمع:

- استقبال الأصوات التي تصدر من حولنا للقيام بفهمها والتعامل معها وفق ما تقتضيه الأمور بصفة أن الأصوات هي طريقة للتفاهم مع البشر [١].
- تقوم الأذن بعمل عظيم إضافة إلى السمع، فهي تختص بحفظ توازن الإنسان في الرأس والأعضاء جميعاً عبر عصب التوازن المتصل بالمخيخ المسئول عن توازن الجسم"[٢]، لأجل ذلك ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ [الكهف:١١] بمعنى تم تعطيل حاسة السمع والاتزان في آنٍ واحد فنام أهل الكهف.

ومن بديع صنع الله:

أن الأذن التي هي وسيلة السمع محاطة بشعيرات تمنع مرور الأجسام الضارة إلى داخل الأذن، إضافة إلى ما تفرزه من مادة شمعية تسمى "الصُّمْلُوخ" تقوم بتزييت طبلة الأذن التي تستقبل الاهتزازات الصوتية، ومن عجائب هذه المادة طعمها المر الذي يحد من دخول الأجسام الضارة إلى داخل الأذن، وما يستدعي التفكر والتدبر، شكل صيوان الأذن وهذه التعرجات الموجودة عليها والتي تعمل على تجميع الأصوات ثم إدخالها إلى داخل الأذن [٣].

ومن الآيات التي تنطق بعظم العظيم، ما تحتويه الأذن من شبكة مترابطة من دهليز وممرات، وجدر، وحفر، وغرف، وفوهات، ومطرقة، وسندان، وشبكة الاتصال والتنظيم للعلاقات الموجودة داخل هذه الأذن، أمور تثير العجب والدهشة أمام دقة وعمل ونظام الأذن، في الوقت ذاته يوجد ثلاثون ألف خلية سمعية في كل أذن لنقل كافة أنواع الأصوات بمختلف اهتزازاتها، وشدتها بحساسية شديدة [٤].

---

(١) مع الطب في القرآن الكريم، ص ٥٣ بتصرف.

(٢) انظر: معجم البيولوجيا المصور، ص٨٦ بتصرف.

(٣) الطب محراب للإيمان، ص٢٠٠-٢٠٠٢، موسوعة الحواس، د. خليل كنش البدوي، ص٣٥ بتصرف واختصار.

(٤) أرقام في جسم الإنسان، ص١٦٧-١٧٠، مع الطب في القرآن الكريم، ص٤١ بتصرف واختصار.

ومن الأمور التي تستدعي وقفة تأمل في النَّفس البشرية، طريقة استقبال الأصوات التي تصدر من حولنا حيث يقوم صوان الأذن بتجميع هذه الأصوات، ثم يمر هذا الصوت عبر ممر خاص، ثم يكبر الصوت بداخل الأذن ليصل إلى حوالي عشرين إلى ثلاثين مرة، ولولا هذا التكبير لتلاشت الأصوات، ثم تنتقل هذه الأمواج الصوتية إلى الخلايا السمعية فتولد تيار عصبي يحمله العصب السمعي إلى مركز السمع في المُخ للتعامل معه، فيترجمها سمعاً (1).

هذا بعض يسير من أسرار هذا الجهاز وما خفي أعظم!!!

سبحانك اللهم وبحمدك

سبحان الله العظيم

الآية العاشرة: حاسة البصر:

ما في الإنسان من أسرار وعجائب، أذهلت العلماء ووقفوا أمامها عاجزين أمام عظمة الله وقدرته، ومن هذه الآيات المبهرة، العينان عضوا حاسة البصر.

تعتبر حاسة البصر من أهم حواس الإنسان، ولأهمية هذه الحاسة، حظيت بعناية الرحمن في العديد من الآيات منها:

قال تعالى في شأن النجاشي ومن معه حينما قُرئ عليهم القرآن حينما قدم عليه وفد الحبشة: ﴿... تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ...﴾ [المائدة:٨٣]، وقال في شأن يعقوب حين حزن على يوسف: ﴿... وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ ...﴾ [يوسف:٨٤]، وقال في شأن سحرة فرعون: ﴿قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ ...﴾ [الأعراف:١١٦]، وهناك آيات عديدة تشير إلى هذه الحاسة.

وحاسة البصر وما تحتويه من أعضاء، غاية في الإحكام والدقة والإتقان.

أهم المهام والوظائف للعينين:

* رؤية ما يحيط بالإنسان من كائنات ومخلوقات، والتفكر في هذا الخلق، وإعانة الإنسان على تكاليف هذه الحياة.

قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ...﴾ [العنكبوت:٢٠].

---

(1) معجم البيولوجيا المصور، ص٨٦، ٨٧ بتصرف واختصار.

قال تعالى: ﴿وَاللهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل:٧٨].

ومن بديع صنع الله:

إن الإحكام والإتقان، والدقة التي تحيط بحاسة البصر مدعاة لتوحيد الله والإخلاص له، فالعينان وما يحيط بهما من حاجبين يمنعان العرق من التسرب إليهما، ثم هذه الجفون المحاطة بالأهداب والتي بدورها تمنع الغبار والأجسام الضارة من الوصول للعينين، **ومن عظيم القدرة الإلهية** أن هذه الجفون تعمل بحركة لا إرادية، ثم هذا الدمع الذي يرطبهما ويغذي قرنية العين، إضافة إلى ما يحتويه من إنزيم "الليزوزيم" المطهر للعين، في الوقت نفسه ما يحتويه الدمع من أملاح**!!!** ماذا لو توقف الدمع أو لو كان طعمه حلو**؟!!**

وكذلك من عظيم قدرة الله تكوين العين والكيفية التي تعمل بها**!!!** فهناك ست عضلات تحرك العين، في حين أن هناك غشاء كبير من الأوعية الدموعية يغذي العين يدعى "المشيمة" وهناك أشكال عديدة من الخلايا البصرية في شبكية العين يبلغ عددها بالملايين، وتعمل كل خلية بصرية بمثابة كاميرا تصوير، بل هي دائمة الكفاءة؛ لأن فيلم الكاميرا، أو ذاكرتها تنتهي، ولكن شبكية العين فيلم يتجدد إلى ما لا نهاية، ويخرج من العين نصف مليون ليف عصبي ينقل الصورة بشكل ملون، إضافة إلى ما تحتويه من سائل هلامي جلاتيني يملأ تجويف العين الداخلي، ومن بديع صنع الله بؤبؤ العين وهي فتحة مستديرة وسط القزحية وهي التي تعطي العين اللون، وهذا البؤبؤ يعمل على التحكم بالأشعة الداخلة للعين وتركيزها، ففي حالة اشتداد الضوء يضيق البؤبؤ نتيجة لعملية تقلص عضلات القزحية، وفي حالة الضوء الخافت يتسع البؤبؤ نتيجة ارتخاء عضلات القزحية، وينتج عن هاتين العمليتين فرق في شدة الضوء، وما في تجميع الإشاعة وتكوين الصورة وتعديلها ما يجعل الإنسان يخر ساجداً لله، ثم ما تقوم به العينان من إطلاق نبضات عصبية إلى الدماغ عندما يثيرها الضوء المنبعث من الأجسام الخارجية، ومن ثمَّ كيف يعمل الدماغ إلى ترجمة النبضات لإنتاج الصورة، وما يحتويه مركز حاسة الإبصار في العين من مائة وثلاثين مليون مستقبلاً للضوء [1] كل هذه الجوانب آيات من آيات الله في خلق النَّفس البشرية تستدعي إعلان الولاء المطلق لرب البرية**!!!**

---

(١) موسوعة الحواس، ص٧-١٩، وأرقام في جسم الإنسان، ص١٧٧-١٨٦، ومعجم البيولوجيا المصور، ص٨٤، ٨٥ بتصرف واختصار.

الآية الحادية عشرة: حاسة الشم:

الأنف بما يحويه من أجزاء تمثل عضو حاسة الشَّم، وهو سمة جمالية جمل الله بها الإنسان، في الوقت ذاته فهو آية من آيات الله في الإنسان بتكوينه، وبطبيعة عمله، وبتناسقه وأداء وظائفه.

ويمكن إجمال المهام والوظائف للأنف فيما يلي:

* إنه العضو الذي يتم من خلاله اشتمام الروائح الطيارة المنبعثة من الأجسام والتعرف عليها، ففي الوقت الذي لا تستطيع الحواس الأخرى إدراك ماهية الأشياء يستطيع الأنف تحديد ماهية هذه الأشياء، فعلى سبيل المثال: لا تستطيع العين تحديد آثار نار أو غاز محيط بنا، يستطع الأنف إعطاء حالة من الحيطة والحذر لهذا الجسم، أو المادة.

* المشاركة في عملية مخارج الجوف والأصوات [(١)].

وفي إشارة من الله لهذه الحاسة، قال تعالى على لسان يعقوب عليه السلام حينما اشتم رائحة ابنه يوسف عليه السلام قال: ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ العِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾ [يوسف:٩٤] .

أما النبي ﷺ فبين طبيعة هذه الحاسة في شم ما هو طيب أو ما هو غير ذلك قال ﷺ: **(مثل الجليس الصالح والجليس السُّوء كمثل صاحب المسك وكيرِ الحداد: لا تعدمُكَ من صاحب المسكِ إما تشتريه أو تجد ريحهُ، وكيرُ الحداد يحرق بيتك أو ثوبكَ أو تجدُ منه ريحاً خبيثةً)** [(٢)].

في الحديث إشارة إلى الفارق بين أن تشتم رائحة طيبة ورائحة دون ذلك، والشم يكون عَبْر حاسة الشم التي منحنا الله إياها للقيام بأمور الحياة والعون عليها.

ومن بديع صنع الله:

يحتوي الأنف على خلايا شمية معقدة التركيب، متنوعة التكوين شديدة الحساسية في التقاط الروائح وتمييز الأنواع بما تظهر من نكهة، وما يُشم منها من رائحة، ويستشعر الإنسان عظم الخالق وبديع صنعه حينما ينظر إلى كيفية الشم، حيث إن جزيئات المواد المختلفة المنتشرة بالهواء الجوي تختلط وتُستَنْشَق مع الهواء عبر الأنف، ويقابل هذا الهواء الجزء العلوي من الغشاء المخاطي المبطن للأنف والذي يحتوي على خلايا خاصة بالشم، فيحدث تفاعل بين جزيئات المواد المختلفة الموجودة بالهواء وبين خلايا الشم الموجودة بالغشاء المخاطي المبطن للأنف، ويتبع ذلك تفاعل بينهما، ومن ثمَّ إرسال إشارات عن طريق الأعصاب الخاصة بالشم الموجودة به، ومنها إلى

---

(١) انظر: موسوعة الحواس، ص٤٣ بتصرف.

(٢) صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب في العطار وبيع المسك، ص ٤٣٢، حديث رقم (٢١٠١).

قشرة المخ الخاصة بالشم، والتي بدورها تُنبِّه إلى هذه الرائحة، علماً بأن الخلايا الشمية هي خلايا كيماوية "بمعنى أنها تتفاعل مع الروائح" توجد بالغشاء المخاطي المبطن للأنف بثلثه العلوي، وتبلغ مساحة هذا الجزء من الغشاء المخاطي حوالي خمسة سنتيمتر مربعة، ويوجد به ما يقارب من عشرين مليون خلية شمية، كما يوجد بين هذه الخلايا الشمية خلايا أخرى لإفراز المخاط اللازم لترطيب الأنف وإذابة الجزيئات المتطايرة من المواد المختلفة، وتمتد محاور عصبية خاصة بحاسة الشم من هذه الخلايا إلى البُصيلتين الشميتين بالمخ خلال الجزء الأمامي من عظمة الجمجمة وتعرف بالعظمة "الغِرباليَّة" وهذه الخلايا تعمل بدقة وإحكام، فلم تكن لتوجد إلا لمقصد وغاية وهدف حدده صاحب العلم والحكمة المطلقة، وتشترك الرائحة في إثارة الشهية للطعام وتحريك الدوافع الجنسية، ولكي يستطيع الأنف القيام بعملية الشم، لا بد أن تكون المادة التي تُشم قابلة للذوبان في الماء أو الزيوت، وكذلك لا بد أن تصل جزيئات هذه المادة إلى أهداب الخلايا الشمية، وهذه الروائح منها الكافور، أو المسك، أو الزهور، والنعناع، أو الأثير، والروائح النفاذة، ورائحة العفن، وتعتبر حاسة الشَّم عند الإنسان أقوى بعشرة آلاف مرة من حاسة الذوق (1).

سبحان من خلق الإنسان فحسَّنه وجمَّله وجعله آية من آيات الكون.

الآية الثانية عشرة: الهيكل العظمي:

بوقفة تأمل أمام جسم الإنسان، وما أودعه الله من أسرار بديعه، والهيكل العظمي واحد منها، فقد وقف العلماء حائرين أمام عظم هذا البناء المعجز في تكوينه، وشكله، وتركيبه، وكيفية نشوئه!!!

قال تعالى: ﴿هَذَا خَلْقُ اللهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ...﴾ [لقمان:11] ، وللكشف عن عظم الهيكل العظمي، أبان الله عن عظيم قدرته في مواضع عديدة منها: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا العَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا المُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا العِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون:12-14] .

وفي موضع آخر قال تعالى: ﴿... وَانْظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ...﴾ [البقرة:259] ، ذكر ابن كثير قراءة "ننشزها" بالزاي وقراءة بالراء "ننشرها" وعلى هذا يكون المعنى على القراءة الأولى: انظر إلى العظام كيف نرفعها ونركبُ بعضها على بعض.

---

(1) انظر: موسوعة الحواس، ص43-52 بتصرف .

وعلى القراءة الأخرى: انظر إلى العظام كيف نحييها [1]، وكلا المعنيين يشيران إلى عظمة الله وقدرته خصوصاً أن الآية تنتهي بقوله تعالى: ﴿... أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:٢٥٩].

وقال تعالى في موضع آخر مدللاً على كمال قدرته وعظمته: ﴿أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ * بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾ [القيامة:٣-٤] .

تكشف هذه الآيات عن سر من الأسرار الدفينة في النَّفس البشرية حيث يشير الله إلى قدرته المطلقة ليس فقط بجمع العظام البالية بإعادتها كما كانت عليه قبل الموت، بل بقدرة الله على تسوية بنان الإنسان "أطراف أصابعه" تشكيلة في أدق صورة كان عليها قبل موته، وهذا سر من أسرار القرآن التي جاء العلم الحديث ليكشف عنها، مبيناً أن لكل إنسان بصمة خاصة متفرد بها عن الخلق، فلا يمكن على الإطلاق أن تتشابه بصمتا شخصين، وهذا ما جعل الحكومات تتعرف على هوية اللصوص والأشخاص من خلال هذه البصمات [2].

وتتكشف قيمة وعظمة الهيكل العظمي من خلال **المهام والوظائف التي يقوم بها هذا الجهاز والتي من أهمها:**

* يقوم الهيكل العظمي الذي يتكون من ثمانٍ ومائتي عظمة؛ (تزن ما بين سبعة إلى ثمانية كيلوغرامات) بعملية شد لجسم الإنسان وإعطائه الشكل والقوام والدعامة.

* تشكل العظام أعضاء الحركة للإنسان بمساعدة العضلات.

* تعد العظام المصنع الحصين الذي بداخله يُصنع الدم.

* يقوم الهيكل العظمي بحماية الأعضاء والأجهزة في جسم الإنسان كالدماغ والنخاع الشوكي والقلب والرئتين والأحشاء.

* تقوم العظام بتخزين الكالسيوم وبعض الدهون التي يحتاجها الجسم.

* تقوم العظام بإنتاج بعض الكريمات التي يستفيد منها الجسم [3].

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، م١، ص٣٢٢.

(٢) دروة حياة الإنسان بين العلم والقرآن، ص١٩٢، ١٩٣ بتصرف.

(٣) انظر: أرقام في جسم الإنسان، ص١٠٧-١١٥، معجم البيولوجيا المصور، ص٥٠-٥٣، بيولوجيا الإنسان، ص٢٤٧-٢٤٩ بتصرف واختصار.

من بديع صنع الله:

اقتضت حكمة الله البالغة أن تكون أجسام البشر مختلفة في أشكالها، مترابطة في أجزائها بما يعطيها المرونة، والحركة، والقوة في العمل، والسرعة في الاستجابة، وهذا الترابط بين أجزاء الجسم المتمثل في الهيكل العظمي بين العظام بعضها ببعض بواسطة المفاصل، والغضاريف، التي تعتبر كالوسادة بين الفقرات والمفاصل، وتعد المفاصل آية في الصنع، والدقة، والتركيب، وتأخذ أشكالاً عديدة، فمنها ما يربط عظام الساق، ومنها ما يربط عظام الأقدام، وغير ذلك من العظام في جسم الإنسان، ومن المفاصل ما هو ثابت غير متحرك، ومنها المتحرك الذي يُكسب الجسم الحركة في اتجاهات معينة. ومن الآيات التي تستدعي التأمل والتبصر والاعتبار، المادة الزيتية اللزجة التي توجد بين المفاصل كمفاصل القدم على سبيل المثال والتي تدلل على قيام الجسم بذاته من جميع الجوانب بناء، وإنشاء، وصيانة، ودفاع، وإعداد، وإفناء، إنها وحدة الوجود المتمثل في وحدة الإنسان [(١)]، حقاً إننا أمام آية من آيات النَّفس البشرية.

الآية الثالثة عشرة: العضلات:

إذا كانت العظام قوام الجسم، فعليها تشتغل العضلات [(٢)]، والعضلات لحم لا يقوم وحده، فهي أشبه بالألبسة للعظام، وعندما يموت الإنسان يتمزق هذا اللباس وتبقى العظام مدة طويلة حتى تتلاشى، وبرغم أن العظام قوام الجسم إلا أنها لا تستطيع الحركة بلا عضلات، فما من عضو أو جهاز إلا ويتحرك وفق عضلات تتحكم فيه، وهذه العضلات قد تكون إرادية يتحكم فيها الإنسان بفعل واعٍ، (كعضلات اليد والقدمين واللسان وغير ذلك)، وقد تكون لا إرادية لا تخضع للتحكم المقصود، مثل عضلة القلب.

وقد ذكر الله لحم الإنسان "العضلات" في مواضع عديدة منها:

* قال تعالى في إشارة لمرحلة من مراحل خلق الإنسان: ﴿ ...**فَكَسَوْنَا العِظَامَ لَحْمًا** ...﴾ [المؤمنون:١٤]، وقال أيضاً في شأن "عزير" في إشارة حية مُشاهدة لتركيب العظام وإحيائها بعد الموت: ﴿... وَانْظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا...﴾ [البقرة:٢٥٩] .

* وقال في شأن الذي يستغيب أخيه فكأنه يأكل لحمه ميتاً: ﴿... وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ...﴾ [الحجرات:١٢] .

---

(١) بيولوجيا الإنسان، ص٢٤٧-٢٥٨، وفي أنفسكم أفلا تبصرون، م١، ص٩١-٩٤ بتصرف واختصار.

(٢) العضلة: عبارة عن مجموعة من الخلايا العضلية المكونة من خيوط متوازنة في محور الخلية ومجمعة داخل الخلية على شكل رزم اسطوانية، ويختلف عدد الخيوط من خلية لأخرى. انظر: أرقام في جسم الإنسان، ص١١٧.

ولمزيد من معرفة قيمة وأهمية العضلات في جسم الإنسان نذكر **أهم المهام والوظائف التي تقوم بها العضلات:**

* تقوم العضلات بدور مهم في جسم الإنسان فهي تعطي الجسم القدرة على الحركة والتنقل من مكان إلى آخر.

* تقوم العضلات بإمداد الجسم بالطاقة اللازمة.

* تعطي العضلات الجسم القوام المتناسق والهيئة الحسنة.

* تقوم العضلات بشد المفاصل والعظام وتنظيم الحركة [(١)].

ومن بديع صنع الله:

الأزواج المتعاكسة أو "العضلات المتضادة" آية من آيات الله في النَّفس البشرية، فكل زوج من هذه العضلات يقوم بفعلين متعاكسين؛ ففي حين تتقلص [(٢)] إحدى العضلتين ترتخي الأخرى وهذا من بديع صنع الله فلو تقلصت كلتا العضلتين لحصل تشنج وشلل لهما؛ وبهذا التقلص والارتخاء تتم الحركة أو الانتقال من مكان لآخر، وكل عضلة تتناسب من حيث الشكل والحجم والقوة مع المكان والعضو الذي تتحكم فيه، وبالتالي عضلة الوجه تختلف عن عضلة الساق، تختلف عن عضلة القلب، وتنبَّه معظم العضلات بواسطة نبضات تسببها الأعصاب حيث تنتهي ألياف الخلية العصبية التي تحمل التعليمات بألياف عضلية فتعمل هذه التعليمات على تقلص العضلة ومن ثمَّ ترتخي العضلة المقابلة لها وترسل نبضات إلى الدماغ تخبره بالحالة الجديدة [(٣)].

وبالنظر إلى الإشارات "النبضات" التي ترسل إلى العضلة في الجهاز العصبي المركزي حيث يوجد في نهاية الخلية العصبية جيوب صغيرة تحتوي على جزيئات "الإساتيلكولين"، وعند وصل النبضات يفرز الجيب المادة المذكورة، والتي بدورها تحرك مواد أخرى تعمل على نطاق العضلات؛ مما يؤدي إلى إحداث بعض التفاعلات في الخيوط العضلية، وهي بدورها تعمل على انزلاق الخيوط العضلية. وبعملية متتابعة من فصل بعض المواد المحفزة التي تفرز في العضلة وانفصالها، تحدث عملية التقلص والاسترخاء للعضلة والذي يعبر عنه بالحركة أو التنقل

---

(١) بيولوجيا الإنسان، ص٨٥ بتصرف.

(٢) التقلص هو نقص في طول العضلة وازدياد في قطرها في قسمها الأوسط، ويحصل هذا التقلص عندما يصل العضلة نبضات عصبية تشعرها بالدور الملقى عليها ومن خصائص هذه العضلات المرونة التي تمكنها من الاستطالة إذا شدت ثم العودة إلى طولها الأصلي إذا توقف الشد، انظر: وفي أنفسكم أفلا تبصرون، ج١، ص١١١.

(٣) معجم البيولوجيا المصور، ص٥٤، ٥٥ بتصرف واختصار.

من مكان لآخر [١].

بوقفة تدبر وتفكر واعتبار كيف تفرز هذه المواد وبالكمية والمقدار والوقت المناسب، من الذي ألهم هذا الجهاز العصبي المركزي إلى كيفية العمل والإدارة والتخطيط من الذي علمه، من الذي أرشده، إنه الله!!!

الآية الرابعة عشرة: الجلد:

كلما أمعنا النظر في أجهزة الإنسان وأعضائه، كلما ازددنا إيماناً ويقيناً بقدرة الله وعظمته، وما يزيدنا إدراكاً لعظمة الخالق ﷻ ما خلقه الله في الإنسان من الجلد!!!

ولِمَا للجلد من أهمية في تكوين الإنسان فإن هناك مواضع عديدة في كتاب الله تتحدث عنه، قال تعالى في شأن الذين كفروا يوم القيامة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا العَذَابَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء:٥٦] ، تبين هذه الآية شدة العذاب الواقع على الكافر، وذلك من خلال نضج الجلود الذي هو كناية عن شدة العذاب لأن النضج هو بلوغ الشيء نهايته، فسرعان ما يُبدل الله الكافر جلداً آخر غير الذي نضج وذلك لأن الجد أكثر مناطق الجسم إحساساً، فيكون المقصود من ذلك دوام العذاب على الكافر [٢].

ويرى العلماء أن الجلد هو موطن الإحساس بالألم رغم أنه خفيف رقيق، فالجلد يتخلله شبكة رقيقة من عصب الإحساس المترابط بالمخ مما يترتب عليه قوة الإحساس الذي يصل تأثيره إلى الجهاز المركزي بأقصى سرعة ممكنة [٣].

وفي آية أخرى قال تعالى: ﴿... يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الحَمِيمُ * يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالجُلُودُ﴾ [الحج:١٩-٢٠] ، وتؤكد هذه الآية مرة أخرى مدى حساسية الجلود بالنسبة للإنسان الكافر فهي تحظى بقسط كبير من العذاب، فيبين الله أن الكافرين يوم القيامة يصب من فوق رؤوسهم الحميم أي: "الماء الحار الذي هو في غاية الحرارة"، قال سعيد بن جبير: هو النحاس المذاب (يصهر به) أي يذاب به أي بالحميم "ما في بطونهم والجلود" أي يذيب أمعاءهم وأحشاءهم كما يذيب جلودهم فيؤثر في الظاهر والباطن [٤].

---

(١) انظر: أرقام في جسم الإنسان، ص١٢١.

(٢) التفسير الوسيط للقرآن، م٣، ص٢٤٣ بتصرف.

(٣) وفي أنفسكم أفلا تبصرون، ص٤٤١.

(٤) الأساس في التفسير، م٧، ص٣٥٣٩.

فهذه الآيات تبين حقيقة علمية فحواها أن الجلد يحتوي على خلايا حسية تنقل الإحساس من الجلد إلى المخ، وهذا الجلد هو أكثر الأجزاء في الجسم احتواءً على الخلايا الحسية لأجل ذلك فهو أكثر الأعضاء التي تحس، لذا جاء النص القرآن مبيناً أن هذه الجلود كلما نضجت بدل الله الكافرين غيرها ليذوقوا العذاب.

وتتكشف عظمة الله وقدرته في خلق هذا الجلد حينما تتبين المهام والوظائف التي يقوم بها الجلد والتي منها:

* أن هذا الجلد يقوم بمهمة عظيمة يوم القيامة أبانها الله في كتابه حيث يقول: ﴿حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [فصِّلت:٢٠-٢١].

قال السَّعدي في تفسير هذه الآيات: حتى إذا وردوا على النَّار، وأرادوا الإنكار، أو أنكروا ما عملوه من المعاصي "شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم" عموم بعد خصوص "بما كانوا يعملون" أي يشهد كل عضو من أعضائهم، فكل عضو يقول أنا فعلتُ كذا وكذا، يوم كذا وكذا، وخص هذه الأعضاء الثلاثة؛ لأن أكثر الذنوب إنما يقع بها أو بسببها، فإذا شهدت عليهم عاتبوها "وقالوا لجلودهم" هذا دليل على أن الشهادة تقع من كل عضو "لم شهدتم علينا" ونحن ندافع عنكن؟ "قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء" فليس في إمكاننا، الامتناع عن الشهادة، حين أنطقنا الذي لا يستعصي شيء على مشيئته "وهو خلقكم أول مرة" فكما خلقكم بذواتكم، وأجسامكم، خلق أيضاً صفاتكم، ومن ذلك الإنطاق "وإليه ترجعون" في الآخرة فيجزيكم بما عملتم (١).

ومن الآيات التي اكتشفها العلماء:

* أنه يوجد في كل عضو في جسم الإنسان خلايا ذاكرة، تستطيع تخزين المعلومات، وخلايا الجلد فيها أطول ذاكرة في جسم الإنسان، كون أن أكبر مساحة للجسم هي مساحة الجلد، وتخرج هذه المعلومات يوم القيامة من الجلد لتشهد عليه وعلى بقية الأعضاء، وهذا ما يشير ويؤكد على ما أكده القرآن الكريم قبل ألف وأربعمائة عام ونيف، هذا خلق الله !! (٢).

* ثم أبان الله عن خِصِّيصَة أخرى للجلد وهي أنها تلين لذكر الله كما تلين القلوب قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ الله أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ

---

(١) تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص٦٨٨، ٦٨٩.

(٢) لقاء وجاهي مع أ.د. ماجد محمد ياسين، الساعة ١:٣٠-٢٠١٢/٩/٢٦م، الجامعة الإسلامية – غزة.

وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللهِ ذَلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزُّمر:٢٢-٢٣].

في الآية إشارة إلى من شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه، ومن هو أعمى القلب لا يرى الحق والهدى فهو في ضلال مبين، في حين أن الله أنزل كتاباً بليغاً فصيحاً يصدق بعضه بعضاً، ويشبه بعضه بعضاً، بدون تعارض ولا تضاد وتناقض، فيه من المواعظ والعبر، فإذا سمع به المؤمنون تعتريهم خشية وقشعريرة لجلودهم عند تلاوته من خوفهم من الله، ثم تلين جلودهم فتطمئن وتسكن قلوبهم، فهذا القرآن هذا صفته، يهدي به من شاء من خلقه، ومن يخذله يجعل قلبه قاسية [١].

وهذا ما أثبته العلم الحديث بأن خلايا الجلد تستجيب للموجات الصوتية [٢].

ومن المهام والوظائف الأخرى للجلد:

* يعتبر الجلد بمثابة خط الدفاع الأول عن الجسم من الأعداء.

* يقوم الجلد بما يحتويه من شبكة دقيقة من عصب الإحساس المترابط بالمخ بمثابة مستقبل للإحساس عند الاتصال بين الأشياء، فيرسل نبضات إلى الدماغ للتعامل مع الحدث.

* يقوم الجلد بعملية حماية لأنسجة الجسم من الجفاف وحفظها من التلف.

* يمنع الجلد من فقدان السوائل فهو يمثل طبقة واقية للأنسجة.

* يمنح الجلد الجسم قواماً حسناً جميلاً، فلكلٍ لون وقوام خاص، فلن نجد على الإطلاق اثنين نسخة واحدة في لونهما وقوامهما.

* يقوم الجلد بإنتاج بعض الفيتامينات مثل فيتامين "د" بفعل الأشعة فوق البنفسجية، والذي يحافظ على قوة العظام وسلامتها.

* يقوم الجلد بتخزين الدهون، وإفرازها على الجلد فيطريه وينعمه ويمنعه من التشقق، فلولا هذه المادة لفني الإنسان.

* يقوم الجلد بمثابة جهاز تكييف صيفاً وشتاءً؛ من خلال الغدد العرقية.

* يقوم الجلد بتخليص الجسم من بعض المواد الضارة التي تخرج على شكل عرق.

* يقوم الجلد بعملية اللمس والتحسس والضغط[٣].

---

(١) صفوة التفاسير، الشيخ محمد علي الصابوني، م٣، ص٧٦، ٧٧ بتصرف.

(٢) لقاء وجاهي مع أ.د. ماجد محمد ياسين ٢٠١٣/٥/٢٥م ، الجامعة الإسلامية – غزة.

(٣) بيولوجيا الإنسان، ص١٩٥، موسوعة الحواس، ص٥٥-٦٠، ومعجم البيولوجيا المصور، ص٨٢، ٨٣ بتصرف واختصار.

ومن بديع صنع الله:

أن الجلد بمنزلة التربة الخصبة، إذ يغطيه الشعر، فهو يحتوي من أربعين إلى أكثر من ثمانمائة شعرة لكل سنتيمتر مربع، وكل شعرة لها عضلات تثبتها، وشعيرات دموية تغذيها، في حين تبلغ مساحة سطح الجلد في الإنسان العادي حوال ثمانية عشر قدماً مربعاً (١).

كما أن الجلد يعتبر جهاز تكييف من طراز فريد مُعجز بما يحويه من غُدد عَرَقيّة، حيث يوجد من خمسة إلى خمسة عشر مليون مكيف "غدد عرقية" وتقوم هذه الغدد بتخليص الجسم من حرارته الزائدة بواسطة عملية التبخر، حيث تفرز هذه الغدد ماء "عرق" يحتوي على بعض المواد الضارة للجسم، وهذا العرق يحتاج إلى درجة حرارة لكي يتبخر، فيأخذها من حرارة الجسم والتي بدورها تعمل على تلطيف درجة حرارة الجسم (٢)، وتتوزع هذه الغدد على أماكن عديدة من جسم الإنسان، **ومن حكمة الله** أن هذه الغدد تنشط صيفاً وعند القيام بمجهود عضلي، وهذا ما يتطلب تلطيف لدرجة حرارة الجسم.

سبحان الله ﴿... أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللهُ ...﴾ [البقرة:١٤٠].

الآية الخامسة عشرة: الغدد الصماء:

الجسم البشري فيه أعمق الأسرار، وأغرب الأعمال، فيه قدرة رهيبة، وحكمة بالغة؛ ترعاها وتوجهها وتحيطها العناية الربانية، ومن هذه الأسرار، الهرمونات (٣) التي تفرز في الدم مباشرة من قبل الغدد الصَّمَّاء، دون الحاجة إلى قناة وتسمى "رُسل" وهي صلة الوصل بين مختلف الأعضاء، وتؤثر على كافة خلايا الجسم وتساهم في تأدية وظائفها "وظائف الخلايا"، وهذه الغدد يكمل بعضها بعضاً بهدف المحافظة على وحدة الجسم وانسجام نشاطه، في حين أن من الهرمونات ما يؤثر على كل خلايا الجسم، نجد أن هناك هرمونات تؤثر على أجزاء خاصة من الجسم، وهناك جزء خاص من الدماغ هو الضابط الرئيسي في عمليات إنتاج الهرمونات (٤).

---

(١) وفي أنفسكم أفلا تبصرون، ص٤٤٣ بتصرف.

(٢) مع الطب في القرآن الكريم، ص٤٠، والطب محراب الإيمان، ج٢، ص٣٠٢ بتصرف.

(٣) عبارة عن مواد كيماوية تنتقل عبر الدم من غدة إلى أخرى أو من غدة إلى بقية الجسم وتؤثر فيه تأثيراً شديداً... وهذه المواد توزن بالنانا جرام "واحد على بليون من الجرام" والميكروجرام "واحد على مليون من الجرام" فهي كمية ضئيلة جداً جداً ولكنها برغم ضالتها وحقارة وزنها فهي ذات تأثير خطير جداً، فإن أقل خلل في أي منها قد يسبب الموت أو التشوه الخَلقي والعقلي أو القصور الجسمي والجنسي والنَّفسي، انظر: مع الطب في القرآن الكريم، ص٤٩.

(٤) أرقام في جسم الإنسان، ص١٩٣ بتصرف.

ولبيان أهمية ومكانة وعمل الغدد الصَّمَّاء فهذه أهم المهام والوظائف وعمل الهرمونات:

* العمل على تنسيق وظائف الجسم والتحكم فيه وإحداث توازن في وظائفه.

* العمل على بناء الخلايا والأنسجة في الجسم.

* العمل على نمو الجسم.

* تقوية جهاز المناعة في جسم الإنسان.

* تنشيط وتقوية العمل الذهني عند الإنسان.

* العمل على حماية الجسم من الأمراض والأعداء والأوبئة.

* العمل على حفظ النوع الإنساني من خلال عملية التكاثر.

* العمل على الحفاظ على النسبة الطبيعية في مكونات الأعضاء والخلايا في جسم الإنسان.

* العمل على تخزين بعض المواد الغذائية والاستفادة منها وقت الحاجة.

*العمل على تكوين بعض الكريمات للجسم.

* العمل على الاستجابة لتغيرات بيئة الجسم من جفاف، جوع، وعطش.

* القيام بعملية الهندسة والتصميم والدهانات، والحليب والولادة والتغذية، والهضم والتنفس وتقليص العضلات، وضخ الدم وثبوت درجة الحرارة للجسم، وحفظ الضغط والذكورة والأنوثة، والسعادة والاكتئاب والفرح والسرور والحزن والضحك والبكاء ... [١].

ومن بديع صنع الله:

برغم عظم تأثير هذه الهرمونات إلا أن هذه الغدد مجتمعة تزن أقل من نصف كيلو غرام[٢]، علماً أن غدد مجاورات الدرق تزن مائة مليغرام أي جزء من عشرة من الغرام، والغدة النخامية ملكة الغدد تزن نصف غرام، والكظر سبعة غرامات، والمبيض عشرة غرامات، والدرق عشرين غراماً، والكبد خمسمائة وألف غرام، وهو أكبر غدة في جسم الإنسان [٣].

هذه بعض من السر المكنون في النَّفس البشرية وما خفي أعظم ولا يعلمه **إلا الله، أأنتم أعلم أم الله!!!**

---

(١) بيولوجيا الإنسان، ص٢٩٧-٣١٩، والطب محراب الإيمان، ج٢، ص١٧٨-١٨٨، وأرقام في جسم الإنسان، ص١٩٣-٢١٠ بتصرف واختصار.

(٢) بيولوجيا الإنسان، ص٢٩٨.

(٣) الطب محراب الإيمان، ج٢، ص١٧٨.

الآية السادسة عشرة: الكبد:

سنتحدث عن الكبد بصفته أكبر غدة في جسم الإنسان، وفي إشارة من النبي ﷺ لبيان حقيقة الكبد كونه يحتوي على كمية كبيرة من الدم، فأطلق عليه ﷺ لفظ الدم من باب المجاز لا الحقيقة، فعن عبد الله بن عمر، أن النبي ﷺ قال: **(أُحلت لكم ميتتان ودمان، فأما الميتتان فالحوت والجراد، وأما الدمان فالكبد والطحال)** [(١)].

ولمعرفة حقيقة هذا العضو، لابد أن نتعرف على المهام والوظائف التي يقوم بها هذا العضو والتي تبلغ مئات الوظائف نذكر بعضاً منها!!!

أهم الوظائف والمهام التي يقوم بها الكبد:

عمل ووظائف الكبد؛ تجعل الإنسان لا يسعه إلا أن يخر ساجداً لخالق الخلق، حيث يعتبر أكبر غدة في جسم الإنسان، فيزن ما يقارب كيلو ونصف الكيلوجرام.

* وهو أكبر مستودع في جسم الإنسان لتخزين الدسم، والسكريات، والبروتينات، والفيتامينات.
* فهو مصنع إنتاج كريات الدم الحمراء "في الحياة الجنينية".
* فهو مصنع لإنتاج بعض الخمائر والعصارات التي تعمل على هضم الطعام.
* يزود الجسم بالمواد المضادة للجراثيم.
* يلعب الكبد دوراً هاماً في إنتاج الكريمات التي يحتاجها الجسم بما يوفره من المواد الفعالة له في إنتاج الكريمات التي يقوم الطحال والنخاع العظمي بإنتاجها.
* يعد جهاز فلترة وتنقية للدم، حيث يرده مئات الألتار من الدم فيقوم بتخليص الشوائب والسموم من الجسم.
* يحافظ على معدل ثابت للشحوم بالدم [(٢)].

من بديع صنع الله:

ما يحتاجه الجسم وقت الحاجة من المواد السكرية وغيرها من المواد المخزونة فيه، وتكمن آلية عمل الكبد في تخزين السكر، في أنه يجففه بطريقته الخاصة ويخزنه على شكل غليكوجين، وحين يحتاجه الجسم يحوله إلى سكر الجلوكوز الشكل الملائم للطاقة والحرق.

---

(١) رواه ابن ماجه في سننه، ج٢، ص١١٠٢، حديث رقم (٣٣١٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته، م١، ص١٠٢.

(٢) الطب محراب الإيمان، ج٢، ص١٧١-١٧٧، وعلم النسيج الجزء النظري، ص ٢٨٦، ٢٨٧، وأرقام في جسم الإنسان، ص ٤٨-٥٢ بتصرف واختصار.

وتوجد في الكبد ثلاثمائة مليار خلية، يمر فيها مائتان وألف سنتيمتر مكعب من الدم في الدقيقة الواحدة، كما يقوم الكبد بإتلاف خلايا الدم الحمراء المسنة، كما يساهم في إنتاج مادة التخثر خارج الأوعية الدموية، كما يخزن الكبد عنصر الحديد الذي يدخل في صناعة الدم، كما أنه يفرز العصارة الصفراوية التي تعمل على هضم الطعام وامتصاصه، وخصوصاً المواد الدهنية [١].

الآية السابعة عشرة: الطحال (مقبرة الجسم):

عند الحديث عن الطحال، نستحضر وحدة الجسم المتكامل في أجهزته وأعضائه، وأداء عمله ووظائفه، والذي يتكشف من خلال ما يقوم به الطحال من عمل متكامل للجسم، في الوقت ذاته يبلغ وزنه حوالي سبعين ومائة غرام، وحجمه قدر قبضة اليد، وطوله ما يقرب خمسة عشر سنتيمتر.

أهم المهام والوظائف التي يقوم بها الطحال:

* يساهم في صناعة كريات الدم الحمراء عند الجنين أثناء فترة الحمل، ويتوقف عن هذه المهمة بعد الولادة ليتولى نخاع العظام هذه المهمة، ويبقى الطحال كعضو احتياطي عند عجز نخاع العظام.

* يعتبر مخزناً للدم عند الحاجة.

* يحتوي على خلايا بالعة تقوم بالتهام الجراثيم والشوائب الموجودة في الدم.

* يعمل الطحال بمثابة المقبرة للجسم حيث يقوم بقبر الخلايا الدموية الحمراء التالفة ويحطمها، ويعمل على الاستفادة من مكوناتها ليستعملها الكبد في صنع الصفراء، أما الحديد الناتج عن التكسير والتحطيم فيستخدم في صنع مادة الهيموغلوبين.

ومن بديع صنع الله:

يحاط هذه الطحال بكبسولة مرنة تحفظه وتحميه، تتناسب ومكانة وطبيعة عمله، ويمتد في الطحال حواجز متنوعة تقسم الطحال إلى عدد كبير من الفصوص، ويحتوي الطحال على أوعية دموية وليمفاوية وأعصاب، وفي داخل الطحال تكون الأجسام المضادة، ومن ثمّ يدفع بها إلى أجهزة الجسم الدفاعية، وهناك خلايا خاصة لاصطياد الأجسام الغريبة داخل الدم وطردها خارج الجسم [٢].

---

(١) انظر: أرقام في جسم الإنسان، ص٥٠-٥٢ باختصار.

(٢) جسم الإنسان: دراسة خاصة في التشريح ووظائف الأعضاء، أحمد محمد محمد درباس، ص ٩٨، وموسوعة جسم الإنسان، زينب منصور حبيب، ص ١٠٤، ١٠٥ بتصرف واختصار.

﴿هَذَا خَلْقُ اللهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [لقمان:١١].

سيُكتفَى بهذه الآيات التي ذكرت، علماً بأن هناك آيات عديدة منها ما عرفنا بعضاً من أسرارها، ومنها الكثير الكثير التي نجهل سره وحكمته في هذه النَّفس البشرية التي تعتبر آية من آيات الله في هذا الكون.

المطلب الثالث: آثار القدرة الإلهية في خلق النَّفس البشرية:

خلق الإنسان آية من آيات الله تنطق بلسان الحق، وتدلل على عظمة الله وقدرته، وكلما تكشفت أسرار النَّفس الإنسانية كلما ازدادت معرفة الإنسان بقدرة الله وعظمته، فكل شيء في الإنسان آية تشهد بعظمة الله وقدرته وسعة علمه، قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التِّين:٤]، وقال أيضاً: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ [السجدة:٧].

الإنسان مخلوق ينطق كل جزء فيه بالوحدانية:

ما من شيء في الإنسان إلا وأحسن الله خلقه، وأتقنه، بالنظر إلى العين، وكيفية الإبصار، والسمع، وكيفية السمع، والقلب، وكيفية عمله، والأنف، وكيفية الشم، واللسان، والأسنان، والغدد اللعابية، وتقطيع الطعام، وتقليبه، وتبليله باللعاب، وتحليله لبعض أنواع الأغذية، ثم طريقة سيره في المريء، ثم المعدة، وكيفية إفراز العصارات عليه، وكيفية هضمه، وامتصاصه، وخروج الفضلات، وكيفية عمل الكبد، والطحال، والبنكرياس، والغدد بجميع أنواعها، وكيفية عملها ومدى تأثير إفرازها، وسريان الدم في الشرايين، والأوردة، والشعيرات الدموية، وعملية التنفس وكيفيتها، وعملية احتراق المواد الغذائية في الخلية، وتوليد الطاقة منها، وبالنظر إلى أعظم ما خلقه الله في الإنسان؟!! ألا وهو العقل الذي يُعد بمثابة مركز القيادة للجسم كله.

هذا الخالق خلق الإنسان متكاملاً في أجهزته وأعضائه، كل عضو له عمل خاص موكل إليه، والكل يدين للآخر متحرراً من الذاتية (الأنا)، في حين لا يستغني عضو عن آخر، فلا الجهاز الدوري يقول للجهاز التنفسي دعني وشأني، ولا الجهاز الهضمي يقول للجهاز الإخراجي دعني أتحرر من أسرك، فالكل يعمل لأجل الكل، وهذه آية من آيات الله تنطق بوحدة الإنسان، ومن ثم بوحدة الخالق، وكأن كل خلية من خلايا الإنسان تقول: لا إله إلا الله !!!

المنح الربانية تقتضي الإخلاص والعبودية:

منح الله على الإنسان لا تعد ولا تحصى، مما تستدعي أن يوقف أمامها وقفة خلوص لله، تأسر كل عضو من أعضائه، لتسكن في كل خلية من خلاياه فلا تنطق إلا بذكر الله، ولا تحيا

إلا على بلسم عطائه، ولا تزهو إلا بنوره، ولا تسعى إلا إلى الأنس بجواره لتشدو وتسعد بمحبته، وتخشى غضبه!!

إن منح الله لا تقدر بثمن قد ملكك الله إياها، وهذا يستدعي التعرف على حقيقتها، مما يترتب على معرفتها معرفة الله المنعم المتفضل.

وفي صورة لبيان عظم هذه المنح التي لا تقدر بثمن بين النبي ﷺ عظمها على العباد، حيث يقول ﷺ: **(من أصبح آمناً في سربه** [١] **معافى في بدنه، عنده قوت يومه ، فكأنما حيزت**[٢] **له الدنيا بحذافيرها** [٣]**)** [٤].

وما نود أن نشير إليه في هذا الحديث جانب المعافاة في البدن، ومدى قيمتها في هذه الحياة، وذلك بإبراز جانب المنح التي أودعها الله في الإنسان، وسلامتها من العيوب، والآفات، والأمراض، وهذا كنز لا يقدر بثمن، ويدلل على عظم قول النبي ﷺ وأنه: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النَّجم: ٣-٤]، لو تصورنا في هذا العصر أن إنساناً فقد أحد أعضائه، وأراد شراءها فبكم تقدر؟!! تصور أنك تريد شراء كلية، أو كبد، أو طحال، أو بنكرياس، أو معدة، أو قلب، أو رئة، وهذا مستحيل، في المحصلة أنت تمتلك منح لا تعد، ولا تحصى، ولا تقدر بثمن أنعمها وتفضل بها عليك خالق الخلق.

ما هو طعم الحياة؟ وكيف تبدو؟ إذا فقد الإنسان السمع؟ أو البصر؟ أو الشم؟ أو الذوق؟ أو كليتيه أو كبده أو طحاله ... كيف تكون الحياة؟!!

الإخلاص والعبودية عزة ورفعة للبشرية:

إن الذي ملكك هذه الكنوز، وأوجدها لك يستحق الشكر، وهو ليس في حاجة له، ولكن الشكر خلق تعود آثاره عليك قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ [المؤمنون:٧٨]، وقال أيضاً ﴿... رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل:١٩]، ألا يستحق هذا

---

(١) في سربه: أي في نفسه. النهاية في غريب الحديث والأثر، ص ٤٢٤.

(٢) حيزت: أي جمعت. سنن ابن ماجه، ص ٦٨٩.

(٣) الحذافير: أي فكأنما أعطي الدنيا بأسرها. النهاية في غريب الحديث والأثر، ص ١٩٤.

(٤) سنن الترمذي، كتاب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ٣٤، ص ٥٢٩، حديث رقم (٢٣٤٦)، قال الألباني حديث حسن، وأخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب القناعة، ص ٦٨٩، حديث رقم (٤١٤١)، قال الألباني حديث حسن وليس فيها بحذافيرها.

المنعم المتفضل عليك الطاعة؟ وهو ليس في حاجة لطاعتك، ولكن طاعتك تمرسك على عصيان سلطان هواك، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الفَائِزُونَ﴾ [النور:٥٢] ، وقال أيضاً: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرّسول وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرّسول إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآَخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء:٥٩] ، ألا يستحق المحبة؟ ومحبتك له لا تزيد من شأنه، ولكن محبتك له تجعلك تستعلي على الأنداد والشركاء، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَالَّذِينَ آَمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا للهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ العَذَابَ أَنَّ القُوَّةَ للهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللهَ شَدِيدُ العَذَابِ﴾ [البقرة:١٦٥] ألا يستحق العبادة، وعبادتك له لا تزيد، ولا تنقص من ملكه شيئاً، ولكن عبادتك له تحررك من أسرك للعباد الذين لا يزيدونك إلا ذلاً، وفقراً، وانكساراً للخلق دون الخالق، وهو أحق لأن عبادتك له استقامة لأمور حياتك بجميع جوانبها، وهذا الكون لا ينبغي للإنسان أن يفسد فيه، لذا وضع الله لنا منهاجاً يُقَوِّم حياتنا، وينظم شؤوننا، وعلاقاتنا مع كل ما في هذا الكون مع الله، وأنفسنا، وما يحيط بنا من كائنات، وحيوانات، ونباتات، ومياه، وبحار، وأنهار، وهواء، وجماد، وما علمنا إياه الله، لذا قال تعالى: ﴿ مَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج:٧٤].

فينبغي منا تنزيه الخالق، وتقديسه، وإنزاله المنزلة التي ارتضاها لنفسه، وعرفها لنا لذاته فإذا عرفناه، أجبناه، وإذا أجبناه أطعناه فلا نعصيه، وخشيناه فلا نأمن مكره، فنسعى لإرضائه فبرضاه تشرق الدنيا بنور الحق، وتتزين الآخرة لإرضاء من أرضاه نسأل الله السلامة، والعفو، والقبول!!!

خلاصة المبحث:

أظهر المبحث المكونات الأولية التي تتكون منها النّفس البشرية، ثم بيّن آيات القدرة الإلهية في هذه النّفس تحت مسمى **(الآيـــة)** وما يترتب على هذه الآيات وآثارها التي تقتضي محبة الله وطاعته ووجوب السير على منهاجه الذي فيه الخير والسعادة في الدنيا والآخرة.

الفصل الثالث

تكريم وتفضيل النَّفس البشرية على غيرها من المخلوقات وبيان نعم الله عليها

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: تفضيل النَّفس البشرية على غيرها من المخلوقات.

المبحث الثاني: تكريم النَّفس البشرية ببيان ما أنعم الله عليها.

المبحث الأول

تفضيل النَّفس البشرية على غيرها من المخلوقات

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: مظاهر تفضيل النَّفس البشرية.

المطلب الثاني: تفضيل النَّفس البشرية بنعمة العقل.

المبحث الأول

تفضيل النَّفس البشريَّة على غيرها من المخلوقات

لقد خلق اللهُ الكون، وشأن الخالق أن يتفرد في الخلق يفعل ما يشاء، ومن حكمة الخالق عز شأنه تفضيله لأشياء على أشياء، والتفضيل لا يكون إلا بمزية، وشرف، ورفعة، فرفع المسلم، وحط الكافر، والمنافق، فجعل الله الإنسان المسلم سيد هذا الكون بأن جعله خليفةً له في هذا الكون، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ...﴾ [البقرة:٣٠]، والخلافة للإنسان لا تتم إلا ضمن منهاج يسير عليه الخليفة وفق ما أراد الخالق وحدد وبين، فإن حاد؟ لا يستحق لقب الاستخلاف، وإن أطاع فهو الخليفة المرتضى من قبل الله ﷻ، وهذا المنهاج لا بد له من رباط لينفك عن أشياء ويمتنع عن أشياء!!!

المطلب الأول: من مظاهر التفضيل للنفس البشرية:

كثيرة هي مظاهر التفضيل التي فضل الله بها بني آدم على كثيرٍ من خلق الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آَدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي البَرِّ وَالبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء:٧٠] ، وفي معرض البيان لمظاهر التفضيل **سيقوم الباحث** بذكر هذه الصور والأشكال في نقاط:

١- خلق الله الإنسان بيده ونفخ فيه من روحه، وأمر الملائكة أن يسجدوا له:

أي تفضيل للإنسان بعد هذا التفضيل الذي يكرم فيه الخالق المخلوق بأن يخلقه بيده، وينفخ فيه من روحه، ويأمر الملائكة بالسجود، سجود تكريم منوط بأن تعلو مَلَكيته على شهوانيته، وإلا هو أحط من البهائم، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ المَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الكَافِرِينَ * قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ العَالِينَ﴾ [ص: ٧١-٧٥].

٢- خلق الإنسان في أحسن تقويم:

ومظاهر التفضيل الأخرى للإنسان أن خلق الله الإنسان في أحسن تقويم، قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التِّين:٤] ، ولقد تعددت آراء العلماء في بيان معنى قوله تعالى: ﴿فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ هذه الآية منها:

* في أحسن خلق.

* في أعدل خلق.

* في أحسن صورة.

* في أعدل خلق، وأحسن صورة.

* أي خلقنا الإنسان فبلغنا به استواء شبابه وجلده وقوته، وهو أحسن ما يكون وأعدل ما يكون به قوامه.

* ليس هناك شيء من الحيوانات إلا وهو منكب على وجهه غير الإنسان [1].

بالنظر إلى هذه الآراء وتدبرها يتبين أن كل هذه الآراء تندرج تحت معنى قوله تعالى: ﴿فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ مما يدلل على صحة كل هذه الآراء في وصف الله لخلق الإنسان.

٣- جعل الله للإنسان إرادة حرة يختار بها الخير والشر:

جعل الله للإنسان إرادة حرة، فإما أن يعلو بهذه الإرادة لمرتبة الملائكة، أو يخلد إلى الأرض، قال تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البلد:١٠].

قال مجاهد في تفسير هذه الآية: "عرفناه سبيل الخير وسبيل الشر" [2]، بمفهوم آخر: إن هذا الإنسان له حرية الاختيار بعد أن استبان له طريق الخير، وطريق الشر، طريق الهدى، وطريق الضلال، طريق النور، وطريق الظلمة، وهذه الإرادة الحرة، ضرب من ضروب تكريم الإنسان وتفضيله في هذه الحياة على سائر المخلوقات إذا أعمل عقله ليصل إلى الطريق السَّوي، ويكون أحط وأخسّ من البهائم إذا أهمل عقله وقادته الشهوات والملذات إلى حيث تريد.

٤- البعث والنشور للحساب والعقاب:

الحساب والعقاب لا يكون إلا للمختارين الذين يميزون بين الطيب والخبيث، والخير والشر، وهذا مظهر من مظاهر التفضيل والتكريم للنفس البشرية، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا العَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا المُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا العِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٢-١٦].

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، م١٠، ص ٨٧٠٠-٨٧٧٢.

(٢) تفسير الإمام مجاهد بن جبر، ص ٧٣٠.

وفي موضع آخر قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك:١٥] .

ففي الآيات بيان لانتهاء الحياة بالموت، ثم البعث من القبور والنشور للحساب أمام الله ﷻ يوم القيامة.

وهناك آيات أخرى كثيرة تشير إلى هذا الجانب الذي يعتبر من دلائل التكريم والتشريف والتفضيل للنفس البشرية؛ ليجزي كل امرئ بما صنع إن كان خيراً، أو شراً.

٥- تسخير ما في الكون لخدمة الإنسان وراحته والإعانة على شئون الحياة:

الإنسان "الخليفة" أحب المخلوقات إلى الله، لذا فإن الله سخر له ما في السماوات وما في الأرض، وهذا دليل محبة الله وتفضيله للإنسان "الخليفة".

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ...﴾ [البقرة:٢٩] ، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ...﴾ [لقمان:٢٠] .

فالتسخير للكون لخدمة الإنسان "الخليفة" دليل تشريف وتكريم وتفضيل، وسيرد هذا الجانب في مطلب قادم بشكل أكثر إيضاحاً وبياناً.

المطلب الثاني: تفضيل النَّفس البشرية بنعمة العقل:

*** نعمة العقل:**

العقل جوهرة عظيمة وهو من النعم العظمى التي تفضل الله بها على الإنسان وأمدَّه بها، به يكون التكريم والتكليف والتشريف والعزة والكرامة، وبه فُضل الإنسان على غيره من المخلوقات، **وسيكتفي الباحث** بذكر معنى العقل لغةً وشرعاً مع بيان لبعض **معاني** العقل ومقاصده، نظراً لأن هذا الأمر يحتاج لبحث مستقل.

العقل لغةً:

قال ابن فارس: "العين والقاف واللام أصل واحد منقاس مطرد يدل على عُظْمُه، حُبسه في الشيء أو ما يقارب الحُبسة من ذلك العقل، وهو الحابس عن ذميم القول والفعل" [(١)] .

والعقل: الحِجرُ والنُّهي، ضد الحمق، والجمع عقول، وسُمي العقل عقلاً؛ لأنه به يتميز الإنسان عن سائر الحيوانات، والعاقلُ: الذي يحبس نفسه ويردها عن هواها، وكذلك الجامع لأمره ورأيه،

(١) معجم المقاييس في اللغة، ص ٦٧٢.

واعتقل لسانه؛ إذا حبس، مُنِع الكلام، وعقلَ الشيء يعقله عقلاً إذا فهمه [1] .

من خلال ما تقدم يُستنبط أن العقل يطلق على معانٍ تفيد الربط والامتثال والمنع والفهم، وهذه المعاني من صفات العقل ومهماته الذي خُص بها الإنسان على غيره من المخلوقات، فيه يميز الإنسان بين الخير والشر، والنافع والضار، وبه يتصرف في الاختيار، فهو ملكة إنسانية به يسمو الإنسان على المخلوقات، وبإهماله ينحط أدنى الدركات والدرجات.

العقل اصطلاحاً:

قال الجرجاني: "العقل جوهر روحاني خلقه الله تعالى متعلقاً ببدن الإنسان" [2] .

أما الإمام الغزالي فقال: "الوصف الذي يفارق الإنسان به سائر البهائم، وهو الذي استعد به لقبول العلوم النظرية وتدبر الصناعات الخفية الفكرية" [3] .

أما الإمام ابن تيمية فقال: "هو الغريزة التي في الإنسان التي بها يعلم ويميز، ويقصد المنافع دون المضار" [4] .

وكأن ابن تيمية في تعريفه هذا أقر أن الإنسان باستعماله العقل وقصده الخير، فهو في حدود إنسانيته وخيريته، وإلا فهو كالبهائم والعياذ بالله، بل أحط .

من أسماء العقل:

ورد في كتاب الله تعالى العديد من الأسماء للعقل منها: اللُّبُّ، والحجا، والحِجْر، والنُّهى[5].

بيان لبعض معاني العقل:

أ- اللُّبُّ:

* قال تعالى: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الأَلْبَابِ**﴾ [آل عمران:١٩٠].

* وقال أيضاً: ﴿... **فَاتَّقُوا اللهَ يَا أُولِي الأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا** ...﴾ [الطَّلاق:١٠].

---

(١) انظر: لسان العرب، م١٠، ص ٢٣٢، ٢٣٣.

(٢) التعريفات، ص ١٥١.

(٣) إحياء علوم الدين، ج١، ص ١١٨.

(٤) كتاب الفتاوى، م٩، ج٥، ص ١٥٣.

(٥) انظر: كتاب الدلالة العقلية في القرآن الكريم، ص ٢٥.

قال الراغب الأصفهاني: اللُّبُّ: العقل الخالص من الشوائب، وسمى بذلك لكونه خالص ما في الإنسان من معانيه كاللباب، واللُّبُّ من الشيء، وقيل: هو ما زكى من العقل، فكل لب عقل وليس كل عقل لب، ولهذا علق الله ﷻ الأحكام التي لا تدركها إلا العقول الذكية بأولى الألباب [١].

ب- "النُّهى":

* قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى﴾ [طه:١٢٨] .

* وقال أيضاً: ﴿كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى﴾ [طه:٥٤].

والنُّهية هي العقل الناهي عن القبائح، جمعها نُهى" [٢].

ج- "الحِجر":

* قال تعالى: ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾ [الفجر:٥] .

قال ابن كثير في تفسير: ﴿لِذِي حِجْرٍ﴾ أي: "لذي عقل ولب ودين وحجر، وإنما سمي العقل حجراً؛ لأنه يمنع الإنسان من تعاطي ما لا يليق به من الأفعال والأقوال" [٣] .

هذه بعض من المعاني للعقل، وهناك معانٍ أخرى [٤] .

مقاصد العقل:

العقل أعظم شيء خلقه الله في الإنسان، فلما خلقه قال له: أقبل فأقبل، ثم قال له: أدبر فأدبر، ولقد خلق الله العقل لهدف وغاية ومقصد منها:

١- التفكر في خلق الله للتعرف على الله:

معرفة ذات الله أمرٌ خارج عن إطار العقل، وهو أمر "سماعي"، ولكن الله دلنا على التعرف على ذاته من خلال التفكر والتدبر في خلق مخلوقاته، وذلك لأن التفكر في ذات الله أمر الخوض فيه يؤدي إلى الكفر والعياذ بالله.

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن، ص ٧٣٣.

(٢) نفس المرجع السابق، ص ٨٢٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم، م٤، ص ٥٤١.

(٤) من أراد المزيد من المعلومات فعليه مراجعة كتاب الدلالة العقلية في القرآن الكريم، د. عبد الكريم نوفان عبيدات.

* قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآَيَاتٍ لِأُولِي الأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١].

تبين الآيات عظمة الله وقدرته وحكمته في هذا الكون بما فيه من بديع صنع الله في خلق هذا الكون أرضه وسمائه وما فيهن من آيات، وما فيه من اختلاف الليل والنهار، وتسخيرهما لنا ولراحتنا، فكل ما خلقه الله في هذا الكون آية لا يستشعرها ويوقن بها إلا أصحاب العقول الراجحة الذين أعملوها في هذه الآيات؛ ليدركوا عظمة العظيم، وقدرة القدير جل شأنه، هؤلاء الذين لا ينقطعون عن عبادة الله وذكره في كل لحظة وحين؛ قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم، ذاكرين بألسنتهم وقلوبهم متأملين بعقولهم مقرين بوحدة خالق هذا الكون مذعنين إليه متضرعين إليه، طالبين منه المغفرة والرضوان [١].

٢- إتمام عملية التسخير والتمكين:

الله سخر لنا هذا الكون لخدمتنا وراحتنا، ولإتمام عملية التسخير والتمكين، لا بد من العمل على عملية الإتمام التي تتضمن الجانب العملي، والذي من خلاله تتم عملية استخراج واستغلال وتهيئة والاستفادة والتمكن من الذي سُخر لنا، فالله سخر لنا ما في الأرض: فيجب على الإنسان السعي والعمل على استخراج واستغلال ما سُخر لخدمتنا وراحتنا، وهذا لا يمكن إلا باستعمال العقل الذي من خلاله ينكبُ الإنسان على القيام بالمشاريع والمنشآت الحيوية، فعلى سبيل المثال لا الحصر، الشمس مسخرة لنا، بما أودعه الله فيها لخدمتنا، فجيب على الإنسان أن يعمل على استخدام طاقتها في سُبل معيشته، وسخر لنا المعادن، فلا بد أن يعمل على استخدامها لسبل معيشتنا وراحتنا، قال تعالى: ﴿...وَأَنْزَلْنَا الحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ...﴾ [الحديد:٢٥]، فانكب الإنسان على استخراجه من الأرض، واستخدامه في صنع كثير من الصناعات التي تعمل على راحة الإنسان وإسعاده في الدنيا، فالإنسان مطالب بإخراج القوى الكامنة في ذاته، فتتفجر الطاقات المندسة في كيانه كما هي النواة التي تضم في كيانها عناصر شجرة عظيمة، ونخلة باسقة، فما أن تندس في الثرى حتى تتفاعل وتخرج خبأها بعد جهد وصراع.

٣- عمارة الكون:

من مقاصد العقل عمارة الكون وإقامة المجتمع الإنساني المنشود الذي يسوده العدل والمحبة والإخاء والتعاون والمساواة، وكل القيم والمُثل والمبادئ التي تنهض بالمجتمعات الإنسانية،

---

(١) فتح الرحمن في تفسير القرآن، م١، ص ٥١٠-٥١٣ بتصرف واختصار.

وترقى بها إلى الطبيعة الملائكية، هذه الجوانب المعنوية تتآلف فيما بينها وتتحد مع الجوانب المادية حتى تتكامل مع بعضها البعض، وتخرج بثوب واحد هدفها المنشود عمارة الكون، ولقد قسم الله هذا الكون، ووزع موارده ومصادره بشكل يوجب تضافر وتكاتف وتعاون أبناء الجنس البشري، وذلك لعمارة الكون.

* قال تعالى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ [هود:٦١].

* وقال أيضاً: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الرُّوم:٩].

هذه الآيات ترسم صورة المجتمع المنشود الذي يتكامل فيه الجانب المادي المُستغل بواسطة العقل، والمسخر للإنسان مع الجانب المعنوي بأحكامه ومثله وقيمه ومبادئه المستمدة من الله ورسله، وكيف آلت إليه أحوال الأمم السابقة باعتمادهم على قوتهم، وما وصلوا إليه من الحضارة، فحرثوا الأرض، وكشفوا كنوزها وذخائرها، وما في باطنها من خيرات، وعمروها ببناء المصانع والمنشآت والقصور، فجاءتهم رسلهم بالبينات لتتكامل جوانب العمارة لهذه الأرض، ويسود العدل والمحبة والمساواة والبر والإحسان، وغيرها من القيم والمثل، لكنهم غرتهم قوتهم وأعمت بصيرتهم عن الهدى والضلال فظلموا أنفسهم بإنزال عذاب الله وعقابه (١) .

وتتضح قيمة العقل وأهميته للإنسان حينما تتحد خصائص العقل البشري، والتي على رأسها: التمييز بين النافع والضار، والخير والشر، والجائز والمستحيل، والسبب والمسبب، وغيرها من الأمور التي هي من خصائص العقل البشري المتفرد بها الإنسان على سائر المخلوقات الموجب للتكاليف الذي يقود إلى السعادة في الدنيا بإعمالِه، أو إلى الخسران المبين والعياذ بالله وذلك بإهماله.

خلاصة المبحث:

وضح المبحث مظاهر تفضيل النّفس البشرية على غيرها من المخلوقات من خلال إظهار وجوه هذا التفضيل المتمثلة بخلق الله للإنسان بيده، ونفخه فيه من روحه، وإسجاد الملائكة له، وإعطائه إرادة حرة، وتكليفه بالتكاليف، والمحاسبة عليها، ومنحه نعمة العقل.

---

(١) تسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٧٤٩ بتصرف واختصار.

المبحث الثاني

تكريم النَّفس البشرية ببيان ما أنعم الله عليها

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تكريم النَّفس البشرية بنعمة الإيجاد والإمداد والهدى والرشاد.

المطلب الثاني: تكريم النَّفس البشرية بنعمة التسخير والتمكين.

المطلب الثالث: تكريم النَّفس الإنسانية بإرسال الرّسل وهداية البشرية.

المبحث الثاني

تكريم النَّفس البشرية ببيان ما أنعم الله عليها

الإنسان سيد الكون، وهو أحب المخلوقات إلى الله، لذا أنعم الله عليه نعمه التي لا تعد ولا تحصى، قال تعالى: وإن ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل:١٨] .

المطلب الأول: تكريم النَّفس البشرية بنعمة الإيجاد والإمداد والهدى والرشاد:

نعم الله التي أنعمها على الإنسان منها ما هو ظاهر، ومنها ما هو باطن، وقد جُمعت هذه النعم في آية واحدة حيث يقول الله تبارك وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ...﴾ [لقمان:٢٠] .

هذه الآية الجامعة لنعم الله في هذا الكون، والتي أنعم الله بها على الإنسان الذي لا يعد ولا يذكر من ناحية حجمه ووزنه بالنسبة إلى الخلائق في هذا الكون، أرضه وسماؤه، ولكن بنفخه الروح تبارك وتعالى في هذا المخلوق الصغير جعلته وارثاً كبيراً وسيداً لهذا الكون، فلذلك سخر الله له ما في السماوات وما في الأرض، من شمس وقمر، ونجوم يستضيء بها ليلاً، ويستهدي بها في ظلمات البر والبحر، والسحاب الذي ينزل بالمطر لسقي الناس والحيوان والزروع، وما في الأرض من الدواب والأشجار، والمياه والبحار، والسفن والمعادن، وغيرها من المنافع، ما نعلم وما لم نعلم، وأتم الله نعمه على الإنسان بإرسال الرّسل وإنزال الكتب، والنعم التي أكنها الله في النَّفس البشرية في كل عضو وكل جزء، منها ظاهرة ومنها باطنة، وما ندركه وما خَفي علينا، وبرغم كل هذه النعم فإن بعض الناس يكفر ويجادل في الله وآياته بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير [(١)].

أما الإمام المراغي فقد استطرد في بيان معنى قوله تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان:٢٠]فذكر عدة آراء للعلماء منها:

١- **الظاهرة:** الإسلام وما حسن من الخُلق.

الباطنة: ما ستر عليك من سيء عملك.

٢- **الظاهرة:** الصحة وكمال الخلق.

الباطنة: المعرفة والعقل.

---

(١) تفسير القرآن العظيم، م٣، ص ٤٥٨، وفي ظلال القرآن، م٥، ج٢١، ص ٢٧٩٢، وتفسير المراغي، م٧، ص ٨٨ بتصرف واختصار.

٣- **الظاهرة:** ما يُرى بالإبصار من المال والجاه والجمال وتوفيق الطاعات.

الباطنة: ما يجده المرء في نفسه من العلم بالله، وحسن اليقين، وما يُدفع عن العبد من الآفات(١).

بعد بسط آراء العلماء عن النعم الظاهرة والباطنة **يرى الباحث** أن **النعم الظاهرة:** هي كل أمر من الأمور المادية والمعنوية يصدق عليه القول أنه من وجوه الخير، وقد استبان وظهر لنا علمه، أما **النعم الباطنة:** فهي كل أمر من أمور الخير المادية والمعنوية التي خفي علينا علمه وتقديره.

*** الله المنعم المتفضل:**

وقد أسند الله عز شأنه هذه النعم إليه في العديد من المواضع في كتابه العزيز منها:

* قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ ...﴾ [النحل:٥٣].

* وقال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية:١٣].

ولقد تحدث الكثير من العلماء عن هذه النعم كابن القيم وغيره من العلماء، وقسموا هذه النعم إلى أقسام.

وسيقوم الباحث بتقسيم النعم إلى قسمين:

أولاً: النعمة الخاصة "نعمة الهدى والرشاد".

ثانياً: النعم العامة وتقسم إلى ثلاثة أقسام:

أ- نعمة الإيجاد.

ب- نعمة الإمداد.

ج- نعمة التسخير والتمكين (٢).

أولاً: النعمة الخاصة "نعمة الهدى والرشاد":

نعمة الهدى والرشاد: هي نعمة الإسلام والإيمان، والتي فيها سعادة العبد في الدينا والآخرة، وهي المتصلة بسعادة الدينا والآخرة، وهي النعمة التي أمرنا الله ﷻ أن نسأله في صلاتنا،

---

(١) تفسير المراغي، م٧، ص ٨٨.

(٢) سيقوم الباحث بإفراد هذه النعمة في مطلب خاص نظراً لكثرتها.

* قال تعالى" ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرّسول فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء:٦٩] .

الأصناف الأربعة المقصودين في الآية:

١- النبين ٢- الصديقين ٣- الشهداء ٤- الصالحين.

بالرجوع إلى سبب النزول يتضح معنى الآية، حيث إنها نزلت في "ثوبان" مولى رسول الله ﷺ وكان شديد الحب لرسول الله ﷺ، قليل الصبر عنه، فأتاه ذات يوم وقد تغير لونه، فعرف الحزن في وجهه، **فقال رسول الله ﷺ: ما غيّر لونك؟ فقال: يا رسول الله ما بي مرض ولا وجع غير أني إن لم أرك أستوحش وحشة شديدة حتى ألقاك، ثم ذكرت الآخرة فأخاف أن لا أراك لأنك تُرفع مع النبيين وأني إن دخلت الجنَّة كنت في منزلة أدنى من منزلتك، وإن لم أدخل الجنَّة لا اراك أبداً، فنزلت الآية**(1).

تبين من سبب النزول أن أعظم نعمة أنعم الله بها على الخلق هي نعمة الهدى والرشاد التي يترتب عليها سعادة الدنيا والآخرة وصحبة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وأي نعمة أفضل من هذه النعمة؟!

ثانياً: النعمة العامة:

هذه النعمة يشترك فيها الخلق جميعاً، مؤمنهم وكافرهم، كنعمة: الصحة، والغنى، والمال والمسكن، والملبس، وغيرها من النعم: وهذه النعمة لا تعد ولا تحصى قال تعالى: "﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل:١٨] .

لذا سيقتصر الباحث على ذكر أقسام هذه النعمة مع التركيز على أهم أنواع هذه الأقسام:

١- نعمة الإيجاد:

من نعم الله على الإنسان إيجاده وتركيبه، وهناك آيات كثيرة تتحدث عن هذا الجانب منها: قال تعالى: " ﴿خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ [النحل:٤] .

تشير الآية الكريمة إلى حقيقة خلق الإنسان وإيجاده، وأن الله أوجده من شيء مَهين ضعيف، وبرغم ضعفه إلا أن الله ﷻ مَنَّ عليه بالعقل والقدرة والإدارة التي تجعل الإنسان يرتفع بعقله وإرادته عن عالم الطين، وأن يسموا إلى مشارق العالم العلوي، لا أن يستبد به الغرور،

(1) انظر: أسباب النزول، للواحدي، ص ٩٢، معالم التنزيل، "تفسير البغوي"، ج١، ص ٣٥٨، تفسير القرآن العظيم، قال الحافظ أبو عبد الله المقدسي: لا بأس بإسناده، م١، ص ٥٣٥.

ويستولى عليه الهوى فيكفر بخالقه ويجحد نعمة الله عليه [1].

ومن المواضع الأخرى التي يبين الله فيها نعمة الإيجاد والتركيب: قال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾ [الانفطار: ٦-٧] .

وقال أيضاً:﴿ الرَّحْمَنُ* عَلَّمَ القُرْآنَ* خَلَقَ الإِنْسَانَ﴾ [الرَّحمن:١-٣] .

وقال أيضاً:﴿ اللهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ...﴾ [الرُّوم:٤٠] .

وهناك آيات أخرى تشير إلى هذه النعمة العظيمة.

٢- نعمة الإمداد:

يقصد بهذه النعمة: ما أمد الله الإنسان به من النعم العظيمة والكثيرة، فالله تبارك وتعالى خلق الإنسان وأنعم عليه بنعمة الإيجاد، وأمدَّه بنعم كثيرة نخص منها:

*** نعمة الصحة وسلامة الأعضاء:**

من أفضل النعم وأعظمها، نعمة الصحة والسلامة في الأعضاء قال تعالى: ﴿... وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ...﴾ [لقمان:٢٠].

قال المراغي في بيان معنى هذه الآية:

الظاهرة: الصحة وكمال الخلق.

الباطنة: المعرفة والعقل. [2].

* وقال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التِّين:٤] .

"في أحسن تقويم" بمعنى في أحسن خلق [3].، والحسن يقتضي الصحة والقوة والسلامة.

وقال أيضاً: ﴿... فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون:١٤].

ولقد بين النبي ﷺ فضل نعمة الصحة والسلامة في الحديث الشريف حيث قال: **(من أصبح آمناً في سربه معافاً في بدنه عنده قوت يومه فقد حيزت له الدنيا)** [4].

---

(١) التفسير القرآني للقرآن م٤، ص٢٧٠.

(٢) تفسر المراغي م٧، ص٨٨.

(٣) معجم غريب القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ص ٥٩٧.

(٤) سبق تخريجه، ص ١٩٤ من الرسالة.

*** نعمة الإمداد بالأموال والأولاد والأنعام والجنات والعيون:**

الأموال عصب الحياة والأولاد قرة عين يقر بها الإنسان، وهما من نعم الله على الإنسان.

* قال تعالى في شأن بني اسرائيل: ﴿وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ [الإسراء:٦] .

وقال تعالى في موضع آخر مبيناً الطريقة التي تؤول بها هذه النعمة عن طريق التزاوج: ﴿وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ [النحل:٧٢].

وهناك آيات أخرى تبين نعمة الإمداد بهذه الأمور منها:

* قال تعالى: ﴿وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح:١٢].

* وقال أيضاً: ﴿فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ * اتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ*أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ*وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الشعراء:١٣١-١٣٤].

*** نعمة الإمداد بالملائكة:**

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ *إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ المَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ* بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ المَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران:١٢٣-١٢٥].

تخبر الآية الكريمة ما حصل للمسلمين يوم بدر وهم قلة، والمشركون كثر، ولكن برغم ذلك نصرهم الله وأعزهم، وهذا مدعاة لتقوى الله وطاعته ولزوم أمره، ومن دلائل نصر الله للمسلمين ما أمدهم الله من ملائكته المسوَّمين بعلامات تميزهم كالعمائم وغيرها من العلامات، وإن تصبروا على لقاء الله وتطيعوه ولا تخالفوه؟ فإن الله يمددكم بالملائكة من عنده نصرة لكم (١) .

المطلب الثاني: تكريم النَّفس البشرية بنعمة التسخير والتمكين:

من النعم التي لا تعد ولا تحصى، نعمة التسخير والتمكين للإنسان على وجه هذه الأرض، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ [لقمان:٢٠] .

ونظراً لأن هذه النعم كثيرة لا يمكن عدها، **سيكتفي الباحث** بذكر أهم هذه النعم:

---

(١) تفسير القرآن العظيم، م١، ص ٤٠٨، ٤٠٩ بتصرف واختصار.

*** نعمة المساكن والبيوت والأثاث:**

نعمة المسكن والبيوت والأثاث من نعم الله على الإنسان، والتي من خلالها يستطيع الإنسان أن يأمن على نفسه وماله، لذا قال تعالى: ﴿وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ﴾ [النحل:٨٠] .

فالله جعل لكم بيوت تبنونها من الحجر والمدر لتسكنوا فيها وقت إقاماتكم ، وكذلك جعل لكم من بيوت الأنعام (وهي الإبل والبقر والغنم والمعز بيوتاً) مغايرة لبيوتكم المعهودة، وهي الخيام والقباب والأخبية والفساطيط [(١)] من الأنطاع [(٢)] والأدم وتجدونها خفيفة وقت ترحالكم وسفركم ووقت نزولكم في الضرب والبناء، وكذلك من أشعار المعز وأوبار الإبل وأصواف الضأن متاعاً للبيت مما يلبس ويفرش ويمتع به بفنون التمتع إلى مدة من الزمان [(٣)] .

*** نعمة خلق الأنعام وتسخيرها للإنسان:**

خلق الأنعام وتسخيرها للإنسان من النعم التي أنعم الله بها على الإنسان، قال تعالى: ﴿وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ [النحل: ٥-٦] .

﴿وَالأَنْعَامَ﴾ بمعنى الإبل، ﴿خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾ الإدفاء من الأكسية وغيرها، ﴿وَمَنَافِعُ﴾ في ظهورها وألبانها، ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ من لحومها، ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾ منظر حسن، ﴿حِينَ تُرِيحُونَ﴾ من المرعى، ﴿وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ أي الرعي، ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ﴾ أمتعتكم وزادكم، ﴿إِلَى بَلَدٍ﴾ يعني مكاناً ﴿لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الأَنْفُسِ﴾ إلا بتعب النَّفس ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ بمن آمن [(٤)] .

*** نعمة المشروبات من اللبن:**

المطعم والمشرب من نعم الله على الإنسان، وعلى وجه الخصوص اللبن بما فيه من فوائد للإنسان، قال تعالى في شأن هذه النعمة: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾ [النحل:٦٦] .

---

(١) الفسطاط: درب من الأبنية في السفر. انظر: لسان العرب، م١١، ص ١٨١.

(٢) النطاع: بساط من الأنعام معروف عند العرب. انظر: لسان العرب، م١٤، ص ٢٨٧، وقطر المحيط، المعلم: بطرس البستاني، ص ٦١٣.

(٣) روح البيان في تفسير القرآن، م٥، ص ٦٧.

(٤) تفسير ابن وهب المسمى الواضح في تفسير القرآن الكريم، أبي محمد عبد الله بن محمد بن وهب الدينوري، م٢، ص ٤٣٠ .

الفرث: الكرش، والدم يخرج لبناً سائغاً سهل الشرب [(١)] .

*** نعمة المطعومات من الثمرات والزروع:**

قال تعالى: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [النحل:٦٧] .

"ومن" أي: جعل لكم من ثمرات النخيل والأعناب ما تتخذون منه سكراً بمعنى خمراً "قبل تحريمها" ورزقاً حسناً [(٢)] .

*** نعمة إنزال المطر وإنبات الزرع:**

إنزال المطر وإنبات الزرع من نعم الله على الإنسان، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ * يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٠-١١] .

الله وحده الذي أنزل لكم من الغمام ماءً مباركاً طهوراً تشربون منه، وأنبت لكم به شجراً وزرعاً ترعى فيه دوابكم وتعود منافعها إليكم [(٣)] .

وقال أيضاً: ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي البَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ﴾ [إبراهيم:٣٢] .

*** نعمة كشف الضر وإزالة الكرب:**

قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ* ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ٥٣-٥٤] .

بين الشعراوي أن الله أمدنا بالنعم رحمة منه وفضلاً، وهذه النعم لا تعد ولا تحصى، وفي نفس الوقت لا يغتر الإنسان بهذه النعم، ويذهل عن المنعم ويبتعد عن الله ويلتفت إلى غيره، وفي حال إذا مس الإنسان الضر التفت إلى الله للحاجة التي ألجأته إلى مصدر الإمداد الحقيقي ويضرع إليه، بمعنى أن لا تجعلك النعمة تنسى الله ولا تلتفت إليه إلا وقت الشدة [(٤)] .

---

(١) تفسير ابن أبي زمنين، م١، ص ٤٣٩.

(٢) نفس المرجع والصفحة.

(٣) التفسير الميسر، د. عائض القرني، ص ٣١٨.

(٤) تفسير الشعراوي، م١٣، ص ٨٠٠١ - ٨٠٠٣ بتصرف.

*** نعمة تسخير الليل والنهار:**

قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [النحل:١٢] .

بأن سخر الله الليل والنهار وجعلهما موافقين لمصالح الناس؛ وذلك لما في الليل من الراحة والسكن والاستعداد للنهار وما فيه من العمل والكد.

*** نعمة تسخير البحر:**

من نعم الله الكبرى على الإنسان البحر، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ البَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا ...﴾ [النحل:١٤] .

وذلك بجعلها للخلق بحيث يتمكن الناس من الانتفاع بما فيه من النعم ولتأكلوا لحماً طرياً[١].

*** نعمة تسخير النجوم:**

النجوم من نعم الله على الإنسان، زين الله بها السماء وجعلها رجوماً للشياطين، ولها فوائد أخرى، قال تعالى: ﴿... وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ...﴾ [الأعراف:٥٤] .

وبين الله بعضاً من فوائد هذه النجوم، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ البَرِّ وَالبَحْرِ ...﴾ [الأنعام:٩٧] ، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ [الملك:٥].

*** نعمة تسخير الشمس والقمر:**

الشمس بنورها وحرارتها التي يستفيد منها الإنسان، والقمر بانعكاس النور عليه ليُضيء الكون آيتان من آيات الله التي سخرها الله للإنسان، قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ دَائِبَيْنِ ...﴾ [إبراهيم:٣٣] .

بين السَّعدي أن الله سخر لنا الشمس والقمر لا يفتران ولا ينيان، يسعيان لمصالحكم من حساب أزمنتكم ومصالح أبدانكم وحيواناتكم وزروعكم وثماركم [٢].

---

(١) التفسير المنير لمعالم التنزيل، المسمى "مَراح لبيد" لكشف معنى قرآن مجيد، محمد نووي الجاوي، ج١، ص٤٩٦.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج٤، ص٧١.

وقال أيضاً: ﴿... وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ...﴾ [الأعراف:٥٤].

*** نعمة تسخير الأنهار:**

الأنهار من الموارد المائية التي لا يستطيع الإنسان الاستغناء عنها في هذه الحياة؛ لأجل ذلك سخرها الله لخدمة الإنسان، قال تعالى: ﴿... وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ﴾ [إبراهيم:٣٢].

*** نعمة تسخير الفلك:**

الفلك من الوسائل التي تعين الإنسان على أعباء هذه الحياة ومتطلباتها؛ لأجل ذلك سخرها الله للإنسان، قال تعالى: ﴿... وَسَخَّرَ لَكُمُ الفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي البَحْرِ بِأَمْرِهِ ...﴾ [إبراهيم:٣٢].

بين السَّعدي أن الله يسر لنا صناعة السفن وأقدرنا عليها وحفظها على تيار الماء؛ لتحملنا وتحمل تجارتنا وأمتعتنا إلى بلد نقصده [١].

وهناك نعم كثيرة في هذا الكون لا تعد ولا تحصى **سيكتفي الباحث بما ذكر** من هذه النعم لأنها تحتاج إلى بحث مستقل.

المطلب الثالث: تكريم النَّفس الإنسانية بإرسال الرّسل وهداية البشرية:

الرّسل سفراء الله في الأرض، أُرسلوا لتعريف الناس بالله خالق الخلق، وتبليغ شرع الله وتبيينه للناس، والإنذار بيوم الوعيد، وسيدور الحديث في هذا المطلب عن هذه الجوانب:

أولاً: الهدف من إرسال الرّسل.

ثانياً: وظيفة الرّسل.

ثالثاً: وجوب الإيمان بالرّسل.

رابعاً: إرسال الرّسل تكريماً للنفس الإنسانية ودليل محبة الله للبشرية.

أولاً: الهدف من إرسال الرّسل:

لقد بين الله تبارك وتعالى الهدف الذي من أجله أرسل رُسُلَه للبشرية وهي:

أ- تبليغ شرع الله:

هناك آيات كثيرة تتحدث عن الهدف من إرسال الرّسل، والذي يتمثل في تبليغ شرع الله في حق الرّسل على وجه العموم ونبينا ﷺ على وجه الخصوص منها: قال تعالى: ﴿... فَهَلْ عَلَى الرّسل

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج٤، ص٧١.

﴿إِلَّا البَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النحل:٣٥]، وقال أيضاً: ﴿يَا أَيُّهَا الرّسول بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ...﴾ [المائدة:٦٧]، وفي آية أخرى بين الله تبارك وتعالى تكليفه للرسول ﷺ بتبليغ شرعه قال تعالى: ﴿مَا عَلَى الرّسول إِلَّا البَلَاغُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ [المائدة:٩٩]، في الآية تكليف من الله لرسوله ﷺ بتبليغ شرع الله، من خلال توصيل الأحكام للناس، والقيام بما أمر الله تعالى به من أمر أو نهي مما قامت عليه الحجة والدليل، فلزم الطاعة والاستجابة، فلا عذر في التفريط "والله يعلم ما تبدون وما تكتمون" فالله مطلع على حال العبد ظاهراً وباطناً فهو مجازيه على ذلك ثواباً وعقاباً وفي هذا تهديد ووعيد من الله بلزوم إتباع ما بلّغ به الرّسول ﷺ [١].

تدلل هذه الآيات على الهدف المنوط به الرّسل وهو تبليغ شرع الله، وهناك آيات أخرى كثيرة تتحدث عن هذا الهدف.

ب- الاقتداء بالرّسل والتأسي بهم في شئون حياتهم:

الاقتداء بالرّسل والتأسي بهم هدف منشود؛ ليصل الناس إلى درجة عالية في الأخلاق والمعاملات (مع الله ومع النَّفس ومع الناس) للوصـول بهـم إلى درجة تقترب من الرّسل. ولبيان هذا الجانب هناك العديد من الآيات في القرآن الكريم التي تتحدث عن هذا الأمر منها.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَاليَوْمَ الآَخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:٢١]، فهذه الآية أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله وصبره ومصابرته ومرابطته وانتظاره الفرج من ربه ﷻ [٢].

وفي آية أخرى يقول الله تعالى في شأن إبراهيم والذين آمنوا معه: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآَءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ العَدَاوَةُ وَالبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ ...﴾ [الممتحنة:٤].

في الآية دعوة من الله للاقتداء بإبراهيم عليه السلام والذين آمنوا معه، إذ تبرؤا من أهلهم وقومهم الكافرين وعادوهم وخالفوهم وابغضوهم [٣].

وهناك آيات أخرى تتحدث عن هذا الجانب.

---

(١) انظر: تفسير البحر المحيط، م٤، ص٣٠ بتصرف.

(٢) أوجز التفاسير من تفسير ابن كثير، خالد عبد الرحمن العك، ص٤٢٠.

(٣) انظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ج٤، ص٢٨٣، ٢٨٤ بتصرف.

ج- التعرف على السنن الإلهية في الصراع بين الحق والباطل عبر التاريخ:

من الأهداف التي من أجلها أرسل الرّسل: التعرف على السنن الإلهية في الصراع بين الحق والباطل عبر التاريخ وما يترتب على هذا الصراع من نتائج. قال تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [آل عمران:١٣٧]. تظهر الآية سنن الله في هذا الكون في الأمم الماضية وفي طبيعة الصراع القائم بين الرّسل والفئة المؤمنة من جانب، والكافرين والمكذبين والمعادين للرسل والمؤمنين من جانب آخر، وكيف آل الصراع بينهما، من فوز للرسل، ومن سار على نهجهم وحظى بالسعادة والنصر والفلاح، ومن سار على طريق العصاة المكذبين؛ كانت عاقبته الخسران والدمار والهلاك، فمن سار في الأرض وتعقب أحوال الأمم، وتدبر التاريخ وعرف الأخبار، يجد مصداق تلك السنة الإلهية الثابتة، وهذا ما يؤكده القرآن من مصير عاد، وثمود، وفرعون ومن تبعه، وغيرهم من الأمم، والمكذبين للرسل والأنبياء [(١)].

وهناك آيات كثيرة تشير إلى سنة الله في الصراع بين الحق والباطل ونتيجة هذا الصراع وهذا ما يزيد المؤمن إيماناً ويقيناً بنصر الله وعزته للرسل وللمؤمنين.

د- أخذ العبرة والعظة من قصص المرسلين مع أقوامهم:

الدرس والعبرة والعظة هدف منشود من إرسال الرّسل والأنبياء؛ لأجل ذلك وردت آيات كثيرة في كتاب الله تدلل على هذا الجانب، من هذه الآيات:

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف:١١١] .

أورد الخطيب في تفسيره لهذه الآية أن الضمير في "قصصهم" يعود إلى الرّسل المذكورين في قوله تعالى في الآية السابقة ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرّسُل ...﴾ [يوسف:١١٠] ففي قصص الرّسل، وفي الصراع الذي يدور بينهم وبين السفهاء الضالين من أقوامهم، في هذه القصص عبرة لأولي الأبصار، وذوي الفطنة والرأي، حيث ينجلي الموقف دائماً عن إظهار دين الله، وإعلاء كلمته، وانتصار رسله، ومن تبعهم من المؤمنين، على حين يقع البلاء والخزي والخذلان بالذين كذبوا رسل الله وآذوهم، وصدوا الناس عن سبيل الله ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى﴾ [يوسف:١١١] ، أي هذا القصص الذي يقصصه الله تعالى على نبيه الكريم، من أنباء الرّسل، لم يكن حديثاً ملفقاً، أو مفترى، ولكنه كلام رب العالمين، قد تلقاه النبي وحياً من ربه، فجاء مصدقاً لما سبقه من الكتب السماوية،

---

(١) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، م٢، ج٤، ص٩٦-١٠١ بتصرف واختصار.

مفصلاً كل ما كان مجملاً فيها، حاملاً الهدى والرحمة لمن يؤمنون به، ويهتدون بهديه، ويستقون من موارده [1].

وهناك آيات أخرى تشير وتدلل على أخذ العبرة والعظة من قصص المرسلين مع أقوامهم.

هـ- لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرّسل:

من الأهداف التي من أجلها أرسل الرّسل: إقامة الحجة على الناس، ولقد بين الله هذا الجانب في قوله تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرّسل وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء:١٦٥] .

تبين الآية الحكمة من إرسال الرّسل، وهي إقامة الحجة على الناس يوم القيامة، فهؤلاء الرّسل مبشرين من آمن وعمل صالحاً بالجنَّة، ومنذرين من كفر وأشرك وعمل سوءاً بالنَّار، وما فعل ذلك إلا لقطع حجة الناس يوم القيامة؛ حتى لا يقولوا ربنا ما أرسلت إلينا رسولاً **(وكان الله عزيزاً)** أي غالباً لا يمانع في شيء أراده **(وحكيماً)** في أفعاله وتدبيره [2].

هذه هي بعض الأهداف التي أرسل الله الرّسل لأجلها.

ثانياً: وظيفة الرّسل:

كما بيَّنا أن الرّسل سفراء الله في هذه الأرض، تقع عليهم وظيفة سامية تتلخص فيما يلي:

أ- تبليغ شرع الله وهداية الناس:

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة:٣٣] .

وفي موضع آخر قال تعالى: ﴿... فَهَلْ عَلَى الرّسل إِلَّا البَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النحل:٣٥] .

وفي موضع آخر قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرّسول بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ...﴾ [المائدة:٦٧] .

ب- تثبيت فؤاد النبي ﷺ:

ولبيان هذه الوظيفة الملقاة على عاتق الرّسل قال تعالى: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرّسل مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود:١٢٠] .

---

(١) التفسير القرآني للقرآن، م٤، ج١٣، ص ٦١، ٦٢.

(٢) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ج١، ص ٥٧٦.

ج- تبشير المؤمنين بما أعده الله لهم، وإنذار المكذبين بعذاب الله:

وفي بيان هذه الوظيفة الملقاة على عاتق الرّسل قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ [البقرة:١١٩] .

وقال أيضاً: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرّسل وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء:١٦٥] .

وهناك آيات أخرى تتحدث عن هذا الجانب.

ثالثاً: وجوب الإيمان بالرّسل وطاعتهم:

التوحيد ميثاق معقود بين الفطرة الإنسانية، وخالق الخلق منذ كينونتهم الأولى في صلب آدم عليه السلام، ومن رحمة الله بهم أن لا يكِلُهم إلى فطرتهم فقد تنحرف، ولا يكِلُهم إلى عقولهم فقد تضل، لذلك أرسل إليهم الرّسل.

* قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللهِ ...﴾ [النساء:٦٤] .

* وقال أيضاً: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [المائدة:١٢] .

الرّسل وموقف أقوامهم منهم:

بتتبع الآيات التي تتحدث عن الرّسل ومواقف أقوامهم تجاههم، نجد أن مواقف الناس تتباين تجاه المرسلين ما بين الكفر والتكذيب والإيذاء والاستهزاء والسخرية والصد.

أ- الآيات التي تتحدث عن التكذيب:

* قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء:١٠٥] .

* قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء:١٢٣] .

* قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء:١٤١] .

* قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء:١٦٠] .

ب- الآيات التي تتحدث عن الكفر:

* قال تعالى في شأن الرّسول ﷺ مع قومه الذين كفروا : ﴿**اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**﴾ [التوبة:٨٠] .

* وقال أيضاً: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ**﴾ [المجادلة:٢٠] .

ج- الآيات التي تتحدث عن الإيذاء:

* قال تعالى في شأن النبي ﷺ مع قومه: ﴿**وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [التوبة:٦١] .

* وقال أيضاً: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللهِ وَجِيهًا**﴾ [الأحزاب:٦٩] .

د- الآيات التي تتحدث عن الاستهزاء:

* قال تعالى في شأن النبي ﷺ: ﴿**وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ**﴾ [الرعد:٣٢] .

* وقال أيضاً: ﴿**وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ**﴾ [الأنعام:١٠] .

هـ- الآيات التي تتحدث عن السخرية:

* قال تعالى في شأن نوح ؑ: ﴿**وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ**﴾ [هود:٣٨] .

* قال في شأن الذين سخروا من الرّسل: ﴿**وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ**﴾ [الأنعام:١٠] .

و- الآيات التي تتحدث عن الصد:

* قال تعالى في شأن النبي ﷺ: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللهُ وَإِلَى الرّسول رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا**﴾ [النساء:٦١] .

* وقال أيضاً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء:١٦٧] .

وهناك آيات أخرى تبين كيف قوبل المرسلون من قبل أقوامهم.

رابعاً: إرسال الرّسل تكريماً للنفس الإنسانية ودليل محبة الله للبشرية:

لقد خلق الله الإنسان وكرمه، وخلقه في أحسن تقويم، ومنحه العقل، وجعل فيه نفخة من روحه، وسخر له ما في السماوات وما في الأرض، ثم أرسل الله للناس الرّسل، وعلى رأسهم محمد ﷺ ليبينوا لهم طريق الهدى والرشاد، من خلال المنهاج الذي أنزله الله اللطيف الخبير، والذي يدلل على محبة الله للعباد، من خلال المصلحة المصاحبة للأحكام الواردة في هذا المنهاج.

* قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨] .

تبين الآية أن الله أرسل إلينا محمداً ﷺ للناس كافة من بيننا، هذا الرّسول كما هم الرّسل لا يحب ولا يرضى لنا المشقة والمكروه، حريص علينا لنهتدي إلى الطريق القويم، شديد الرحمة بنا، وهو لا يحب لنا إلا الخير (١).

وفي آية أخرى بين الله مدى المنة التي منّها على المؤمنين؛ والتي تعتبر دليل محبة الله للمؤمنين.

* قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران:١٦٤] .

قال الراغب الأصفهاني: "المنَّةُ النعمة الثقيلة بالفعل، كأن يقال: من فلان على فلان إذا أثقله بالنعمة" (٢).

من كلام الراغب يستدل على أن المنَّة هي أعظم النعمة، أما سيد قطب فيستطرد في تفسيره للآية التي تظهر حقيقة كبيرة تبين مدى المنَّة الإلهية على المؤمنين، ودورها في إنشاء وبناء الأمة، وتعليمها وتربيتها وقيادتها، هذه المنَّة التي لا يدانيها منَّة، ولا يقاربها فضل، ولا جاه ولا سلطان، ولا عرض من أعراض الأرض، إنها نعمة إرسال خير البشرية "رسول الله ﷺ" لخير أمة: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ...﴾ [آل عمران:١١٠] ، إنها المنَّة العظمى، وأي منَّة بعد هذه المنَّة؟؟ خصوصاً حينما يكون هذا الرّسول "من أنفسهم"، وهذا أبلغ في الدلالة على كرم الله، إنها صلة

---

(١) تفسير الجلالين، ص ٢٧١، ٢٧٢ بتصرف.

(٢) معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص ٥٢٩.

النَّفس بالنَّفس، فهو يحس ويشعر ويفرح ويتألم ويتفاعل مع الأحداث، والأمور كما الناس، وذلك أبلغ في تحقيق آمالهم والشعور بآلامهم، ثم تظهر الآية آثار هذه المنَّة في حياة الأمة المسلمة، أن هذا النبي ﷺ، كما قال الله تعالى في شأنه: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آَيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة:٢] ، يتلو آيات الله وما فيها من كرامة ومنَّة لذلك فهي آيات خالق الخلق في شتى أمور حياتهم، ويزكيهم ويطهرهم وينقيهم، ويطهر قلوبهم وأعراضهم، وحياتهم، ومجتمعهم، وأنظمتهم من أرجاس الشرك والوثنية والخرافة والجاهلية، ويعلمهم الآداب والأحكام والأخلاق والمعاملات التي تبنى على الطهر والمحبة والتعاون والإخاء.

لذا كانت هذه المنَّة الإلهية لهذه الأمة بهذا الرّسول وهذه الرسالة العظيمة التي حولتهم من الغي والبغي والضلالة إلى نعمة الإسلام، نعمة الهدى والرشاد [١] .

خلاصة المبحث:

اشتمل المبحث على بيان صور تكريم النّفس البشرية بما أنعم الله عليها من نعمة الإيجاد والإمداد والهدى والرشاد، ثم ما سخره الله لها، ومكّنها منه في هذه الحياة الدنيا، ثم انتهى المبحث ببيان مظهر تكريم الله لهذه النّفس بإرسال الرُّسل لها وهدايتها.

---

(١) في ظلال القرآن، م١، ص ٥٠٦-٥١١ بتصرف واختصار.

الفصل الرابع

القدرة الإلهية عند الموت والبعث والحساب

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: القدرة الإلهية عند الموت.

المبحث الثاني: القدرة الإلهية على النَّفس البشرية ما بعد الموت.

المبحث الثالث: القدرة الإلهية عند الحساب.

المبحث الأول

القدرة الإلهية عند الموت

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: القدرة الإلهية على نفس المؤمن.

المطلب الثاني: القدرة الإلهية على نفس الكافر والمنافق.

المبحث الأول

القدرة الإلـهية عند الموت

المطلب الأول: القدرة الإلـهية على نفس المؤمن:

الموت هو نهاية للحياة التي يحياها الإنسان في الحياة الدنيا، وليس هناك أحد في الوجود إلا وسيموت، حتى ملك الموت، حتى الموت سيموت ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام.

قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران:١٨٥]، وقال أيضاً: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ ...﴾ [النساء:٧٨]، وقال تعالى في حق حبيبه وسيد الخلق ﷺ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزُّمر:٣٠]، وقال أيضاً: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ [الأنبياء:٣٤].

إذاً كل نفس ستموت (مؤمن، كافر، منافق)، وكل الخلق سيموتون، **وسيقوم الباحث** ببيان القدرة الإلهية على نفس المؤمن.

سكرات الموت:

للموت سكرات، تشتد وتضعف؛ فشدتها لحكمة وضعفها لحكمة، قال تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق:١٩]، في الآية دلالة على أن للموت سكرات، فإذا جاءت يتكشف اليقين الذي كان يتمارى ويتناءى فيه ويُفر منه، ها هو قد جاء ونزل بساحتك، فلا محيد ولا مناص ولا فكاك ولا خلاص (١).

وهذه السكرات لم ينج منها حتى النبي ﷺ .

روي أن عائشة رضي الله عنها كانت تقول: **إن رسول الله ﷺ كان بين يديه رَكوةٌ (٢) – أو علبة فيها ماء، فجعل يُدخل يده في الماء فيمسحُ بها وجهَهُ ويقول: لا إله إلا الله، إن للموت سَكرات (٣) ، ثم نصب يَده فجعل يقول: في الرفيق الأعلى، حتى قُبض ومالت يده (٤).**

---

(١) تفسير القرآن العظيم، م٤، ص٢٤٠.

(٢) العلبة من الأدم. فتح الباري، م١١، ص ٣٧٠.

(٣) السَّكر: حالة تعرض بين المرء وعقله، ويطلق على الحالة التي تطرأ على من يحتضر نتيجة الألم. فتح الباري، م١١، ص٣٦٩.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب سكرات الموت، ص١٣٢١، حديث رقم (٦٥١٠).

فهذا النبي ﷺ يعاني في احتضاره من سكرات الموت، يعاني فيها ما يعاني من الألم، حتى قبضت روحه الطاهرة.

ولما حضرت أبا بكر رضي الله عنه الوفاة، كانت عائشة رضي الله عنها قائمة عند رأسه، فنظرت إليه وإذا بروحه تحشرج [(١)] في صدره فتمثلت ببيت من الشعر وقالت:

لعمرك ما يفنى الثراء عن الفتى

إذا حشرجت يوماً وضاق لها الصدرُ

فنظر إليها رضي الله عنه وقال: يا بنيتي لا تقولي شعراً ولكن قولي: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق:١٩] [(٢)].

فهذا أبو بكر رضي الله عنه وهو في آخر رمق في الحياة وفي شدة سكرات الموت يتذكر كتاب الله ويستحضر آياته.

الحكمة من اشتداد سكرات الموت على المؤمن:

وما اشتداد سكرات الموت على المؤمن إلا ليلقى الله وقد كَفّر الله بها عن سيئاته؛ حتى يلقى الله وليس عليه شيءٌ من السيئات، أو خفف بعضاً من سيئاته.

ملك الموت موكل بقبض الأرواح:

لقد وكل الله ملك الموت بقبض أرواح العباد، وإذا جاء ملك الموت ليقبض روح المؤمن جاءه بصورة حسنة طيبة، فيعالج روحه ويسلها من جسده كما تُسل الشعرة من العجين، قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة:١١] ، تدلل الآية على أن الله وكل ملك الموت بقبض أرواح العباد؛ وتحضر ملائكة الرحمة مع ملك الموت عليه السلام ، قال تعالى: ﴿... حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام:٦١].

حضور ملائكة موكلون بقبض الروح مع ملك الموت:

في الآية بيان أنه يوجد مع ملك الموت ملائكة موكلون بقبض الأرواح، وهم لا يقصرون، ولا يضيعون ما أمروا به [(٣)]، إذاً هناك ملائكة تحضر مع ملك الموت، وإذا حضر عنده الملائكة

---

(١) أي تتردد في صدره ولها صوت، وهي الغرغرة عند الموت وتردد النَّفَسْ، لسان العرب، م٤، ص ١٢٩.

(٢) الطبقات الكبرى، لابن سعد، ج٣، ص١٤٦، صححه الألباني في كتاب صحيح موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، ج٢، ص٣٣٧، حديث رقم (١٨٢٢).

(٣) تفسير الجلالين، ص١٧٨.

بشروه بالجنَّة، وألا يخاف مما هو قادم عليه، ولا يحزن على ما خلّفه في الدنيا؛ فإن الله سيخلفه فيه وهو أرحم الراحمين، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصّلت:٣٠] ، تبين الآية أن الذين قالوا ربنا الله، ثم استقاموا على هذا القول (بتوحيد الله وغيره مما وجب عليهم) وثبتوا على ذلك، أولئك تتنزل عليهم الملائكة عند الموت بأن لا يخافوا من الموت وما بعد الموت، ولا يحزنوا على ما خلّفوا من أهل وولد فالله يخلفكم فيه، وأبشروا بالجنَّة التي كنتم توعدون بها في الحياة الدنيا [(١)].

وإذا بُشر المؤمن بالجنَّة، استبشر وفرح وأحب الموت، عن عبادة بن الصامت أن النبي ﷺ قال: **(من أحب لقاء الله، أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله، كره الله لقاءه)** قالت عائشة أو بعض أزواجه: إنا لنكره الموت، قال: **(ليس ذلك، ولكن المؤمن إذا حضره الموت وبشر برضوان الله وكرامته، فليس شيء أحب إليه مما أمامه، فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا حضر بُشِّر بعذاب الله وعقوبته، فليس شيء أكره إليه مما أمامه، فكره لقاء الله وكره الله لقاءه)**[(٢)].

كيف تقبض روح المؤمن:

كما أن المؤمن حفظ الله في الدنيا، فلا بد أن يحفظه ويرعاه ويكرمه في الدنيا وعند قبض روحه وفي الآخرة، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(إذا حضر المؤمن الموت أتته ملائكة الرحمة بحريره بيضاء، فيقولون: أخرجي راضيةً مرضياً عنك إلى روح الله وريحان ورب غير غضبان فتخرج كأطيب ريح المسك، حتى إنه ليناوله بعضهم بعضاً حتى يأتوا به باب السماء فيقولون: ما أطيب هذه الريح التي جاءتكم من الأرض؟ فيأتون به أرواح المؤمنين، فلهم أشد فرحاً من أحدكم بغائبه يقدم عليه، فيسألونه: ماذا فعل فلان؟ ماذا فعل فلان؟ فيقولون: دعوه فإنه كان في غم الدنيا، فإذا قال لهم: فلان قد مات أتاكم؟ قالوا: ذهب إلى أمه الهاوية، وإن الكافر إذا احتضر أتته ملائكة العذاب بمسخ فيقولون: أخرجي ساخطة عليك إلى عذاب الله، فتخرج كأنتن ريح جيفة، حتى يأتوا به باب الأرض فيقولون: ما أنتن هذه الريح؟ حتى يأتوا به أرواح الكفار)** [(٣)].

---

(١) تفسير السُّدى، ص٤٢٨ بتصرف.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ص١٣٢٠، ١٣٢١، حديث رقم (٦٥٠٧)، وصحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ص١٢٨٨، ١٢٨٩، حديث رقم (٢٦٨٤).

(٣) البحر الزَّخار، مسند البزَّار، أبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق العتكي البزَّار، ج١٧، ص٣٠، حديث رقم (٩٥٤٢)، صححه الألباني في كتاب مشكاة المصابيح، ج١، ص٥١١-٥١٢.

بعد قبض روح المؤمن، يغسل ويكفن ويصلى عليه ويدفن في القبر.

بالنظر إلى هذه الحالة التي يلقاها المؤمن عند الموت، وكيف أن قدرة الله وعظمته التي حولت الطين إلى إنسان حي بنفخ الروح فيه، وكيف نزعت هذه الروح من الجسد ليتحلل ويعود إلى مكوناته الأصلية التي سلت من الأرض؟؟؟

إنها قدرة العظيم الذي وهبها للإنسان، والذي ينزعها من الإنسان إنه الله خالق الخلق رب العرش العظيم.

المطلب الثاني: القدرة الإلهية على نفس الكافر والمنافق:

الكافر منكر جاحد، والمنافق متردد ما بين الكفر والإيمان، يبطن الكفر ويظهر الإيمان، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان، وهل جزاء الكفر والنِّفَاق إلا الخزي والخسران في الدنيا والآخرة، لذا يأتي ملك الموت؛ ليقبض روح الكافر والمنافق في صورة مخيفة، وريحه نتنة، فينزعها بصورة مؤلمة كما ينتزع الحرير من الشوك، أو الحسك – نوع من الشوك – من الصوف.

حال الكافر والمنافق عند الاحتضار:

الصورة التي يأتي بها ملك الموت ليقبض روح الكافر والمنافق، صورة مخيفة فزعة لا تستطيع النَّفس الإنسانية إطاقتها وتحملها، قال تعالى: ﴿... **وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ المَوْتِ وَالمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ اليَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ غَيْرَ الحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آَيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ**﴾ [الأنعام:٩٣].

بيّن سيد قطب أن هذه الآيات ترسم مشهداً مروعاً كئيباً مليئاً بالعذاب والهول والضيق الذي يلاقيه المشركون المكذبون وهم في غمرات الموت وسكراته، والملائكة يبسطون أيديهم بالعذاب، وهم يطلبون أرواحهم للخروج من أجسادهم، في هذه الأحوال يلاقون العذاب الهون بما كانوا يقولون على الله غير الحق، وبما كانوا يستكبرون ويتعالون على الله ورسوله وعلى المؤمنين(١).

قال تعالى: ﴿**وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا المَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الحَرِيقِ**﴾ [الأنفال:٥٠]، هذه الآية القرآنية أيضاً ترسم حال الكافرين حين الاحتضار، وتضع هذه الآية المشهد أمام أعيننا، في حالٍ تحضر به الملائكة لإخافة الكافرين وتعذيبهم، فيقومون بضرب وجوههم وأستاهم، ويسوموهم سوء العذاب المُحرق (٢). وفي آية أخرى أيضاً يبين الله مآل الكافرين

---

(١) في ظلال القرآن، م٢، ص١١٤٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم، م٢، ص٣٣٢ بتصرف.

حال الاحتضار، قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ [محمد:٢٧].

تنتهي هذه الحال (التي يعيشها الكافر والمنافق وقت الاحتضار) بعد الموت، أُفيق الناس نتيجة لتكشف الحُجب، فيتضح الأمر لكل إنسان خصوصاً الكافر والمنافق، قال الإمام علي بن أبي طالب:"الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا"(١)، بالموت ينتقل الإنسان من عالم الحياة إلى عالم البرزخ.

حياة البرزخ:

البرزخ: هو الحاجز بين الشيئين، وهو من وقت الموت إلى يوم البعث، من مات دخله (٢).

تنتهي الحياة الدنيا بالموت، ثم يتبع الموت فترة زمنية يمكث فيها الميت في قبره، يلاقي فيها إما نعيماً يتنعم فيها المؤمن، أو عذاباً وجحيماً يلاقيه الكافر أو المنافق.

قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون:٩٩-١٠٠].

يبين أبو الليث السمرقندي في تفسيره لهذه الآية حال الإنسان حين الموت، وأن هناك حياة تسمى بحياة البرزخ، قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ يعني: يقول لملك الموت وأعوانه سيدي ردني .. أو يا رب مرهم ليرجعوني إلى الدنيا ﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا﴾ يعني: خالصاً ﴿فِيمَا تَرَكْتُ﴾ في الدنيا، قال تعالى: ﴿كَلَّا﴾ وهو رد عليهم يعني: أنه لا يرد إلى الدنيا ثم قال ﴿إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾ يعني: يقولها ولا تنفعه ثم قال: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ﴾ يعني: من بعدهم القبر ﴿إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾.

ثم أورد السمرقندي عدة أقوال في معنى البرزخ منها:

١- البرزخ ما بين الدنيا والآخرة.

٢- كل حاجز بين الشيئين فهو برزخ.

٣- ما بين النفختين فهو البرزخ.

٤- بقية الدينا.

٥- القبر بين الدنيا والآخرة (٣).

---

(١) كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، م٢، ص٢٨٠.

(٢) لسان العرب، م٢، ص ٦١.

(٣) تفسير السمرقندي، بحر العلوم، ج٢، ص٤٢١.

يرى الباحث أن هذه الأقوال تدور حول مشكاة واحدة وهي الحياة التي يحياها الإنسان منذ الموت في القبر إلى أن يُبعث مرة أخرى يوم القيامة للحساب، والتي تسمى بحياة البرزخ.

أحوال القبر:

القبر أول منازل الآخرة، وهو إما روضة من رياض الجنَّة وإما حفرة من النَّار والعياذ بالله لذا وردت أحاديث كثيرة تبين أحوال القبر منها:

روى البخاري عن أنس بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ قال: **(إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وأنه ليسمع قرع نعالهم إذا انصرفوا أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل محمد ﷺ؟ فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال له: انظر إلى مقعدك من النَّار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنَّة فيراهما جميعاً ويفتح له من قبره إليه، وأما الكافر أو المنافق، فيقول: لا أدري، كنت أقول كما تقول الناس فيقال لا دريت ولا تليت ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة فيسمعها من يليه إلا الثقلين)** [١].

إحياء الميت في القبر ومعاودة الروح أمر سماعي [٢] لا ندركه فهو من الأمور الأخروية التي يعجز العقل البشري عن إدراك كيفيتها والإحاطة بها، والتي يجب الإيمان بها، وفي الحديث دلالة على أن هناك ملكين يأتيان للميت في قبره ويسألانه عن النبي ﷺ واتباعه له، فإن آمن به يريانه مقعده من النَّار واستبداله بمقعده في الجنَّة، ثم يفتح له من قبره إلى مقعده من الجنَّة ويُنعم في قبره، أما الكافر، أو المنافق الذي لم يؤمن بمحمد ﷺ فيضرب بمطارق من حديد ويعذب في قبره.

وإجابة الملكين في القبر هو تثبيت من الله للمؤمن مقابل ما عمله من خير في الحياة الدنيا. عن البراء بن عازب ﷺ عن النبي ﷺ قال: **(إذا أُقعد المؤمن في قبره أُتي ثم شَهِدَ أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله، فذلك قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آَمَنُوا بِالقَوْلِ الثَّابِتِ ...﴾** [إبراهيم:٢٧])، وفي رواية أخرى **﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آَمَنُوا بِالقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ نزلت في عذاب القبر** [٣].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر، ص٢٨٤، حديث رقم (١٣٧٤).

(٢) ما كان طريق العلم به السمع الوارد في الكتاب والسنة، والآثار مما ليس للعقل فيه مجال، بمعنى أن علمه لا يعلمه إلا من الله أو رسوله ﷺ لأنه من الأمور الغيبية. لوامع الأنور البهية وسواطع أسرار الأثرية، الإمام محمد بن أحمد السفاريني الأثري الحنبلي، ج٢، ص ٣.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر، ص٢٨٣، حديث رقم (١٣٦٩).

صفة الملكين:

الملكان اللذان يأتيان للميت في قبره لهما صفات وردت في أحاديث كثيرة منها:

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : **(إذا قُبر الميت– أو قال: أحدُكم– أتاه ملكان أسودانِ أزرقانِ، يقال لأحدهما: المُنكَرُ، وللآخر: النَّكيرُ، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول ما كان يقولُ: هو عبد الله ورسوله، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فيقولان: قد كنَّا نعلم أنك تقول هذا ثم يُفسحُ له في قبره سبعون ذراعاً في سبعين، ثم ينورُ له فيه، ثم يقال له: نم، فيقولُ: أرجعُ إلى أهلي أخبرهم؟ فيقولان: نم كنومةِ العروس الذي لا يوقظهُ إلا أحبُّ أهلهِ إليهِ، حتى يبعثهُ الله من مضجعهِ ذلك، وإن كان منافقاً، قال: سمعتُ الناسَ يقولونَ فقلتُ مثله، لا أدري، فيقولانِ: قد كنا نعلم أنك تقول ذلك، فيقالُ للأرض: التئمي عليه، فتلتئم عليه، فتختلفُ فيها أضلاعُهُ، فلا يزال فيها مُعذباً حتى يبعثهُ الله من مضجعهِ ذلك)** [(١)].

هذا حال المؤمن والكافر والمنافق من الموت إلى أن يبعث في قبره.

خلاصة المبحث:

أوضح المبحث القدرة الإلهية عند الموت على كلٍّ من نفس المؤمن وما يلاقيه أثناء الاحتضار من بشائر الرحمة والمغفرة، وفي المقابل حال الكافر والمنافق وما يلاقيه حال الاحتضار والموت من العذاب.

---

(١) سنن الترمذي، باب ما جاء في عذاب القبر، ص٢٥٣-٢٥٤، حديث رقم (١٠٧١)، وحسنه الألباني.

المبحث الثاني

القدرة الإلهية على النَّفس البشرية ما بعد الموت

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: القدرة الإلهية عند البعث.

المطلب الثاني: القدرة الإلهية عند الحشر.

المبحث الثاني

القدرة الإلهية على النَّفس البشرية ما بعد الموت

المطلب الأول: القدرة الإلهية عند البعث:

تنتهي الحياة الدنيا بفناء عالمنا، فيموت كل من فيه من الأحياء، فتُبدل الأرض غير الأرض، والسماوات غير السماوات، ثم ينشئ الله النشأة الأخرى فيبعث الله الناس جميعاً، ويرد إليهم الحياة مرة أخرى.

وجوب الإيمان باليوم الآخر:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا آَمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوْمِ الآَخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء:١٣٦]، فهذه الآية تدلل على وجوب الإيمان باليوم الآخر.

أما الأحاديث الدالة على وجوب الإيمان باليوم الآخر، عن عبد الله بن عمر عن أبيه عمر ابن الخطاب قال: بينما نحنُ عندَ رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجلٌ شديد بياض الثياب شديدُ سوادِ الشعر لا يُرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند رُكبتيه إلى ركبتيه ووضع كفَّيه على فخذيه وقال يا محمد أخبرني عن الإسلام فقال رسول الله ﷺ: **(الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا اللهُ وأنَّ محمداً رسولُ اللهِ وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاةَ وتصومَ رمضانَ وتحُجَّ البيت إن استطعت إليه سبيلاً)**، قال: صدقت، قال: فعجبنا له يسألهُ ويصدقهُ، قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: **(أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسلهِ واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره)**، قال: صدقت، قال: فأخبرني عن الإحسان؟ قال: **(أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)**، قال: فأخبرني عن الساعة؟ قال: **(ما المسئول عنها بأعلم من السائل)**، قال: فأخبرني عن أمارتِها؟ قال: **(أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العُراة العَالَة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان)** قال: ثم انطلق فلبثتُ ملياً ثم قال لي: **(يا عمر أتدري من السائل؟)** قلتُ: اللهُ ورسولهُ أعلم، قال: **(فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينَكُم)** [١].

في الحديث دلالة على وجوب الإيمان باليوم الآخر.

(١) سبق تخريجه، ص ٦٣.

معنى اليوم الآخر:

الإيمان باليوم الآخر يدخل فيه كل ما أخبر الله به ورسوله ﷺ مما يكون بعد الموت: كفتنة القبر، وعذابه، ونعيمه وما يكون يوم القيامة من الأهوال والشدائد، والبعث، والحشر، والصحف، والميزان، والصراط، والجزاء والحساب، ونشر الصحف بين الناس، والحوض، والجنَّة والنَّار وغيرها من الأمور المتعلقة باليوم الآخر (١).

ويعتبر كذلك الإيمان باليوم الآخر الركن الخامس من أركان الإيمان كما ورد في الحديث السابق.

أسماء اليوم الآخر في القرآن الكريم:

لا تكاد سورة في القرآن الكريم تخلو عن الحديث عن اليوم الآخر وما سيكون فيه من أحداث، بصور وأساليب كثيرة ومتنوعة، تارة بتفصيلات دقيقة، وتارة بإيجاز، ولقد أطلق القرآن الكريم أسماء كثيرة على يوم القيامة، ومن الأسماء التي وردت في كتاب الله ليوم القيامة:

* **يوم البعث:** الذي يشير إلى البعث إلى الحياة بعد الموت، قال تعالى: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ وَالإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللهِ إِلَى يَوْمِ البَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ البَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾ [الرُّوم:٥٦].

* **يوم القيامة:** والذي يشير إلى قيام الناس إلى حساب الله: قال تعالى: ﴿**وَيَوْمَ القِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جهنَّم مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ**﴾ [الزُّمر:٦٠].

* **يوم الفصل:** والذي يشير إلى الفصل بين الناس بالعدل، قال تعالى: ﴿**إِنَّ يَوْمَ الفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا**﴾ [النَّبأ:١٧].

* **يوم الدين:** والذي يشير إلى إدانة الخلائق ومجازاتهم على أعمالهم، قال تعالى: ﴿**مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾ [الفاتحة:٤].

* **يوم الخروج:** والذي يشير إلى خروج الناس من قبورهم إلى الحياة الأخرى، قال تعالى: ﴿**يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الخُرُوجِ**﴾ [ق:٤٢].

وهناك أسماء كثيرة منها: يوم الحساب، يوم الفتح، يوم التلاق، يوم الجمع، يوم التغابن، يوم الخلود، يوم الخروج، يوم الحسرة، يوم التناد، يوم الآزفة، الطامة، الصاخة، الساعة، الحاقة،

---

(١) اليوم الآخر من الموت إلى الخلود في الجنَّة أو النَّار، د. أحمد جابر محمود العمصي، ص٣٣.

الواقعة، الغاشية، وغير ذلك من الأسماء [1].

العلة من تعدد وتنوع أسماء اليوم الآخر: التهويل والتعظيم من أمر يوم القيامة.

بداية اليوم الآخر:

يبدأ بأحداث تغيير عام في هذا الكون، فتنشق السماء، وتتناثر النجوم، وتتصادم الكواكب، وتتفتت الأرض، ويخرب كل شيء، ويدمر كل ما عرفه الإنسان في هذا الوجود.

* قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا للهِ الوَاحِدِ القَهَّارِ﴾ [إبراهيم:٤٨].

* قال تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزَّلزلة:١].

* قال تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ * وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ [الانشقاق:١-٢].

* قال تعالى: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ * وَإِذَا الجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ [التَّكوير:٢-٣].

* قال تعالى: ﴿وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ * وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ * وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ [الانشقاق:٣-٥].

* وقال تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التَّكوير:١].

وهناك صوراً أخرى من صور التغير لهذا الكون في القرآن الكريم.

ولقد ثبت لدى علماء العلم الطبيعي أن هذا الكون سيأتي يوم ينتهي فيه كل شيء [2].

علم الساعة:

هو اليوم الذي تنتهي فيه الحياة الدنيا وتأتي بعدها الآخرة، وهو علم من العلوم التي استأثر بعلمها خالق الكون فلم يطلع عليه نبياً مرسلاً، ولا مَلَكاً مقرباً.

* قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ...﴾ [لقمان:٣٤].

* قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ ...﴾ [فصِّلت:٤٧].

* قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا

---

(١) لمزيد من المعلومات، انظر: حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، الإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر "ابن قيم الجوزية"، ص ١٠٦-١١٢، وكتاب البعث والدار الآخرة في هدي القرآن الكريم، د. محمد عبد السلام أبو النيل، ص ٥٧-٩٦.

(٢) العقائد الإسلامية، الشيخ سيد سابق، ص٢٦٦.

يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:١٨٧].

الحكمة من إخفاء علم الساعة:

أخفى الله علم الساعة لأن ذلك أدعى إلى طاعة الله ﷻ، وأزجر عن المعصية.

البعث:

يبدأ اليوم الآخر بالبعث والذي يعني المعاد الجسماني، وإحياء العباد في يوم المعاد.

والنشور مرادف في المعنى، فنشر الميت إذا عاش بعد الموت [1]، فإذا شاء الحق تبارك وتعالى إعادة العباد وإحيائهم أمر إسرافيل فنفخ في الصور فتعود الأرواح إلى الأجساد، ويقوم الناس لرب العالمين، قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزُّمر:٦٨]، وقال أيضاً مصور هذا المشهد العجيب ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ * قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ * إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [يس:٥١-٥٣].

لتكامل معنى هذه الآيات؛ لابد من الرجوع إلى الآيات السابقة لها والتي تشير وتدلل على إنكار واستبعاد الكفرة ليوم القيامة: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [يس:٤٨]، فيجيبهم الله تبارك وتعالى: ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ * فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ [يس:٤٩-٥٠]، بمعنى فإذا صيحة واحدة وهي صيحة الفزع والناس في أسواقهم ومعايشهم يختصمون ويتشاجرون على عادتهم فلا يستطيعون توصية على ما يملكون، فالأمر أهم من ذلك، ولا إلى أهلهم يرجعون، ثم بعد ذلك تكون نفخة الصعق التي يموت بها الأحياء كلهم ما عدا الحي القيوم، ثم بعد ذلك تأتي نفخة البعث، قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ [يس:٥١]، وهذه هي النفخة الثالثة التي يبعث وينشر الناس من الأجداث والقبور، والنسلان: هو المشي السريع، يسيرون إلى ربهم للحساب، في ذلك الموقف المهيب يقول المنكرون للبعث: ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾، عن هذا الموقف تجيبهم الملائكة ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾، حينها يتحقق وعد الرّسل لهم، فما هي إلا صيحة واحدة ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾، فإنما أمرنا أمر واحد فإذا الجميع لدينا محضرون إلى الله للحساب [2].

---

(١) سبق الحديث عنه في الفصل التمهيدي من الرسالة، ص ٥٢-٥٤.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، م٣، ص٥٨١، ٥٨٢ بتصرف.

النفخ في الصور:

الصور هو القرن الذي ينفخ فيه الملك الموكل بالنفخ فيه، وهو إسرافيل ـ وهو واقف موقف الاستعداد منذ أن خلقه الله استعداداً لأمر الله ـ له [(١)].

جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال له: ما الصور؟ قال: **(قرن ينفخ فيه)** [(٢)].

وقال مجاهد: الصور كهيئة البوق [(٣)].

عن أبي هريرة ـ قال: قال رسول الله ـ : **(إن طرف صاحب الصور قد وكل به مستعد ينظر نحو العرش مخافة أن يؤمر قبل أن يرتد إليه طرفه كأن عينيه كوكبان دربان)** [(٤)].

وفي حديث آخر عن أبي سعيد الخدري ـ قال: قال رسول الله ـ : **(كيف أنعمُ وصاحبُ القرنِ قد التقم القرن واستمع الإذن متى يؤمر بالنفخ فينفخ)**، قال المسلمون: فكيف نقول يا رسول الله؟ قال: **(قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا)** [(٥)].

اليوم الذي ينفخ فيه في الصور:

عن أوس بن أوس قال: قال رسول الله ـ : **(إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعق، فأكثروا عليّ من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة عليّ... الحديث)** [(٦)].

فالنفخ في الصور يكون يوم الجمعة، وهو اليوم الذي خلق فيه آدم وفيه قبض.

كيفية البعث:

إذا أراد الله تبارك وتعالى إعادة العباد وإحيائهم أمر إسرافيل بالنفخ في الصور، فتعود الأرواح إلى الأجساد ويقوم الناس لرب العالمين، قال تعالى: ﴿... ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ

---

(١) التبيان شرح أركان الإيمان، م٢، ص١٥٩.

(٢) سنن الترمذي، باب ما جاء في شأن الصور، ص٥٤٧، حديث رقم (٢٤٣٠).

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب نفخ الصور، م١١، ص٣٧٤.

(٤) المستدرك على الصحيحين، كتاب الأهوال، م٨، ص٣١٠٢، حديث رقم (٨٦٧٦)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، م٣، ص٦٥، حديث رقم (١٠٧٨).

(٥) سنن الترمذي، مرجع سابق، باب ما جاء في شأن الصور، ص٥٤٨، حديث رقم (٢٤٣١)، قال الألباني حديث صحيح.

(٦) سنن أبي داود، باب فضل يوم الجمعة وليلة الجمعة، ص١٨٢، حديث رقم (١٠٤٧)، قال الألباني حديث صحيح.

يَنْظُرُونَ﴾ [الزُّمر:٦٨]، ويسبق النفخة الثانية في الصور نزول ماء من السماء ليحيي الله به النّاس فتنبت منه أجساد العباد كما يُنبت الماء البقل، وهذه العظمة التي تنبت هي العظمة التي لا تأكلها الأرض فتظل إلى يوم البعث كما هي.

عن أبي هريرة - أن رسول الله - قال: **(كلُّ ابن آدم يأكله الترابُ إلا عجبَ الذنبِ [1] منه خلق وفيه يركب)** [2].

وفي رواية أخرى من نفس الحديث عن أبي هريرة - عن رسول الله - قال: **(إنَّ في الإنسان عظماً لا تأكله الأرض أبداً منه يركبُ يوم القيامة، قالوا أي عظمٍ يا رسول الله؟ قال عجب الذنب)**[3].

ومن دلائل عظمة الله وقدرته أن هذه العظْمة لا تأكلها الأرض، ولا تتأثر بالحرق، ولا بالضغط؛ وهي التي تحمل العوامل الوراثية للإنسان.

المدة ما بين النفختين:

وفي حديث آخر برواية أخرى من نفس الحديث السابق يبين النبي ﷺ المدة ما بين النفختين، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **(ما بين النفختين أربعون، قالوا يا أبا هريرة أربعون يوماً؟ قال أبيت** [4] **، قالوا أربعون شهراً؟ قال: أبيتُ، قالوا: أربعون سنة؟ قال: أبيتُ، ثم ينزلُ الله من السماء ماءً فينبتون كما ينبت البقلُ قال وليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظماً واحداً وهو عجب الذَّنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة)** [5].

عدد النفخات في الصور:

تعددت آراء العلماء في عدد النفخات، هل هي ثلاث أم اثنتان؟

---

(١) عجبُ الذَّنب: العظم اللطيف الذي في أسفل الصلب وهو رأس العُصعص، وهو أول ما يخلق من الآدمي وهو الذي يبقى منه ليعاد تركيب الخلق يوم البعث. انظر: لسان العرب، م١٠، ص ٣٩.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الفتن، باب ما بين النفختين، ص١٤٠٩، حديث رقم (٢٩٥٥).

(٣) المرجع السابق، نفس الكتاب والباب والصفحة، الحديث من رواية أخرى.

(٤) أبيت أن أجزم أن المراد أربعون يوماً أو سنة أو شهراً بل الذي جزم به أربعون. انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، م٦، ج١٧، ص ٩٢.

(٥) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء، شاء، ص١٠١٧، حديث رقم (٤٨١٤)، وصحيح مسلم، كتاب الفتن، باب ما بين النفختين، ص١٤٠٩، حديث رقم (٢٩٥٥).

أ- **عدد النَّفخات في الصور هي نفختان:** فجعل أصحاب هذا الرأي نفخة الفزع مقدمة، بمعنى نفخة الصعق، يفزعون أولاً ثم يصعقون، فتكون واحدة فالصعق ملازم للفزع الأكبر أي فزعوا فزعاً ماتوا منه فتكون (نفختين في آن واحد) استدلوا بحديث النبي ﷺ قال: **(بين النفختين أربعون، قالوا: يا أبا هريرة أربعون يوماً، قال: أبيت، قال: أربعون سنة، قال: أبيت، قال: أربعون شهراً، قال: أبيت، ويُبلى كل شيء من الإنسان إلا عجب ذنبه فيه يُركب الخلق)**[(١)]، حيث قال أصحاب هذا الرأي أن النبي ﷺ ذكر في الحديث نفختين وليس ثلاثاً.

ب- **عدد النفخات في الصور ثلاث نفخات:** ينفخ فيه ثم يفزعون، ثم ينفخ ثانية فيصعقون، ثم ينفخ ثالثة فيبعثون.

والراجح هو القول الثاني لأن صريح القرآن يدل عليه، فلقد فرق الله في صريح القرآن بين نفخة الفزع، ونفخة الصعق، ونفخة البعث [(٢)].

بعد هذه النفخات يقف الناس في موقف مهيب للحساب أمام الله تبارك وتعالى.

المطلب الثاني: القدرة الإلهية عند الحشر:

يوم القيامة بعد بعث الناس من قبورهم، يساقون للحشر.

الحشر لغة: بمعنى المجمع، ومنه يوم المحشر، أي: جمع الناس يوم القيامة، والمحشر: المجمع الذي يحشر إليه القوم [(٣)].

الحشر اصطلاحاً: قال السفاريني: "هو جمع أجزاء الإنسان بعد التفرقة، ثم إحياء الأبدان بعد موتها وسوقها إلى محشرها لفصل القضاء [(٤)]، أو سوق الناس جميعاً إلى الموقف العظيم بعد بعثهم من قبورهم، على أرض المحشر الذي ينتظر فيه الخلائق فصل القضاء فيهم [(٥)].

* قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الجِبَالَ وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف:٤٧].

في الآية بيان لمشاهد يوم القيامة؛ والتي منها تسيير الجبال بأن يجعلها الله هباءً منثوراً منبثاً، وترى الأرض بارزة ليس عليها ما يسترها مما كان عليها من الجبال والأشجار، وحشر الناس

---

(١) سبق تخريجه، ص ٢٣٧.

(٢) اليوم الآخر من الموت إلى الخلود في الجنَّة أو النَّار، ص١٤٧، ١٤٨.

(٣) انظر: لسان العرب، م٤، ص ١٢٧، والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير، "للرافعي": أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، ص ١٨٧.

(٤) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، ج٢، ص ١٥٨.

(٥) اليوم الآخر بعد الموت إلى الخلود في الجنَّة أو النَّار، ص ١٦١.

فلم يترك منهم أحداً [١].

وفي آية أخرى يبين الله حشر المؤمنين والمجرمين كلاً إلى مكانه المعد له.

* قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا * وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جهنَّم وِرْدًا﴾ [مريم: ٨٥-٨٦].

تبين الآية حال المؤمنين المتقين، وحال الكافرين المخالفين المكذبين للرّسل، وشتان بين المؤمن والكافر، فالمؤمنون يساقون للحشر جماعات معززين مكرمين يسعى نورهم بين أيديهم، أما الكافرون فإنهم يساقون عنفاً عطاشاً صاغرين إلى النار [٢].

صفة حشر العباد:

يحشر العباد حفاة عراة غُرلاً "غير مختونين"، عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: **(إنكم محشورون حفاة عراة غرلاً)** ثم قرأ قوله تعالى: ﴿... كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٤] [٣] .

وعن عائشة رضي الله عنها في هذا الحديث قالت: يا رسول الله الرجال والنساء جميعاً، ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال: **(يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض)** [٤].

من خلال هذه الأحاديث نتبين صفة حشر الناس يوم القيامة، فيحشر الناس كيوم ولدتهم أمهاتهم، فاستغربت عائشة رضي الله عنها من طبيعة حشر الناس عراةً، فبين النبي ﷺ أن الأمر أكبر من أن ينظر بعضهم إلى بعض من شدة رهبة هذا الموقف، فالناس الكل ينتظر رحمة الله ومغفرته.

أرضِ المحشر:

الأرض التي يحشر العباد عليها يوم القيامة؛ أرض أخرى غير هذه الأرض، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لله الوَاحِدِ القَهَّارِ﴾ [إبراهيم:٤٨] .

قال ابن مسعود في بيان معنى هذه الآية: "تبدل أرضاً بيضاء مثل الفضة، لم يُسفك عليها دمٌ حرام، ولا يُفعل فيها خطيئة" [٥].

---

(١) انظر: تفسير النسفي "منازل التنزيل وحقائق التأويل"، م٢، ص ٩٥١.

(٢) تفسير القرآن العظيم، م٣، ص ١٤٤، وتفسير البغوي "معالم التنزيل"، ج٣، ص ١٧٥ بتصرف.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب الحشر، ص ١٣٢٣، حديث رقم (٦٥٢٥).

(٤) نفس المصدر السابق والمرجع والصفحة، حديث رقم (٦٥٢٧).

(٥) معاني القرآن، لأبي جعفر النحاس، م١، ص٥٩٣.

ولقد بين النبي ﷺ صفة هذه الأرض التي يكون عليها الحشر، عن سهل بن سعد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(يُحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء** (١)**، كقرصة النَّقِي**(٢)**)**، قال سهل أو غيره: **(ليس فيها معلم لاحد** (٣)**)** (٤).

والوقت الذي تبدل فيه الأرض غير الأرض والسماوات هو وقت مرور الناس على الصراط أو قبل ذلك بقليل.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: سألتُ رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿**يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا للهِ الوَاحِدِ القَهَّارِ**﴾ [إبراهيم:٤٨] **فأين يكون الناس يا رسول الله؟ فقال: على الصراط** (٥).

والصراط: جسر ممدود على متن جهنَّم، يرده الأولون والآخرون، فهو قنطر جهنَّم بين الجنَّة والنَّار (٦) .

وهذا الصراط أحد من السيف وأدق من الشعرة فيه خطاطيف، وكلاليب مأمورة بأخذ من أمرت به، فمن الناس من يمر كطرف العين، وكالبرق، وكالريح، وكالطير، وكأجود الخيل.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ : (... **ويضرب جسر جهنَّم، قال رسول الله ﷺ فأكون أول من يجيز** (٧)**، ودعاء الرّسل يومئذ: اللهم سلِّم سلِّم، وبه كلاليب مثل شوك السعدان** (٨)**، أما أما رأيتم السعدان؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: فإنها مثل شوك السعدان، غير أنها لا يعلم قدر عظمها إلا الله، فتخطف الناس بأعمالهم: منهم الموبَقُ** (٩) **بعمله، ومنهم المخردل** (١٠) **لم ينجُ**

---

(١) العفر: بياض ليس بناصع، وقيل: بيان يضرب إلى الحمرة، وقيل: خالصة البياض، وقيل: شديدة البياض.

(٢) كقرصة النَّقي: أي الدقيق النقي من الغش والنخال.

(٣) ليس فيها معلم لاحد: بمعنى أنها ليس فيها علامة سُكنى ولا بناء ولا أثر ولا شيء من العلامات التي يُهتدى بها من الطرقات كالجبال والصخرة البارزة. انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، م١١، ص ٣٨٣.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب يقبض الله الأرض يوم القيامة، ص١٣٢٣، حديث رقم (٦٥٢١).

(٥) صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنَّة والنَّار، باب في البعث والنشور وصفة الأرض يوم القيامة، ص ١٣٤٠، حديث رقم (٢٧٩١).

(٦) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، ج٢، ص ١٨٩.

(٧) بمعنى: يكون النبي ﷺ وأمَّته أول من يمضي على الصراط ويقطعه.

(٨) نوع من أنواع الشوك يمتاز بشوكه وطيب مرعاه.

(٩) بمعنى: الهلاك.

(١٠) بمعنى: أنَّ كلاليب النَّار تقطعه فيهوي في النَّار، كل هذه المعاني انظر: فتح الباري ... م١١، ص ٤٦١، ٤٦٢.

حتـى إذا فـرغ الله من القضــاء بيــن عباده، وأراد أن يخرج من النَّار من أراد أن يخرج ممن كان يشهد أن لا إله إلا الله، أمر الملائكة أن يخرجوهم فيعرفونهم بعلامة آثار السجود، وحرم الله على النَّار أن تأكل من ابن آدم أثر السجود، فيخرجونهم قد امتُحِشوا [1]**، فيصب عليهم ماء يقال يقال له ماء الحياة فينبتون نبات الحبة في حميل السيل، ويبقى رجل مقبل بوجهه على النَّار فيقول: يا رب قد قَشَبني ريحها، وأحرقني وكائها، فاصرف وجهي عن النَّار، فلا يزال يدعو الله فيقول: لعلك إن أعطيتك أن تسألني غيره، فيصرف وجهه عن النَّار، ثم يقول بعد ذلك: يا رب قرِّبني إلى باب الجنَّة، فيقول: أليس قد زعمتَ أن لا تسألني غيره؟ ويلك يا ابن آدم ما أغدرك. فلا يزال يدعو، فيقول: يا رب لا تجعلني أشقى خلقك، فلا يزال يدعو حتى يضحك، فإذا ضحك منه أذن له بالدخول فيها، فإذا أدخل فيها قيل: تمنَّ من كذا فيتمنى، ثم يقال له: تمنَّ من كذا فيتمنى، حتى تنقطع به الأماني، فيقولُ له: هذا لك ومثله معه، قال أبو هريرة: وذلك رجل آخر أهل الجنَّة دخولاً)** [2] .

كيف يقاد الناس إلى أرض المحشر:

بعد نفخ إسرافيل في السور وموت الناس جميعاً، فينفخ إسرافيل نفخة أخرى فيخرج الناس من قبورهم، فيسوقهم إسرافيل إلى أرض المحشر، وهذه الآيات توضح هذا الجانب:

* قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ [الانفطار:٤] .

بمعنى: "بُحِثت وأخرج موتاها" [3] .

وفي آية أخرى يقول الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ [يس:٥١] .

قال السَّعدي: "فإذا نفخ في الصور خرجوا من الأجداث والقبور ينسلون إلى ربهم، أي يسرعون للحضور بين يديه لا يتمكنون من التأني والتأخر" [4] .

ثم في آية أخرى بين الله حال العباد حين بعثهم وقد طبع لهم علامات يسيرون نحوها، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ [المعارج:٤٣] .

---

(١) بمعنى: احترقوا. انظر: فتح الباري ... م١١، ص ٤٦٦.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب الصراط جسر جهنَّم، ص١٣٢٩، حديث رقم (٦٥٧٣).

(٣) تفسير القرآن الكريم، "ري العليل من محاسن التأويل"، ص ٥٨٧.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٧٦٦.

تبين الآية حال الناس وهم يخرجون من الأجداث، وقد وضع لهم علامات يسرعون إليها[1].

وفي آية أخرى تبين حال الناس في هذا الموقف، قال تعالى: خشعا ﴿خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ * مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ [القمر: ٧-٨].

في الآية بيان لحال الناس حين خروجهم من القبور، وقد شبههم الله بحال الجراد المنتشر، وهم يتوجهون نحو المحشر؛ مسرعين في المشي فاتحين آذانهم للداعي الذي يدعوهم في هذا الموقف "إسرافيل" وفيها يقول الكافرون هذا يوم عسير [2] .

وقد وصفهم الله في آية أخرى كالفراش المبثوث، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالفَرَاشِ المَبْثُوثِ﴾ [القارعة:٤] .

ثم في آية أخرى يصف الله حالهم من الخشوع في هذا اليوم، فقال: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه:١٠٨] .

تصف هذه الآية حال الناس حينما يبعثون من قبورهم، ويقومون منها، فيدعوهم إسرافيل للحضور والاجتماع للموقف، فيتبعونه مهطعين إليه لا يلتفتون عنه ولا يعرجون يمنةً ولا يسرةً، فلا عِوج لدعوة الداعي، بل تكون دعوة حق، وصدق لجميع الخلق، يسمعهم جميعهم ويصيح لهم أجمعين فيحضرون لموقف القيامة؛ خاشعة أصواتهم للرحمن فلا تسمع إلا همساً، فلا تسمع إلا وطء الأقدام، أو تحريك الشفتين فقط يملكهم الخشوع والسكوت والإنصات انتظاراً لحكم الرحمن فيهم، وقد عنت وجوههم تذلل وخضوع [3] .

في هذا الموقف المهيب، كل الناس قيام، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ العَالَمِينَ﴾ [المطَّففين:٦] .

الكل واقف في أرض المحشر، وحال الناس في كرب شديد، ويزيد هذا الكرب وينقص بمقدار أعمالهم.

---

(١) تفسير القرآن الكريم، "ري العليل من محاسن التأويل"، ص ٥٦٩.

(٢) الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج٣، ص ٢٦٤.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٥٥٤.

كيف يحشر المتقون:

قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ [مريم:٨٥].

أورد الطبري والبغوي في تفسيريهما لقوله تعالى: (وفداً) عدة آراء تبين حال المتقين في المحشر منها:

قال ابن عباس: "ركباناً".

وقال أبو هريرة: "على الإبل".

وقال علي بن أبي طالب: "ما يحشرون على أرجلهم ولكن على نوق رحالهم الذهب ونجائب سرجها يواقيت، إن همُّوا بها سارت، وإن همُّوا بها طارت [(١)].

كيف يحشر الكافرون:

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جهنَّم كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء:٩٧].

قال ابن عباس: عمياً، فلا يرون شيئاً يسرهم، وبكماً: لا ينطقون بحجة، وصماً: لا يسمعون شيئاً يسرهم [(٢)].

وفي الحديث الصحيح عن قتادة قال: حدثنا أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلاً قال: **(يا نبي الله يُحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال: أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادراً على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة؟ قال قتادة: بلى وعزة ربنا)** [(٣)].

هذا حال الكافرين يحشرون على وجوههم صماً وبكماً وعمياً.

وفي هذا الموقف من الناس من يحشر كأمثال الذر، ومنهم من يحشر والشمس تدنو منه كمقدار ميل ليس له ظل، ومنهم من يغرق في عرقه، ومنهم من يلجمه إلجاماً.

عن عبد الرحمن بن جابر حدثني سُلَيمُ بن عامر حدثني المقداد بن الأسود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(تدنو الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل[(٤)] فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق، فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه،**

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، م٧، ص ٥٥٤٤، وتفسير البغوي "معالم التنزيل"، ج٣، ص ١٧٥.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، م٧، ص ٥٢٦٣.

(٣) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنَّم أولئك شر مكاناً وأضل سبيلاً، ص ١٠٠٢، حديث رقم (٤٧٦٠).

(٤) قال سُليم بن عامر: والله ما أرى ما يعني بالميل أمسافة الأرض؟ أم الميل الذي تكتحل به العين.

ومنهم من يكون إلى حقويه [١]**، ومنهم من يلجمه العرق لجاماً، وأشار ﷺ بيده إلى فيه)** [٢].

يرسم الحديث صورة الموقف العظيم يوم القيامة، ويصور حالة الناس في هذا اليوم حيث يتفاوتون في عرقهم تبعاً لأعمالهم، فكلما ساءت كلما اشتد العرق وعلا عليهم.

مقدار الحشر:

يبدأ الحشر بعد خروج الناس من قبورهم، وينتهي حتى يدخل أهل الجنَّة الجنَّة، وأهل النَّار النَّار.

مقداره على المؤمنين:

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال ﷺ: **(يوم القيامة على المؤمنين كقدر ما بين الظهر والعصر)** [٣] .

هذا اليوم على المؤمنين مثل ما بين الظهر والعصر، ينتظرون الكرامة من الله في ظل العرش فهم في رعاية الله وحفظه لا يصيبهم لهب الشمس التي لا تبعد عنهم إلا كقدر ميل.

مقداره على الكافرين:

قال ابن عباس: "مقدار الحساب يوم القيامة ألف سنة" [٤] .

قال تعالى: ﴿**وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ**﴾ [الحج:٤٧].

وقيل: يوم القيامة جعله الله على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة [٥] .

قال تعالى: ﴿**سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ * لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ * مِنَ اللهِ ذِي المَعَارِجِ * تَعْرُجُ المَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ**﴾ [المعارج: ١-٤].

---

(١) الحقوين: مفرده "الحَقو" وهو موضع شد الإزار وهو الخاصرة، والحِقوانِ والحَقْوان: الخاصرتان، "عظمة الحوض الجانبية"، كتاب المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، ج١، ص ١٩٩، ولسان العرب، م٤، ص ١٨٣ بتصرف.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الجنَّة وصفة نعيمها وأهلها، باب صفة يوم القيامة أعاننا الله على أهواله، ص ١٣٦٧، حديث رقم (٢٨٦٤).

(٣) المستدرك على الصحيحين، كتاب الإيمان، م١، ص ١٢٢، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، م٥، ص ٥٨٤، حديث رقم (٢٤٥٦).

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، م٧، ص ٥٨٨١.

(٥) نفس المرجع السابق، م١٠، ص ٨١٩٨.

هذه المشاهد ليوم الحشر تدلل على عظمة الله وقدرته التي تفرد بها، فما من مشهد إلا ويشير إلى عظمة وقدرة مطلقة، سبحانه وتعالى على خلقه بصفاته العليا وأسمائه الحسنى.

خلاصة المبحث:

أظهر المبحث القدرة الإلهية على النّفس البشرية عند البعث من خلال بيان الكيفية التي يُبعث فيها النّاس وما يحدث من أحداث يوم القيامة، ثم بيان القدرة الإلهية عند الحشر، وما يحدث في هذا اليوم.

المبحث الثالث

القدرة الإلـهية عند الحساب

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: القدرة الإلـهية في نصب الميزان.

المطلب الثاني: القدرة الإلـهية في العدل بين البشر.

المطلب الثالث: القدرة الإلـهية في الحياة الأبدية.

المبحث الثالث

القدرة الإلهية عند الحساب

المطلب الأول: القدرة الإلهية في نصب الميزان:

الميزان لغةً: اسم للآلة التي توزن بها الأشياء، أو هو ما تقدر به الأشياء خفةً وثقلاً، وورد الميزان كذلك بمعانٍ عديدة منها، العدل، والكتاب الذي فيه أعمال الخلق، والوزن هو معرفة قدر الشيء(1).

الميزان اصطلاحاً: قال ابن تيمية: الميزان هو ما يوزن به، وهو غير العدل (2).

قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء:٤٧].

قال تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف:٨].

وقال أيضاً: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف:٩].

وأجمع أهل السنة على الإيمان بالميزان وأن أعمال العباد توزن يوم القيامة، وأن الميزان له لسان وكفتان ويميل بالأعمال (3).

إذاً فهو ميزان حقيقي لا يقدر قدره إلا الله، له كفتان يضعه الله ﷻ يوم القيامة لوزن أعمال العباد لا يؤوَّل بالعدل كما أوَّلته بعض الفرق.

ولقد ذُكر الميزان عند الحسن فقال: "له لسان وكفتان" (4).

هذا الميزان لو وضعت السموات والأرض ومن فيهنَّ في كفة لوسعته.

ولقد ورد الميزان في السنة في مواضع عديدة منها:

---

(1) انظر: لسان العرب، م١٥، ص٢٠٥.

(2) مجموعة الفتاوى، تقي الدين أحمد بن تيمية، م٤، ص١٨٦.

(3) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، م١٣، ص٥٤٨.

(4) نفس المرجع والصفحة.

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : **(كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم)** [(١)].

وفي حديث آخر عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: **(الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان ... الحديث)** [(٢)].

الموكل بالميزان:

قال الحسن: "هو ميزان له كفتان ولسان، وهو بيد جبريل ﵇" [(٣)].

متى يكون الوزن:

قال العلماء: "إذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال؛ وذلك لأن الوزن للجزاء، فينبغي أن يكون بعد المحاسبة، فإن المحاسبة لتقرير الأعمال، والوزن لإظهار مقاديرها، ليكون الجزاء بحسبها" [(٤)].

هل هو ميزان واحد أم أكثر:

ورد في القرآن الكريم لفظ الميزان بصيغة الجمع، قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء:٤٧] .

قال ابن كثير: "إنما هو ميزان واحد، وإنما جمع باعتبار تعدد الأعمال الموزونة فيه" [(٥)].

ما الذي يوزن في الميزان:

تعددت آراء العلماء في الموزون في الميزان يوم القيامة منها:

أ- أعمال العباد:

فَتُصورُ الأعمالُ بصورة حسنة نورانية ثم تطرح في كفة النور، وهي اليمنى المعدة للحسنات فتثقل بفضل الله سبحانه وتصور الأعمال السيئة بصورة قبيحة ظلمانية ثم تطرح في كفة

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾، ص١٥٠٢، حديث رقم (٧٥٦٣)، وصحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، ص١٢٩٢، حديث رقم (٢٦٩٤).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء، ص١٣١، حديث رقم (٢٢٣).

(٣) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، م٢، ص١٨٥.

(٤) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي، أبواب الميزان، باب ما جاء في الميزان أنه حق، ص ٢٩٨.

(٥) تفسير القرآن العظيم، م٣، ص١٨٩.

الظلمة وهي الشمال المعدة للسيئات فتخف بعدل الله سبحانه.

قال تعالى: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جهنَّم خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون:١٠٢-١٠٣].

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾: "أي: من رجحت حسناته على سيئاته ولو بواحدة ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ أي: فازوا فنجوا من النَّار وأدخلوا الجنَّة ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ أي: ثقلت سيئاته على حسناته ﴿فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ أي: خابوا وهلكوا وباءوا بالصفقة الخاسرة" [١].

قال الطبري في تفسير قوله تعالى ﴿... فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف:١٠٥] فلا نجعل لهم ثقلاً وإنما عنى بذلك: أنهم لا تثقل بهم موازين؛ لأن الموازين إنما تثقل بالأعمال الصالحة وليس لهؤلاء شيء من الأعمال الصالحة فتثقل به موازينهم" [٢].

ب- العامل نفسه:

وردت النصوص تدلل على أن الذي يوزن هو العامل نفسه وأن الناس لا يقاسون بكبرهم وضخامتهم وعظم أجسامهم.

وفي الحديث عن أبي هريرة ﷺ عن الرّسول ﷺ قال: **(إنه ليؤتى بالرجل العظيم السمين يوم القيامة، لا يزن عند الله جناح بعوضة. وقال اقرؤوا إن شئتم** ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف:١٠٥]**)** [٣].

وفي حديث آخر يشير إلى أن الرجل النحيف الضعيف يزن عند الله أثقل من الجبال، عن ابن مسعود ﷺ أنه كان يجتني سواكاً من الأراك، وكان دقيق الساقين فجعلت الريح تكفؤه، فضحك القوم منه فقال له رسول الله ﷺ: **(مما تضحكون؟ قالوا: يا نبي الله من دقة ساقيه. فقال: والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحد)** [٤].

يستدل من هذه النصوص على أن الذي يوزن هو العامل نفسه.

---

(١) تفسير القرآن العظيم، م٣، ص٢٦٧.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، م٧، ص٥٤٣٨.

(٣) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ ...﴾، ص٩٨٩، ٩٩٠، حديث رقم (٤٧٢٩).

(٤) أخرجه أحمد من مسنده، ج٧، ص ٩٨، وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره.

ج- صحائف الأعمال:

قال الطيبي: "إنما توزن الصحف، وأما الأعمال فإنها أعراض فلا توصف بثقل ولا خفة"(١).

وهذا ما يستدل عليه من خلال حديث البطاقة، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ يقول: قال رسول الله ﷺ: **(إن الله سيخلِّص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً كل سجل مثل مد البصر، ثم يقول أتُنكر من هذا شيئاً، أظلمك كَتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب. فيقول: ألك عذر؟ فيقول: لا يا رب. فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة فإنه لا ظُلم عليك اليوم، فتخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فيقول: احضر وزنك فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فقال: إنك لا تُظلم. فقال: فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت -خفت- السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شيء)** (٢).

من خلال النصوص القرآنية والأحاديث النبوية يُستدل أن الذي يوزن كل من العامل وعمله وصحف أعماله. وذلك لأن النصوص كلها مثبتة ولم تنف لوزن الواحد منها.

من خلال ما سبق من الأدلة الواردة في القرآن الكريم على ثبوت الميزان تبين أن الميزان المعني في الآيات، ميزان حقيقي له لسان وكفتان حِسِّيتان مشاهدتان تنصب للخلائق لوزن الأعمال والصحائف وإظهار مقاديرها، ليرى العباد أعمالهم ماثلة لهم ليكونوا على أنفسهم شاهدين، فتقر عيونهم بعدل الله تعالى، وأن الله لا يظلم أحداً مثقال ذرة قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٤٠].

ومن دلائل عظمة الله وقدرته عظم هذا الميزان الذي يسع السموات والأرض وما فيهنَّ والذي يزن أدق الأشياء ويقدرها سبحان خالق الخلق سبحان الله.

أصناف الناس في الميزان:

أ- من الناس من رجحت حسناته على سيئاته مثقال حبة فيدخل الجنَّة.

ب- من الناس من رجحت سيئاته على حسناته مثقال حبة فيدخل النَّار.

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، م١٣، ص٥٤٨.

(٢) سنن الترمذي، كتاب الإيمان عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله، ص٥٩٥، حديث رقم (٢٦٣٩)، قال الألباني حديث صحيح.

ج- من استوت حسناته وسيئاته فأولئك أصحاب الأعراف "يحيون على قنطرة بين الجنَّة والنَّار "[1].

من خلال هذه الأحداث ليوم القيامة في الميزان، نستشعر عظمة الله وقدرته في هذا الموقف؛ والتي تدلل على كمال عدله المطلق في هذا الكون.

الحكمة من وزن الأعمال:

نصب الميزان يوم القيامة فيه حكم عظيمة جليلة منها:

١- إظهار العدل المطلق لله:

وذلك من خلال معرفة ما للعباد من خير وشر وحسنة وسيئة فيطمئن الإنسان إلى عدل الله وأنه لا يظلم عنده أحد من خلقه وإنه كان يزن مثاقيل الذر من الخير والشر قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٤٠].

٢- إظهار علامة السعادة والشقاوة للعباد:

قال جل شأنه في إظهار السعادة للمؤمن والشقاوة للكافر: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ [القارعة:٦-٩].

٣- امتحان الخلق بصدق إيمانهم أو بكفرهم:

الناس جميعاً في هذه الحياة مبتلون بالخير والشر ومن ثمَّ إقامة الحجة لهم أو عليهم في الآخرة.

قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت:٢-٣].

المطلب الثاني: القدرة الإلهية في العدل بين البشر:

العَدْلُ لغةً: بمعني الاستقامة، ويأتي بمعانٍ عديدة منها الجزاء، والفريضة، والنافلة، والفداء، والقيمة، والمثل [2].

العدل اصطلاحاً: عبارة عن الأمر المتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط [3].

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، م١٣، ص٥٤٨، ٥٤٩.

(٢) انظر: لسان العرب، م١٠، ص٦٢، ٦٣.

(٣) التعريفات، ص١٤٧.

والعدل في حق الله:

اسم من أسمائه تبارك وتعالى، ولقد سمى الله نفسه العليا بأسماء، كما وصف ذاته بصفاته فقال تعالى: ﴿وَلله الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ...﴾ [الأعراف:١٨٠].

وفي موضع آخر قال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ...﴾ [الإسراء:١١٠].

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: **(إن لله تسعةً وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنَّة)** [(١)].

قال الشيخ سلمان محمود: "أحصاها بمعنى حفظها، ووعاها، وعدها، ودعا بها، وكرَّر تلاوتها، متخلقاً بها، عالماً بمعناها" [(٢)].

وبين الرازي أن العدل يكون بمعني المعتدل وهذا مجاز، بمعنى حقيقة كونه ﷻ منزهاً عن النقائض الحاصلة في طرفي الإفراط والتفريط، وجانبي التشبيه والتعطيل، وهي أنه عدل في أفعاله، أنه لا يظلم، ولا يجور.

ثم نقل قول آخر للعدل: هو الذي له أن يفعل ما يريد، وحكمه ماض في العبيد، ثم ذكر أن العدل في حق العبد: هو أن يحترز عن طرفي الأفراط والتفريط ففي أفعال الشهوة يحترز عن الفجور الذي هو الإفراط، وعن الجمود الذي هو التفريط، ويبقى على الوسط وهو العفة، وفي أفعال الغضب يحترز عن التهور الذي هو الإفراط، والجبن الذي هو التفريط، ويبقى على الوسط وهو الشجاعة، وفي الحكمة العملية يحترز عن الإفراط الذي هو الدهاء والمكر، وعن التفريط الذي هوه البله، ويبقى على الوسط وهو الحكمة العملية [(٣)].

قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ...﴾ [البقرة:١٤٣].

تتمثل قدرة الله في العدل بين البشر في عدة أمور منها:

أ- كتب الأعمال:

الإنسان في هذا الكون مبتلى بالخير والشر قال تعالى: ﴿... وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء:٣٥]، ولقد وكل الله ملكين بكتب أعمال العباد، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب ان لله مائة اسم الا واحدة، ص ١٤٧٠، حديث رقم (٧٣٩٢)، وسنن الترمذي، باب ٨٣، ص٧٩٧، حديث رقم (٣٥٠٨)، قال الألباني حديث صحيح.

(٢) الرحيق الأهنى تجليات أسماء الله الحسنى، ص٩٧.

(٣) انظر: شرح أسماء الله الحسنى، للرازي، ص٢٥٢.

﴿لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾ [الانفطار: ١٠-١١].

* قال تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:١٨].

قال الصنعاني في تفسيره لهذه الآية: "ما يتكلم من كلام، فيلفظه ويرميه من فيه إلا لديه: أن لدى ذلك اللافظ رقيب: أي ملك يرقب قوله ويكتبه. والرقيب: الحافظ المتتبع لأمور الأنسان الذي يكتب ما يقوله من خير وشر فكاتب الخير هو ملك اليمين وكاتب الشر هو ملك الشمال. والعتيد: الحاضر المهيأ" (١).

وفي موضع آخر قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآَثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [يس:١٢].

في الآية بيان أن الله يحيى الموتى يوم القيامة للجزاء، وفي الدنيا يكتب ما صدر عنهم من طاعة ومعصية، وآثار خفاياهم بأرجلهم وأيديهم أو أي عضو منهم أو أعمالهم التي صارت سنة من بعدهم يقتدى فيها حسنة أو سيئة (٢).

هذه الآيات وآيات أخرى كثيرة تشير وتدلل على أن الله وكل ملكين بكتابة أعمال كل إنسان؛ ان كان خيراً أم شراً. وهذه الأعمال تجمع في كتاب يوم القيامة قال تعالى: ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا * مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء١٤-١٥].

ومن تمام وكمال عدل الله في البشر إن هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها قال تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف:٤٩].

قال البيضاوي في تفسيره لهذه الآية: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ صحائف الأعمال في الإيمان والشمائل أو في الميزان، وقيل هو كناية عن وضع الحساب ﴿فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ﴾ خائفين ﴿مِمَّا فِيهِ﴾ من الذنوب ﴿وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا﴾ ينادون ملكتهم التي ملكوها من بين الملكات ﴿مَالِ هَذَا الْكِتَابِ﴾ تعجباً من شأنه ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً﴾ منه صغيرة ﴿وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ إلا عدها وأحاط بها ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾ مكتوباً في الصحف ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ فيكتب عليه ما لم

---

(١) فتح القدير، ج٥، ص٧٥.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، م٥، ج٢٣، ص١٢ بتصرف.

يفعل أو يزيد في عقابه الملائم لعمله" [(١)].

وفي موضع آخر قال تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾ [النَّبأ:٢٩].

أي أثبتناه، وكتبناه، وعرفنا مبلغه وعدده [(٢)].

وقال أيضاً: ﴿... وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [يس:١٢].

الإمام: بمعنى الكتاب [(٣)].

فهذه النصوص القرآنية وغيرها الكثير يدلل على أن الأعمال كبيرها وصغيرها، مكتوبة ومسطورة في كتاب، فإذا مات الإنسان طويت حتى يأتي يوم الحساب، حينها تتطاير الصحف وتفتح من تحت العرش قال تعالى: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ [التَّكوير:١٠].

كيف يأخذ المؤمن كتابه:

يأخذ المؤمن كتابه بيمينه فرح مسرور.

قال تعالى: ﴿... فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [الإسراء:٧١].

قال النسفي في قوله تعالى: "﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ أي لا ينقصون من ثوابهم أدنى شيء" [(٤)].

وقال أيضاً: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ * إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ [الحاقَّة:١٩-٢١].

في الآية بيان لحال أهل السعادة يعطون كُتُبهم التي فيها أعمالهم بأيمانهم رفعاً لقدرهم، عندها يقول فرحاً ليطلع الخلق على ما مَنَّ الله عليه من الكرامة، هذا كتابي فاقرأوه فإنه يبشر بالفوز والجنات ومغفرة الذنوب وستر العيوب [(٥)].

كيف يأخذ الكافر كتابه:

يأخذ الكافر كتابه بشماله، ومن وراء ظهره لأن يديه قد جمعت إلى عنقه وربطت بالأغلال قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ * إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ *

---

(١) تفسير البيضاوي، م٢، ص١٤.

(٢) زبدة التفاسير، ص٦٩١.

(٣) نفس المرجع، ص٤٩٩.

(٤) تفسير النسفي، م٢، ص٩٩.

(٥) انظر: تيسير الكريم الرحمن، ص٨٢٨.

﴿يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾ [الحاقة:٢٥-٢٩].

في مقابل المؤمن؟ الكافر الذي يؤتى كتابه بشماله، فيقول من الهم والغم والحزن والخسارة، يا ليتني كنت نسياً منسياً ولم أُبعث وأحاسب يا ليتني مت ميتة لا أُبعث بعدها، فلم ينفعني اليوم شيء حتى مالي لم ينفعني، وكذلك سلطاني في الدنيا لم ينفعني كل هذه الأمور لم تغنِ عني شيئاً من عذاب الله (١).

يسحب الكافر ويُدخل في النَّار ليصلى حرها، ويدخل في دبره سلسلة طولها سبعون ذراعاً لتخرج من فمه.

قال تعالى في شأنه: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ [الحاقة:٣٠-٣٢].

٢- السؤال:

من دلائل عدل الله يوم القيامة؛ سؤال من عمل عملاً؛ لإقامة الحجة عليه.

قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر:٩٢-٩٣].

بين الطبري: في تفسير هذه الآية قسم من الله فوربك يا محمد لنسألن هؤلاء الذين جعلوا القرآن في الدنيا سحر وشعر وكهانة رمياً له بالباطل، كما كانوا يعملون في الدنيا، فيما أمرناهم به وفيما بعثناك به إليهم من آي كتابي الذي أنزلته إليهم وفيما دعوناهم إليه من الإقرار به وتوحيدي والبراءة من الأنداد والأوثان (٢).

في الآية دلالة على سؤال الله لمن حاد عن منهجه الذي أنزله للناس كافة، وسؤال الله الكافر من قبيل التقريع والتوبيخ، من عَمِلَ سوءاً، لِمَ عمله؟

وفي موضع آخر قال تعالى: ﴿... وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [العنكبوت:١٣].

وقال أيضاً: ﴿... وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٩٣].

فالسؤال هنا من قبيل إقامة الحجة على الناس، وهذا من دلائل عدل الله في هذا الكون.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص٨٢٩.

(٢) جامع البيان عن تأويل القرآن، م٦، ص٤٩٣٤.

٣- الميزان:

من تمام عدل الله سبحانه وتعالى نصب الميزان، وقد تقدم بيان هذا الميزان، وصفته، وما يوزن به.

قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء:٤٧].

وقال أيضاً: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف:٨-٩].

وقال أيضاً: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون:١٠٢-١٠٣].

٤- الشهود:

تتمثل الشهود التي تشهد على الإنسان يوم القيامة عدة شهود منها:

أ- الرّسل:

ويتمثل ذلك في سُؤال الله الرّسلَ عما أنزل إليهم، وكذلك عن حال الذين أرسلوا إليهم، وكذلك سؤال الناس أجمعين.

قال تعالى: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف:٦].

في الآية وعد من الله ﷻ؛ وذلك بسؤال من أُرسل إليهم المرسلون ماذا أجابوا إضافة إلى أن الرّسل سيسألهم الله عن الرسالة التي أنزلها الله ماذا صنعوا فيها، وبماذا أجاب المرسل إليهم، وأما الأنبياء والمؤمنون فيعقبهم جوابهم رحمةً وكرامةً، وأما الكفار العصاة فيعقبهم جوابهم عذاباً وتوبيخاً [(١)].

وهذا السؤال مجرد شهادة من الرّسل على من حاد عن نهج الله تبارك وتعالى وفي آية أخرى يبين الله سؤال جميع الناس قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر:٩٢-٩٣].

قال أبو العالية في تفسيره لهذه الآية: "يسأل الناس كلهم عن خلتين يوم القيامة، عما كانوا يعبدون، وعن ماذا أجابوا المرسلين".

---

(١) الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج١، ص٥٢٩ بتصرف.

وقال مجاهد في تفسيره لهذه الآية قال: "عن لا إله إلا الله" [١].

ب- الملائكة:

جعل الله تبارك وتعالى على كل واحد من الناس ملكين، واحد على اليمين وآخر على الشمال واحدٌ يسجل الحسنات والآخر يسجل السيئات، وهذه أكبر شهادة من قِبَل الملائكة على العباد.

قال تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:١٨].

فهؤلاء الملائكة لم يكتفوا بالسماع بل يقومون بتسجيل ما يصدر عن الإنسان وتوثيقه في كتاب، وفي موضع آخر يقول الله تعالى في وصف هؤلاء الملائكة: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾ [الانفطار:١٠-١١].

بمعنى أن عليكم أيها الناس حافظين من الملائكة لأعمالكم كاتبين لها هم كراماً على الله[٢].

تشير هذه الآيات وتدلل على شهادة الملائكة على العباد.

ج- شهادة الأزمنة والأمكنة:

من دلائل عدل الله وقدرته أن يسمح الله للشهود أن تشهد وتدلو بشهادتها، وهذا محض عدل من الله، وليكون مصدر خزي للكافرين.

قال ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [الزَّلزلة:٤] "قال لها: قولي فقالت" [٣]، بمعنى أن الله أنطقها لتشهد على أعمال العباد.

ولقد قال عثمان بن عفان ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق:٢١] " سائق يسوقها إلى أمر الله، وشاهد يشهد عليها بما عملت" [٤].

يستدل من هذه الآية من قول عثمان رضي الله عنهما، بأن ما من شيء إلا ويشهد على عمل الإنسان على هذه الأرض، وهذا محض عدلٍ من الله؛ لإقامة الحجة على العباد يوم القيامة.

---

(١) تفسير القرآن العظيم، م٢، ص٥٧٩.

(٢) انظر: تفسير الجلالين، ص٧٨٩.

(٣) تفسير القرآن العظيم، م٤، ص ٥٧٧.

(٤) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، باب ما جاء في شهادة الأرض والليالي والأيام بما عمل عليها، وفي شهادة المال على صاحبه، وقوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾، ص ٢٧٨.

د- شهادة الأيدي والأرجل والسمع والأبصار والجلود والجوارح:

من دلائل قدرة الله وعظمته، شهادة الجوارح والأيدي والأرجل على ما اقترف الإنسان من أعمال.

قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يس:٦٥].

هذه الآية تمثل صورة مهولة ليوم عظيم يرسم مشهد عجيب في موقف مهيب، فيه تتفكك شخصية الإنسان الكافر، ويُكَذِّب فيها كل عضو الآخر، وتعود كل جارحة إلى ربها مفردة ويتوب كل عضو إلى بارئه مستسلماً، فألسنةُ الكفار معقودة وأيديهم تتكلم وأرجلهم تشهد على غير ما كانوا يعهدون من أمرهم وعلى غير ما كانوا ينظرون إنها شهادة إقرار بقدرة الله لينطق العضو الذي اقترف عملاً سيئاً ويعلن أمام جميع الأعضاء بما عمل (١).

وهناك آيات أخرى كثيرة تدلل على هذا الجانب منها:

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النور:٢٤].

وقال أيضاً: ﴿حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [فصّلت: ٢٠-٢٢].

يستدل من هذه الآيات أن الله الذي خلق الإنسان، يوم القيامة يجعل أعضاءه وجوارحه تشهد عليه، وهذه أكبر شهادة بأن يشهد العضو الذي عمل عملاً فيقر وينطق بقدرة الله وعظمته في إشارة لإقامة الحجة والدليل على الإنسان وهذه من دلائل عدل الله في هذا الكون.

من مظاهر العدل يوم القيامة:

من مظاهر عدل الله يوم القيامة، أن الله سيحاسب الخلق على أدنى الأشياء وأدقها، قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزَّلزلة: ٧-٨].

وسيُسأل المرء يوم القيامة عن كل صغيرة وكبيرة حتى عن كحل عينيه، وهو رماد، من أين أتيت به، وماذا صنعت به، ويزداد الأمر دقَّةً وبياناً لعدل الله من خلال الحديث عن أبي هريرة

---

(١) في ظلال القرآن، م٥، ص٢٩٧٣ بتصرف.

ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **(لتؤدُّنَّ الحقوق إلى أهلها حتى يُقادَ للشاةِ الجلحاء [1] من الشاة القرناء)**[2].

يدلل هذا الحديث على عدل الله المطلق حتى إن الله سيقتص يوم القيامة للشاة التي ليس لها قرون، وقد أضَرَّت وآذت الشاة التي ليس لها قرون، هذا على سبيل البهائم، فما بالكم على سبيل البشرية؟ والإنسان أحب المخلوقات إلى الله وأكرمها !!!

هذه الأمور وغيرها تمثل قدرة الله في العدل بين البشر يوم القيامة؛ فكيفية إشهاد الرّسل على الناس، وكتب الأعمال صغيرها وكبيرها، والمحاسبة عليها مهما صغرت، وشهادة السمع والأبصار والجلود والأيدي والأرجل والجوارح على الإنسان، ونصب الله للميزان الذي يسع السموات والأرض وما فيهن في كفة، ثم شهادة الأزمنة والأمكنة وما اقترف عليها يُنطقها الله بقدرته، كل هذه الأمور وغيرها لا يستطيع القيام بها إلا صاحب القدرة المطلقة، إنها قدرة الخالق المقتدر ذو الجلال والإكرام، إنها قدرة الله!!!

المطلب الثالث: القدرة الإلهية في الحياة الأبدية:

عند الحديث عن الحياة الأبدية لا يخلو الأمر عن جانبين هما: الجنَّة والنَّار، فبعد أن يُحاسب العباد ويُحكم بينهم بالعدل بالميزان، فالناس فريقان، فريق إلى الجنَّة، وفريق إلى النَّار.

أولاً: الجنَّة:

الجنَّة لغة: البستان، والعرب تسمي النخيل جنة، والجنَّة كذلك الحديقة ذات الشجر والنخيل، وجمعُها جِنان، وتطلق على دار النعيم في الدار الآخرة [3].

الجنَّة اصطلاحاً:

يرى الباحث أن الجنَّة هي دار الخلد التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، أعدها الله لعباده المؤمنين منةً وكرامةً وفضلاً ورحمةً منه.

---

(١) الجلحاء: التي لا قرن لها. النهاية في غريب الحديث والأثر، ص ١٥٩.

(٢) سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في شأن الحساب والقِصاص، ص ٥٤٥، حديث رقم (٢٤٢٠)، قال الألباني: حديث صحيح.

(٣) لسان العرب، م٣، ص٢٢١.

أسماء الجنَّة:

الجنَّة علمٌ على الدَّار التي أعدها الله للمتقين، ولقد ورد في القرآن الكريم العديد من الأسماء لهذه الجنَّة، **وسيكتفي الباحث** بذكر أهم هذه الأسماء مع الدليل على ذلك لكثرة هذه الأسماء، والتي منها:

١- **الجنَّة:** قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾[آل عمران:١٨٥].

الجنَّة هو الاسم العام المتناول لتلك الدار وما اشتملت عليه من أنواع النَّعيم واللذة والبهجة والسرور وقرة الأعين [١].

٢- **الفردوس:** قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾[الكهف:١٠٧].

لقد أورد الطبري في تفسيره لمعنى الفردوس عدة أقول منها:

* قال قتادة: "الفردوس: ربوة الجنَّة وأوسطها وأفضلها".

* قال أبو أمامة الباهلي: "هي سُرة الجنَّة".

* قال كعب: "ليس في الجنَّة أعلى من الفردوس، فيها الآمرون بالمعروف، والناهون عن المنكر"[٢].

٣- **طوبى:** قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآَبٍ﴾[الرعد:٢٩]، أورد الطبري في معنى: **(طوبى) عدة أقول للعلماء منها:**

قال مجاهد: "الجنة".

قال ابن عباس: "﴿طُوبَى لَهُمْ﴾ بمعنى فرح وقرة عين".

وقال قتادة: "حسنى لهم".

وقيل: "الخير والكرامة التي أعطاها الله للمؤمنين الذين عملوا الصالحات" [٣].

---

(١) صحيح حادي الأرواح، لابن القيم، ص٨٢.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، م٧، ص٥٤٣٩.

(٣) المرجع السابق، م٦، ص ٤٧٣٢-٤٧٣٣.

٤- **الحسنى:** قال تعالى: ﴿... فَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[النساء:٩٥].

وقال أيضاً: ﴿... لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾[يونس:٢٦].

قال أبو جعفر: "الحسنى: الجنَّة، والزيادة النظر إلى الله جل اسمه"(١).

٥- **الغرفة:** قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾[الفرقان:٧٥].

قال السيوطي في تفسير﴿الْغُرْفَةَ﴾: "أن الغرفة هي الجنَّة"(٢)، وسميت الجنَّة بالغرفة لارتفاعها (٣).

٦- **دار السلام:** قال تعالى: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[الأنعام:١٢٧]، ودار السلام تعني: دار السلامة من كل بلية وآفة ومكروه (٤).

٧- **دار المقامة:** قال تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ * الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾[فاطر:٣٤-٣٥].

قال مقاتل أي: "أنزلنا دار الخلود، أقاموا فيها أبداً لا يموتون ولا يتحولون فيها أبداً" (٥).

٨- **جنة الخلد:** قال تعالى: ﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا﴾[الفرقان:١٥].

قال الزحيلي: "جنة الخلد هي التي لا ينقطع نعيمها" (٦).

٩- **جنات عدن:** قال تعالى: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾[الرعد:٢٣]، بمعنى: "جنات إقامة دائمة" (٧).

١١- **الدار الآخرة:** قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا * وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللهَ أَعَدَّ

---

(١) معاني القرآن، م١، ص٤٨٠.

(٢) الدُّر المنثور في التفسير بالمأثور، م٥، ص٨٢.

(٣) تفسير القرآن العظيم، م٣، ص٣٤٢.

(٤) صحيح حادي الأرواح، ص٨٢.

(٥) نفس المرجع والصفحة.

(٦) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، م١٠، ج١٩، ص ٣١.

(٧) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ج٣، ص٢٢.

لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[الأحزاب:٢٨-٢٩]، هذه أهم أسماء الجنَّة التي ذكرها الله في القرآن الكريم.

صفة الجنَّة:

الجنَّة فيها ما لا عين رأت ولا أُذن سمعت ولا خطر على بال بشر.

أرض الجنَّة وترابها:

روى الترمذي عن أبي هريرة ﷺ قال: **قلت يا رسول الله مم خلق الخلق؟ فقال: "من ماء" قلت: الجنَّة ما بناؤها؟ قال: "لبنة من فضة ولبنة من ذهب، وملاطها[1] المسك والإذخر، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وتربها الزعفران، من يدخلها ينعم ولا ييأس ويخلد ولا يموت، ولا تبلى ثيابهم، ولا يفنى شبابهم[2].**

مساكن أهل الجنَّة:

قال تعالى: ﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَعْدَ اللهِ لَا يُخْلِفُ اللهُ الْمِيعَادَ﴾ [الزُّمر:٢٠].

يبين الله تبارك وتعالى أن في الجنَّة غرفاً فوق غرف مبنية بناءً حقيقياً لئلا تتوهم النفوس أن ذلك تمثيل، أو أنه ليس هناك بناء، بل تتصور النُّفوس غرفاً مبنية كالعلالي على شكل طوابق بعضها فوق بعض حتى كأنها ينظر إليها كياناً مرتفعاً منازل مرتفعة فوقها منازل أرفع منها [3].

وهذه المساكن يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها إنها ليست كمساكن الدنيا ولكن الاسم واحد والحقيقة مختلفة.

فُرُش الجنَّة:

الجنَّة التي أعدها الله لعباده المتقين مفروشة بفرش أعدها الله، قال تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ...﴾ [الرَّحمن:٥٤]، قال الطبري: "بطائن هذه الفُرُش من غليظ الديباج، والإستبرق عند العرب: ما غلظ من الديباج وخشن" [4].

---

(١) الملاط: الطين والطلاء أو ما يسد به ما بين اللبنات، صحيح حادي الأرواح، ص١٢٤.

(٢) سنن الترمذي، كتاب صفة الجنَّة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في صفة الجنَّة ونعيمها، ص٥٦٨، حديث رقم (٢٥٢٦)، قال الألباني حديث صحيح.

(٣) صحيح حادي الأرواح، ص١٢٩.

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، م٩، ص٧٨٠١.

وفي موضع آخر يبين الله تبارك وتعالى ما على هذه الفرش وما يحيط بها من العيون فيقول تعالى عن الجنَّة ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ * وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ * وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ * وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ [الغاشية: ١٣-١٦].

في الآية بيان لهذه الجنَّة ولفرشها وما أعده الله فيها من سرر مرفوعة معدة إعداداً يليق بأهل الجنَّة ذاتاً وقدراً، وفيها أقداح موضوعة على حافات العيون معدة لشربهم ووسائد مصفوفة بعضها بجانب بعض يُستند إليها، وبُسط طنافس لها خُمل مبثوثة في أماكن الجنَّة [(١)].

وفي آية أخرى يقول الله تعالى واصفاً لحال أهل الجنَّة: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ [الرَّحمن:٧٦].

نقل ابن القيم آراء العلماء في بيان معنى هذه الآية منها:

الرفرف: رياض الجنَّة

: البُسط

: الوسائد

: ضَربٌ من الثياب خضر تُبسط.

: فضول الثياب التي تتخذه الملوك في الفرش.

أما العبقري فيه عدة أقول أيضاً منها:

قال ابن عباس: البسط والطنافس.

قال قتادة: عتاق الزرابي.

قال مجاهد: الديباج الغليظ.

قال الكلبي: الطنافس المجمَّلة [(٢)].

أنهار الجنَّة:

أخبر الله تبارك وتعالى أن في الجنَّة أنهار تجري من تحتها، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ...﴾ [البقرة:٢٥].

وقال تعالى مبيناً لهذه الأنهار: ﴿مَثَلُ الجنَّة الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ

---

(١) تفسير الجلالين، ص٧٩٦، بتصرف.

(٢) صحيح حادي الأرواح، ص١٩٨.

وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [محمد:١٥].

أنـهار الجنَّة التي تجري فيها أربعة تنحدر من الفردوس وتمر بالجنَّات وهي:

* **نـهر من ماء:** وآفة الماء أنه يأسن؛ بمعنى يتغير من طول مكثه، إلا أن ماء الآخرة لم يأسن مع طول الوقت.

* **نـهر من لبن:** وآفة اللبن أنه يتغير طعمه إلى الحموضة الزائدة، ولكن لبن الآخرة لم يتغير طعمه بل هو ثابت على ما خلقه الله وأعده لأهل الجنَّة.

* **نـهر من خمر:** وآفة الخمر كراهة مذاقها المنافي للذة، وكذلك الصُّداع والسُكر، أما خمر الآخرة فله لذته وطعمه الذي تتمتع به النَّفس ولا يذهب بالعقل.

* **نـهر من عسل:** وآفة العسل الشوائب التي توجد به وعدم القدرة على إخراجها منه، أما عسل الآخرة فإنه مصفى من الشوائب، ويختلف عن عسل الدنيا إنما يشاركه في الاسم فقط [1].

أواني الجنَّة:

أهل الجنَّة ينعمون فيها يأكلون ويشربون بأواني يستخدمونها، قال تعالى: ﴿**يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ [الزُّخرف:٧١].

تعددت آراء العلماء في معنى ﴿بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ﴾ من هذه الآراء:

قال الكلبي: بقصاع من ذهب.

قال الليث: الصُّحفة قصعة مسلنطحة – متسعة – عريضة.

أما ﴿أَكْوَابٍ﴾:

قال الفراء: الكوب المستدير الرأس الذي لا أذن له.

وقال أبو عبيدة: الأباريق التي لا خرطوم – طرف الإبريق الذي يصب منه الماء أو الشراب– له [2].

وقال أيضاً: ﴿**فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ * وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ * وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ * وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ**﴾ [الغاشية:١٣-١٦].

---

(١) صحيح حادي الأرواح، ص١٦٣ بتصرف.

(٢) نفس المرجع السابق، ص١٧٩.

قال السَّعدي في تفسيره لهذه الآية: "فيها مجالس مرتفعة في ذاتها وبما عليها من الفرش اللينة الوطيئة، ﴿وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ﴾ أي أوانٍ ممتلئة من أنواع الأشربة اللذيذة قد وضعت بين أيديهم وأعدت لهم وصارت تحت طلبهم واختيارهم يطوف بها عليهم الولدان المخلدون ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾ أي وسائد من الحرير والإستبرق وغيرها مما لا يعلمه إلا الله وقد وضعت للجلوس والاتكاء عليها وقد أريحوا عن أن يصنعوها أو يصفُّوها بأنفسهم ﴿وَزَرَابِيُّ﴾ وهي البسط الحسان ﴿مَبْثُوثَةٌ﴾ أي مملوءة بها المجالس من كل جانب"(١).

نساء الجنَّة:

أصحاب الجنَّة يُنَعَّمون ولهم فيها أزواج يتمتعون بهن، قال تعالى: ﴿... وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة:٢٥]، قال المنصوري في تفسير هذه الآية: "﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ أي لهم في الجنَّة نساء من الحور العين، مطهرات من القذر والدنس، والحيض والنفاس، والبول والغائط" (٢)، وكذلك من كل أذى يكون من نساء الدنيا مادي ومعنوي.

وقال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ * كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾ [الصَّافات:٤٨-٤٩]، أي: حابسات الأعين على أزواجهن لا ينظرن إلى غيرهم لحسنهم عندهنَّ ﴿عِينٌ﴾ أي نجلاء واسعة العين، ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾ كأنهن اللؤلؤ المكنون (٣).

وقال تعالى في وصف الحور العين بأنهن لم يطأهنَّ أحد غير أزواجهن ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرَّحمن:٥٦].

وقال أيضاً: ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا﴾ [الواقعة:٣٥-٣٦]، بمعنى إنا أنشأنا الحور العين إنشاءً من غير ولادة فجعلناهن أبكاراً عذارى كلما أتاهنَّ أزواجهنَّ وجدوهنَّ عذارى (٤).

ولقد بين النبي ﷺ مدى حسنهن، عن أنس بن مالك ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ : **(... لو أن امرأة من نساء أهل الجنَّة اطَّلعت إلى الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأت ما بينهما ريحاً، ولنصيفها على رأسها - بمعنى الخمار- خير من الدنيا وما فيها)**(٥).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ١٠٨٨.

(٢) المقتطف من عيون التفاسير، م١، ص٥٦.

(٣) تفسير من نسمات القرآن، غسان حمدون، ص٤٧٢.

(٤) تفسير الجلالين، ص٧١١.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب صفة الجنَّة والنَّار، ص١٣٢٩، حديث رقم (٦٥٦٨).

طعام وشراب أهل الجنَّة:

أهل الجنَّة يتنعمون ويأكلون ويشربون، قال تعالى: ﴿وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ * وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [الواقعة:٢٠-٢١].

وقال أيضاً: ﴿وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [الطُّور:٢٢].

وقال أيضاً: ﴿وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ * لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ [الواقعة:٣٢-٣٣].

قال تعالى في وصف الجنَّة ونعيمها: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾[الحاقَّة: ٢٢-٢٤].

قال تعالى في وصف أنهار الجنَّة: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [محمد:١٥].

﴿... وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان:٢١].

هذا بإيجاز طعام وشراب أهل الجنَّة، علماً بأن فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على بال بشر، ولكن لا بد أن نعلم أن الذي يتشابه هو الاسم فقط، أما الطعم فيختلف عن طعم ما في الدنيا.

لباس أهل الجنَّة وزينتهم:

كما أنعم الله على عباده المتقين في الدنيا بزينة، أنعم عليهم في الآخرة في الجنَّة بزينة، قال تعالى: ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ...﴾ [الإنسان:٢١]، أي يعلوهم ثياب الحرير الخضر، والسندس: وهو ما رق من الحرير، وإستبرق: وهو ما غلظ من الديباج، وحلوا أساور من ذهب وفضة[1].

قال تعالى: ﴿... يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ...﴾ [الحج:٢٣].

قال تعالى: ﴿... وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان:٢١].

عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: **(أهل الجنَّة جُرْدٌ مُرْدٌ كُحْلٌ لا يفنى شبابهم، ولا تبلى ثيابهم، عليهم التيجان، وإن لؤلؤة منها لتضيء ما بين المشرق والمغرب)**[2].

---

(١) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، م١٥، ح٢٩، ص٢٩٥.

(٢) سنن الترمذي، باب ما جاء في صفة ثياب أهل الجنَّة، ص٥٧١، حديث رقم (٢٥٣٩)، قال الألباني حديث حسن.

خدم الجنَّة:

في الجنَّة خدم مخصوصون لأهلها، قال تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا﴾ [الإنسان:١٩].

يطوف على أهل الجنَّة ولدان للخدمة، وهم على درجة من الحسن والجمال، وهم لا يهرمون ولا يتغيرون، وعلى سن واحدة، إذا رأيتهم ظننت من حسنهم وكثرتهم وصفاء ألوانهم، لؤلؤاً مفرقاً، والمراد أنهم على صورة لا يراد في الخدم أبلغ منها [١].

أعظم أهل الجنَّة منزلة:

يتفاوت الناس منزلة في الجنَّة يوم القيامة، فمن الناس من يكون في أعلى درجاتها، ومنهم من يكون في أوسطها، ومنهم من يكون في أدناها، وأعظم جزاء أهل الجنَّة، هو النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى، قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢-٢٣]، وقال أيضاً: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ...﴾ [يونس:٢٦]، وقد سبق بيان أن الحسنى: الجنَّة، والزيادة: النظر إلى الله جل اسمه [٢].

ورد في الحديث عن صهيب أن النبي ﷺ تلا هذه الآية: [**لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيَادَةٌ**]{يونس:٢٦} قال: **(إذا دخل أهل الجنَّة الجنَّة، وأهل النَّار النَّار، نادى منادٍ: يا أهل الجنَّة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه. فيقولون: وما هو؟ ألم يُثَقِّل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنَّة ويجرنا [٣] من النَّار، قال: فيكشف لهم الحجاب فينظرون إليه، قال: فوالله ما أعظم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه، وأقرّ لأعينهم)**[٤].

عظم الجنَّة:

يتحدد عظم الجنَّة التي أعدها الله لعباده من خلال قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣].

في الآية بيان لعرض الجنَّة التي أعدها الله لعباده يوم القيامة، ولقد أخبرنا الله لبيان عرض هذه الجنَّة، الذي هو أقل من طولها، بما نعلمه في حدود علمنا والذي هو يقتصر على السموات والأرض، ولكن إذا استطعنا أن نحيط علماً بطول وعرض الأرض، فإننا لن نستطيع أن نحيط علماً

---

(١) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، م١٥، ج٢٩، ص٣٠١.

(٢) معاني القرآن، م١، ص٤٨٠.

(٣) يجرنا: يخرجنا.

(٤) مسند الإمام أحمد، م٣١، ص٢٧٠، قال شعيب: إسناده صحيح.

بطول أو بعرض السموات!!! وهذا ما عبرت عن الآية الكريمة حيث قال تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آَمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ﴾ [الحديد:٢١].

وفي الحديث أن النبي ﷺ قال: **(إن في الجنَّة لشجرة يسير الراكب الجواد أو المضمر السريع مائة عام وما يقطعها)** [(١)]**.**

هذا عظم الشجرة، فما بالكم بالأمور الأخرى؟!!

خلود أهل الجنَّة:

الخُلد لغةً: دوام البقاء في دار لا يخرج منها، ودار الخلد: الآخرة، لبقاء أهلها فيها [(٢)]**.**

الخُلد اصطلاحاً: طول الإقامة بالقرار، وأصل المخلد الذي يبقى مدة طويلة، ثم استعير للمُبْقَى دائماً[(٣)].

ورد في القرآن الكريم آيات تدلل على خلود أهل الجنَّة منها:

* قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة:٨٢].

* قال تعالى: ﴿... لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ [آل عمران:١٥].

* قال تعالى: ﴿... وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ [النساء:١٣].

* قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللهُ المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ...﴾ [التوبة:٧٢].

وهناك آيات أخرى كثيرة تدلل على خلود أهل الجنَّة يوم القيامة، **أما الأحاديث التي تدلل على خلود أهل الجنَّة كثيرة منها:**

عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: **(يدخل أهل الجنَّة الجنَّة وأهل النَّار النَّار، ثم يقوم مؤذن بينهم: يا أهل النَّار لا موت ويا أهل الجنَّة لا موت، خلود)**[(٤)]**.**

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب صفة الجنَّة والنَّار، ص١٣٢٧، حديث رقم (٦٥٥٣)، وسنن الترمذي، كتاب صفة الجنَّة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في صفة شجر الجنَّة، ص٥٦٨، حديث رقم (٢٥٢٣)، قال الألباني: حديث صحيح.

(٢) لسان العرب، م٥، ص١٢٤.

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف، ص٣٢٥.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب يدخل الجنَّة سبعون ألفاً يدخلون الجنَّة بغير حساب، ص١٣٢٦، حديث رقم (٦٥٤٤).

عن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(إذا صار أهل الجنَّة إلى الجنَّة وأهل النَّار إلى النَّار جيء بالموت حتى يُجعل بين الجنَّة والنَّار، ثم يُذبح، ثم ينادى منادٍ: يا أهل الجنَّة لا موت، ويا أهل النَّار لا موت، فيزداد أهل الجنَّة فرحاً إلى فرحهم، ويزداد أهل النَّار حزناً إلى حزنهم)**[١].

من هم الذين يدخلون الجنَّة:

الذين سيدخلون الجنَّة هم المؤمنون الأتقياء الأبرار الذين أتبعوا إيمانهم استقامة، والذين صدَّقوا الرّسل وأحسنوا وأخلصوا وعملوا الصالحات، والذين جاهدوا في سبيل الله [٢].

أول من يدخل الجنَّة:

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(أول زمرة تلج الجنَّة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر، لا يبصقون فيها ولا يمخطون ولا يتغوطون، آنيتهم فيها الذهب، وأمشاطهم من الذهب والفضة ومجامرهم من الألُوَّة [٣]، ورشحهم المسك ولكل واحد منهم زوجتان يُرى مخُّ سوقها من وراء اللحم من الحسن لاختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم قلب رجل واحد يسبحون الله بكرة وعشيا)**[٤].

آخر أهل الجنة دخولاً:

روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث طويل: (... **ثم يفرغ الله تعالى من القضاء بين العباد، ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار وهو آخر أهل الجنَّة دخولاً الجنَّة فيقول: أي ربِّ اصرف وجهي عن النَّار فإنه قد قشبني [٥] ريحها، وأحرقني ذكاؤها [٦] فيدعو الله ما شاء أن يدعوه، ثم يقول الله تبارك وتعالى: هل عسيت إن فعلتُ ذلك بكَ أن تسأل غيره؟ فيقول لا أسألك غيره، ويعطي ربه من عهود ومواثيق ما شاء الله، فيصرف الله وجهه عن النار، فإذا أقبل على الجنَّة ورآها سكت ما شاء الله أن يسكت، ثم يقول: أي ربِّ قدمني إلى باب الجنَّة، فيقول الله له: أليس قد أَعطيتَ عهودك ومواثيقك لا تسألني غير الذي أعطيتكَ ويلك يا ابن آدم ما أغدرك؟**

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب صفة الجنَّة والنَّار، ص١٣٢٧، حديث رقم (٦٥٤٨)، وصحيح مسلم، كتاب الجنَّة وصفة نعيمها وأهلها، باب جهنَّم أعاذنا الله منها، ص١٣٦٣، حديث رقم (٢٨٥٠).

(٢) لمزيد من المعلومات يراجع كتاب: ماذا بعد الموت، شاكر عبد الجبار، ص١٥٨-١٦٨.

(٣) الألُوَّة: العود الذي يُتبخر به، النهاية في غريب الحديث والأثر، ص٤٤.

(٤) سنن الترمذي، كتاب صفة الجنَّة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في صفة أهل الجنَّة، ص٥٧١، حديث رقم (٢٥٣٧)، قال الألباني: حديث صحيح.

(٥) قشبني: أي سمّني وآذاني. النهاية ...، ص ٧٥٢.

(٦) ذكاؤها: شدة وهيج النّار ولهيبها. النهاية ...، ص ٣٢٩.

فيقول: أي ربِّ ويدعو الله حتى يقول له: فهل عسيتَ إن أعطيتك ذلك أن تسأل غيره؟ فيقول: لا وعزّتك فيُعطي ربه ما شاء الله من عهود ومواثيق فيقدمُهُ إلى باب الجنَّة، فإذا قام على باب الجنة، انفهقت [1] **له الجنَّة فرأى ما فيها من الخير والسرور فيسكت ما شاء الله أن يسكت، ثم يقولُ أي ربِّ أدخلني الجنَّة، فيقول الله تبارك وتعالى له: أليس قد أعطيتَ عهودك ومواثيقك أن لا تسأل غير ما أُعطيت، ويلك يا ابن آدم ما أغدرك؟ فيقول: أي ربِّ لا أكون أشقى خلقك فلا يزال يدعو الله حتى يضحك اللهُ تبارك وتعالى منه، فإذا ضحك منه قال: ادخل الجنَّة، فإذا دخلها؟ قال الله له: تمنَّ، فيسأل ربه ويتمنى حتى إن الله ليُذكرهُ من كذا وكذا حتى إذا انقطعت به الأماني قال الله تعالى: ذلك لك ومثله معه)** ، وفي رواية ... زيادة **ولك عشرةُ أمثاله** [2].

هذه بعض من مظاهر القدرة الإلهية في الحياة الأبدية والتي تظهر قدرة الله المطلقة، في عظم هذه الجنَّة، وخدمها، ومبانيها وأدواتها وأنهارها ونسائها وفرشها، وطعام وشراب ولباس أهلها، وغيرها من الأمور التي نعلمها، والأمور التي لا نعلمها عن أهلا، ومن ثم خلودهم في الجنَّة!!!

ثانياً: النَّار:

نار الدنيا نار رحمة فهي مسخرة لخدمة الإنسان في أمور حياته ولما سخرت له، ونار الآخرة نار عذاب.

النَّار لغةً:

بين ابن منظور أن النّار معروفة وهي التي يعذب الله بها في الآخرة وتصغيرها نويرة، والجمع أنور ونيران [3].

النَّار اصطلاحاً:

يرى الباحث أن النَّار هي: مخلوق من مخلوقات الله التي يُعذَّب بها العصاة، والتي جعلها الله دار البقاء الدائم للكافرين والمشركين جزاء كفرهم وشركهم في الدنيا.

أسماء النَّار في القرآن الكريم:

وردِ لفظ النَّار مُراداً به دار العذاب في الآخرة نحو مائة وأربعين مرة في حين ورد اسم جهنّم في القرآن الكريم نحو ثمانٍ وسبعين مرة، وورد لفظ السعير سبع عشرة مرة [4] وما هذا التكرار

---

(١) انفهقت: انفتحت واتّسعت. النهاية ...، ص ٧٢٢.

(٢) صحيح مسلم، آخر أهل الجنة دخولاً، ص ١٠٧، حديث رقم (١٨٢).

(٣) انظر: لسان العرب، م١٤، ص ٣٨١.

(٤) البعث والدار الآخرة في هدي القرآن الكريم، محمد عبد السلام أبو النيل، ص٢٤٧-٢٥٢.

التكرار إلا لتخويف الناس، والتهويل من أمرها والحذر منها واتقائها بتقوى الله وطاعته والامتثال لأمره تبارك وتعالى. ومن هذه المواضع التي ذكر فيها اسم النَّار وبأسماء عديدة منها:

١- جهنَّم:

قال تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جهنَّم وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [آل عمران:١٢] .

أي قل يا محمد للذين كفروا من يهود بني إسرائيل الذين يتبعون ما تشابه من آي الكتاب الذي أنزلته إليك ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، وستغلبون وتحشرون إلى جهنَّم وبئس المهاد (١).

٢- الجحيم:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [المائدة:١٠] قال البقاعي في تفسير قوله تعالى: ﴿أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ أي النَّار التي اشتد توقدها فاشتد احمرارها، فلا يراها شيء إلا أحجم عنها (٢) أي بمعنى: النَّار الشديدة التأجج والحرارة.

٣- السعير:

قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [الحج:٤]قال غسان حمدون في تفسيره: "عذاب السعير: النَّار" (٣).

٤- سقر:

وقد ورد هذا الاسم في القرآن الكريم أربع مرات (٤) قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّار عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ [القمر:٤٨] قال السَّعدي: ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ ذوقوا سم النَّار وغيظها ولهيبها (٥) أي بمعنى: التي تلتهب سماً وغيظاً وتأججاً.

٥- الحطمة:

قال تعالى: ﴿كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ * نَارُ اللهِ الْمُوقَدَةُ * الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾ [الهمزة:٤-٧] قال الشعراوي: الحطمة اسم من أسماء النَّار (٦) أي بمعنى تُحطَّمُ ما يلقى فيها من شدة حرارتها.

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، م٣، ص١٧٣.

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، م٢، ص٤٠٩.

(٣) تفسير من نسمات القرآن، ص٣٤٧.

(٤) البعث والدار الآخرة في هدي القرآن الكريم، ص٢٥٤.

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص٩٢٠.

(٦) زبدة التفاسير، ص٧٣٦.

٦- لظى:

قال تعالى: ﴿نَزَّاعَةً لِلشَّوَى﴾ [المعارج:١٦]قال الشعراوي لظى: اسم من أسماء جهنَّم [١].

٧- الهاوية:

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ * نَارٌ حَامِيَةٌ ﴾ [القارعة:٨-١١].﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾: أي فمأواه الهاوية التي يهوي فيها على رأسه على جهنَّم [٢] بمعنى النَّار.

٨- السموم:

قال تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ * قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ * فَمَنَّ اللهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴾ [الطُّور:٢٥-٢٧].﴿ فَمَنَّ اللهُ عَلَيْنَا﴾: أي تفضل علينا الله ﴿وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴾: أي حفظنا من نار جهنَّم النافذة في المسام [٣] أي بمعنى: شديدة القوة والتأثير.

صفات النَّار التي أعدت للكافرين:

نار الدنيا والآخرة مسماها واحد ولكنهما يختلفان في كثير من الأمور منها:

١- **شدة حرارتها:** تختلف نار الآخرة عن نار الدنيا في درجة وشدة الحرارة، قال تعالى: ﴿... قُلْ نَارُ جهنَّم أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة:٨١].

وفي الحديث عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(ناركم جزء من سبعين جزءاً من نار جهنَّم، قيل يا رسول الله إن كانت لكافية، قال: فضلت عليهن بتسعة وستين جزءاً كلهن مثل حرَّها)** [٤].

٢- **وقودها:** قال تعالى: ﴿... فَاتَّقُوا النَّار الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:٢٤]

فوقود النَّار هي ما يلقى فيها لإضرامها، كالحطب ونحوه، والمراد بالحجارة حجارة الكبريت العظيمة السوداء المنتنة وهي أشد الأحجار حراً إذا أحميت، بمعنى أنها تمتص الحرارة ثم تفرغها في الكفار يوم القيامة، فهي شديدة الالتصاق بالجلد وهذه الحجارة خلقها الله في السماء

---

(١) زبدة التفاسير، ص٦٦٤.

(٢) تفسير القرآن الكريم "ري العليل من محاسن التأويل"، ص٦٠٠.

(٣) اللؤلؤ والمرجان في تفسير القرآن، م٣، ص٢٣٧.

(٤) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة النَّار وأنها مخلوقة، ص٦٨٤، حديث رقم (٣٢٦٥)، مسند الإمام أحمد، م٨، ص٤٦٧، حديث رقم (٤٨٦٢)، قال شعيب حديث صحيح على شرط الشيخين.

الدنيا يُعدها للكافرين، إذا أحمي عليها خرجت لها رائحة أنتن من الجيفة وهذه النَّار أعدت للكافرين يوم القيامة (١).

قال صاحب التذكرة "حطب النَّار": شباب وشيوخ وكهول ونساء عاريات طال منهن العويل(٢).

٣- قعرها: قعر نار الآخرة لا يتصوره العقل ولا يحيط بعلمه!!!

عن أبي هريرة ﷺ قال: كنا مع رسول الله ﷺ إذ سُمع وجبه(٣) فقال النبي ﷺ: **(أتدرون ما هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: هذا حجر رُمي به في النَّار منذ سبعين خريفاً فهو يهوي في النَّار الآن حتى انتهى إلى قعرها)** (٤) فهذه النَّار قعرها لا يعلمه إلا الله الذي خلقها!!!

أحوال أهل النَّار:

تتعدد أحوال أهل النَّار في صور عديدة منها:

١- الموكلون بالنَّار:

الموكلون بالنَّار القائمون عليها ملائكة غلاظ شداد ينتظرون أوامر الله، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التَّحريم:٦] ، وفي وصف آخر لهم قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾ [الحج:٢١] ، وهذه المقامع يضربون بها أهل النّار.

٢- ثياب أهل النَّار:

ثياب أهل النَّار، من نار، فنار على نار أعدها الله للكافرين والفجار.

قال تعالى: ﴿...فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ...﴾ [الحج:١٩] وقال أيضاً: ﴿سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ ...﴾ [إبراهيم:٥٠] .

﴿سَرَابِيلُهُمْ﴾: أي قُمصُهم (٥).

---

(١) القرآن العظيم، م١، ص٦٤، بتصرف.

(٢) ص٣٩٤، باب ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَةُ﴾ [البقرة:٢٤] .

(٣) الوجبة: السقطة.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الجنَّة وصفة نعيمها وأهلها، باب جهنَّم - أعاذنا الله منها -، ص١٣٦٠، حديث رقم (٢٨٤٤).

(٥) تفسير الجلالين، ص٣٤٣.

القطران: سائل أسود حاد حار بذاته، ويسرع فيه الاشتعال، وهو نتن الرائحة [(١)].

طعام وشراب أهل النَّار:

طعام وشراب أهل النَّار أخذ أوصافه من النَّار وزاد عنها في أمور أخرى.

قال تعالى: ﴿... إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف:٢٩].

ورد في بيان معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾: إنا أعددنا للظالمين الذين كفروا بربهم ناراً ﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ هو حائط من نار يطيف بهم، كسرادق تحيط بهم لتكون لهم بيتاً يحجزهم بجدار، ويعذبون فيه من نار جهنَّم ودخانها وإذا طلبوا بغوث أغيثوا بماء كالمهمل.

ولقد تعدد أراء العلماء في بيان معنى ﴿كَالْمُهْلِ﴾ منها:

* ماء كعكر الزيت إذا قرب إليه سقطت فروة الوجه فيه.

* هو الذهب والفضة إذا أذيبا في النَّار.

* القيح والدم الأسود.

* ماء جهنَّم أسود.

* هو الماء الذي انتهى حره.

وهذا المهل ﴿يَشْوِي الْوُجُوهَ﴾ من شدة حرارته فيسقط لحم الوجه في هذا الماء.

﴿بِئْسَ الشَّرَابُ﴾ هذا الماء الذي يغاث به هؤلاء الظالمون في جهنَّم المتصف بالصفات السابقة هو﴿بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾. ساءت هذه النَّار التي أعتدناها للظالمين متكأ ونزل لهم[(٢)].

وفي موضع آخر يبين الله طعام وشراب أهل النَّار، قال تعالى: ﴿هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾ [ص:٥٧].

---

(١) فتح الرحمن في تفسير القرآن، م٣، ص ١٧٢١.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، م٧، ص٥٣٥٣-٥٣٣٥ بتصرف.

قال ابن كثير في تفسيره:" أما الحميم: فهو الحار الذي انتهى حره، أما الغسَّاق: فهو ضده وهو البارد الذي لا يستطاع من شدة برده المؤلم" (١).

وفي موضع آخر يقول تعالى عن الكفار في نار جهنَّم: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا * إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾ [النَّبأ:٢٤-٢٥].

جاء في كتاب التذكرة أن "الغسَّاق":

* القيح الغليظ المنتن.

* الذي لا يُستطاع من شدة برده، وهو الزمهرير.

* صديد أهل النّار، وما يسيل من أبدانهم (٢).

وفي موضع آخر يخبر الله عن طعام أهل النَّار: ﴿فَلَيْسَ لَهُ اليَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ * وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ [الحاقَّة:٣٥-٣٦].

في الآية بيان لحال الكافر في النَّار كأنه ليس له قريب ولا صديق ولا شفيع فيشفع له لينقذه من عذاب النَّار، كما أن ليس له طعام إلا من صديد أهل النَّار الذي هو في غاية الحرارة والمرارة ونتن الريح وقبح الطعم (٣).

وهناك آيات كثيرة أخرى تصف حال وطعام وشراب أهل النَّار.

٥- حال وأشكال الكفار في النَّار:

كما وصفت النَّار باتساعها وشدة حرارتها وقوة وقودها التي تعطي درجة حرارة عالية، فلا بد أن تختلف أشكال وأحوال الكفار فيها ليتناسب شكل الكافر وطبيعته مع نار جهنَّم، ويمكن تحديد هذه الأشكال والأحوال للكفار في عدة أمور منها:

أ- ضرس الكافر في النَّار:

عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: **(ضرسُ الكافر يوم القيامة مثل أحد)** (٤).

إذاً كما أنَّ النَّار يوم القيامة لا يُوصف كبرها وعظمها وكذلك فإن الله يجعل الكافر فيها بشكل وحال يتناسب مع هذه النَّار ليزداد عذاباً فيها.

---

(١) تفسير القرآن العظيم، م٤، ص٤٥.

(٢) باب ما جاء في طعام أهل النَّار وشرابهم ولباسهم، ص٤٠٣، ٤٠٤.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص٩٨٢.

(٤) سنن الترمذي، كتاب صفة جهنَّم عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في عظم أهل النَّار، ص٥٨١، حديث رقم (٢٥٧٩)، قال الألباني: حديث حسن.

ب- فخذ الكافر:

لقد بين النبي ﷺ عِظم وكبر فخذ الكافر في النَّار يوم القيامة، عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: **(ضرس الكافر يوم القيامة مثل أحد وفخذه مثل البيضاء [١] ...)** [٢].

ففخذ الكافر في النَّار مثل جبل البيضاء وهو جبل كبير عظيم.

ج- جبين الكافر في النَّار:

وفي حديث آخر للنبي ﷺ يصف فيه جبين الكافر في نار جهنَّم يوم القيامة بأنه مثل جبل الورقان بالمدينة، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(ضرس الكافر مثل أحد، وفخذه مثل البيضاء، وجبينه مثل الورقان[٣] ...)** [٤].

د- كثف بصر الكافر في النَّار:

في حديث أبي هريرة السابق يبين رسول الله ﷺ عظم كثف بصر الكافر في النَّار، **(ضرس الكافر مثل أحد، وفخذه مثل البيضاء، وجبينه مثل الورقان، وكثف بصره سبعون ذراعاً ...)**.

هـ- غلظ جلد الكافر في النَّار:

يبلغ سمك جلد الكافر يوم القيامة اثنتان وأربعون ذراعاً، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(إنَّ غلظ جلد الكافر اثنتان وأربعون ذراعاً، وإنَّ ضرسه مثل أحد ...)** [٥].

وفي حديث آخر في سنن الترمذي سبق ذكره من رواية أبي هريرة: **(... وغلظ جلده مسيرة ثلاث وكلما تنضج جلودهم يبلدها الله غيرها)** [٦].

قال تعالى: ﴿...كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا العَذَابَ﴾ [النساء:٥٦] .

---

(١) البيضاء: اسم جبل، النهاية في غريب الحديث والأثر، ص ٩٨.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ص٩٨.

(٣) الورقان: جبل أسود بين القرح والرويثة، على يمين المسار من المدينة إلى مكة. النهاية في غريب الحديث والأثر، ص ٩٦٨.

(٤) كتاب الزهد والرقائق، الإمام عبد الله بن المبارك الحنظلي المروزي، ج٢، ص ٨٧، صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، ج٢، ص ٧٢٢.

(٥) سنن الترمذي، كتاب صفة جهنَّم عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في عظم أهل النَّار، ص٥٨٠، حديث رقم (٢٥٧٧)، قال الألباني: حديث صحيح.

(٦) نفس الكتاب والباب والصفحة، حديث رقم (٢٥٧٨).

أي كلما احترقت جلودهم حتى لم تعد صالحة، تستبدل بأخرى حية تشعر بالألم وتحس بالعذاب وذلك لكي يذوقوا العذاب الدائم الغير منقطع [١].

مقعد الكافر في النَّار:

لقد بين النبي ﷺ في حديث سبق ذكره مقعد الكافر في النَّار، عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: **(إنَّ غلظ جلد الكافر اثنتان وأربعون ذراعاً، وإنَّ ضرسه مثل أحد، وإنَّ مجلسه من جهنَّم كما بين مكة والمدينة)** [٢].

وفي حديث سابق آخر يبين النبي ﷺ مقعد الكافر في النَّار كما بين الرَّبذة، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(ضرس الكافر مثل أحد، وفخذه مثل البيضاء، وجبينه مثل الورقان، ومجلسه من النَّار كما بين وبين الرَّبذة [٣]، وكثف بصره سبعون ذراعاً)** [٤].

أقل أهل النَّار عذاباً:

النبي ﷺ قال: **(إن أهون أهل النَّار عذاباً يوم القيامة، لرجل يوضع في أُخمص [٥] قدميه قدميه جمرة يغلي منه دماغه)** [٦].

وفي حديث آخر عن النعمان بن بشير ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **(أهون أهل النَّار عذاباً من له نعلان وشراكان من نار يغلي منهما دماغه كما يغلي المرجل، ما يرى أن أحداً أشد منه عذاباً، وإنه لأهونهم عذاباً)** [٧].

هذان الحديثان يصوران أقل عذاب يعذب به الإنسان يوم القيامة هو من توضع في أخمص قدميه جمرة، أو من له نعلان من نار يغلي من شدة حرارتها مخه، فيتصور هذا الإنسان من شدة العذاب الناتج عن الجمرة أو النعلان، أنه أكثر إنسان يعذب في النَّار، ولكن هذا الإنسان هو أقل الناس عذاباً يوم القيامة.

---

(١) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، م٣، ج٥، ص١١٨.

(٢) نفس حديث رقم (٢٥٧٧)، السابق، ولكن تكملة له، سبق تخريجه في نفس الصفحة.

(٣) الرَّبذة: قرية معروفة قرب المدينة، النهاية في غريب الحديث والأثر، ص٣٤٠، ويقصد بها كما بين مكة والمدينة كما ورد في كتاب التذكرة في أحوال الموتى، ص٣٩٥.

(٤) سبق تخريجه عند بيان جبين وكثف بصر الكافر، ص ٢٧٣ .

(٥) الأخمص من القدم: الموضع الذي لا يلتصق بالأرض عند الوطء. النهاية ...، ص ٢٨٦.

(٦) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب صفة الجنَّة والنَّار، ص١٣٢٨، حديث رقم (٦٥٦١).

(٧) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب أهون أهل النار عذاباً، ص ١٢٦، حديث رقم (٢١٣).

بعد عرض حال النَّار وصفاتها وأحوال أهل النَّار فيها، كل هذه الأمور وغيرها لا يقدر عليها إلا صاحب قدرة مطلقة، ليس له شبيه ومثيل ولا نظير، أمره بين الكاف والنون، إذا أراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون.

خلاصة المبحث:

أبان المبحث عن القدرة الإلهية على النّفس البشرية عند نصب الميزان لوزن أعمال العباد، ومن ثمّ مجازاة المحسن على إحسانه، وعقاب المسيء على إساءته، لبيان عدل الله المطلق بين البشر، ثم تنعم أهل الجنّة في الجنّة، وعذاب أهل النّار في النّار في حياة أبدية عند رب البريّة خلود بلا موت.

بهذا ينتهي بحثنا الذي يحمل عنوان: القدرة الإلهية في آيات النَّفس البشرية!!!

الخاتمة

الحمد لله الذي بقدرته وبنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والرسالات.

فالحمد لله الذي أعانني على اختيار هذا الموضوع ووفقني لإتمامه ولقد توصل الباحث من خلال هذا العمل المتواضع إلى مجموعة من النتائج والتوصيات والتي تعد ثمرة من ثمرات هذا البحث.

أولاً: أهم النتائج التي توصل إليها الباحث:

١- أبرز البحث أن قدرة الله مطلقة وقدرة العبد قاصرة يستمدها من الله.

٢- بين البحث أن آيات الله في النفس البشرية لا تعد ولا تحصى وتتكشف يوماً بعد يوم لبيان قدرة الله وعظمته.

٣- إن الخلق الذي هو إنشاء الشيء من العدم لا يكون إلا لله ﷻ ومن هنا تتجلى قدرة الله وعظمته.

٤- أظهر البحث أن كلمة آية أعم وأشمل من كلمة المعجزة.

٥- أكد البحث أن مراحل وأطوار خلق الإنسان قد ذكرها الله قبل أن يتوصل العلم الحديث إليها في ظل التقدم العلمي والتكنولوجي وهذا دليل على أن هذا القرآن من عند العليم الخبير.

٦- ظهر للباحث أن هذا القرآن الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، والتي منها خلق الإنسان في أحسن تقويم، قد تكشفت بعض هذه الآيات في ظل التقدم العلمي والتكنولوجي.

٧- ظهر للباحث من خلال الآيات التي أودعها الله في الإنسان أن عظم المخلوق يدلل على عِظم الخالق، لذلك أقسم الله بمخلوقاته ليدلل على قدرته ﷻ.

٨- أثبت البحث أن القرآن يحتوي على كثير من العلوم والمفاهيم والحقائق والنظريات.

٩- أثبت البحث أن آيات الله تتكشف يوماً بعد يوم حسب إرادة الله ومشيئته المصاحبة لحكمته.

١٠- أكد البحث أن علم القرآن أصدق العلوم لأنه من عند خالق الخلق.

١١- يُعد القرآن الكريم أساس وأصل لجميع العلوم.

١٢- أبرز البحث بعضاً من وجوه الإعجاز العلمي في خلق الإنسان.

١٣- أظهر البحث أن النفس البشرية لها من الخصائص والصفات التي تميزها عن غيرها من المخلوقات.

١٤- يوجد في القرآن الكريم الكثير من الحقائق والسنن الكونية قد بينها الله للخلق ليزداد المؤمن إيماناً ويقيناً ويقيم الحجة على الكافر الجاحد.

١٥- آيات الله في الخلق تتنوع وتتعدد وفي هذا إشارة إلى عظم الخالق.

١٦- أثبت البحث أن آيات الله في النفس البشرية عديدة منها ما ظهر علمه لنا ومنها ما هو خافي علينا.

١٧- أكد البحث على تكريم النّفس البشرية وتفضيلها على سائر المخلوقات، وأن نعم الله لا تعد ولا تحصى على الإنسان، ومن أكبر هذه النعم نعمة العقل.

١٨- تتجلى قدرة الله في خلق النفس البشرية في كل مرحلة من مراحلها عند الخلق وعند الوجود وعند الموت وعند البعث وعند الحشر والحساب وفي الحياة الأبدية.

١٩- القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ثانياً: التوصيات:

١- أوصي طلبة العلم والمعرفة بضرورة مواصلة البحث العلمي خاصة في المجالات التي تتناول الجانب العلمي، وذلك لما لها من دور دعوي هام خصوصاً بين الطبقة المتعلمة.

٢- لا بد من توظيف التقدم العلمي والتكنولوجي في خدمة القرآن الكريم.

٣- ضرورة البحث للكشف عن أسرار الإعجاز في القرآن الكريم سواء الإعجاز البياني أو العلمي.

٤- أوصي طلبة العلم في بحوثهم في هذا المجال بدراسة جهاز واحد من أجهزة الجسم، وذلك لأنه أكثر فائدة وبياناً لوجوه الإعجاز.

٥- أوصي كل عالم في مجال العلم والمعرفة أن يكون هدفه وهمه الأسمى هو إظهار قدرة الله وعظمته وسعة علمه في هذا الكون ومن ثم العمل على رضاه وطلب مغفرته.

وفي الختام أسأل الله القدير المقتدر ذو العظمة والقوة والجبروت أن أكون قد وفقت في إبراز جانب العظمة والقدرة الإلهية في آيات النفس البشرية، وأن ينفعني هذا البحث وطلاب العلم في الحياة الدنيا والحياة الأبدية عند رب البريّة.

سبحانك اللهم وبحمدك عدد خلقك ورضا نفسك وزنة عرشك ومداد كلماتك.

الباحث

عامر فوزي عودة

الفهارس

ونشتمل على:

أولاً: فهرس الآيات القرآنية.

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.

ثالثاً: فهرس الأعلام المترجم لهم.

رابعاً: فهرس المصادر والمراجع.

خامساً: فهرس الموضوعات.

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

سورة الفاتحة			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١-	﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾	٤	٢٣٣
سورة البقرة			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢-	﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آَمَنَّا بِاللهِ وَبِاليَوْمِ الآَخِرِ ...﴾	٨	٩٣
٣-	﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آَمَنَّا بِاللهِ ...﴾	٨-٩	٦٦
٤-	﴿يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آَمَنُوا ...﴾	٩	٩٣
٥-	﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضًا﴾	١٠	٩٤
٦-	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ ...﴾	١١	٩٤
٧-	﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ...﴾	١٧	٩٩
٨-	﴿يَكَادُ البَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ ...﴾	٢٠	٣
٩-	﴿إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾	٢٠	١١، ١٥
١٠-	﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ ...﴾	٢٤	٢٧٢
١١-	﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ...﴾	٢٥	٢٦٣
١٢-	﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ ...﴾	٢٥	٢٦٥
١٣-	﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا﴾	٢٩	١١٨، ٢٠٠
١٤-	﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾	٣٠	٧١، ١١٠، ١٩٨
١٥-	﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا ...﴾	٣٩	٦٦

٥٥-	﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا﴾	٣٠	٧٤
٥٦-	﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي ...﴾	٣١	٦٢
٥٧-	﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ ...﴾	٣٧	٣٠
٥٨-	﴿وَيُعَلِّمُهُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ﴾	٤٨	١١٣
٥٩-	﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ...﴾	٤٩	١٢٩
٦٠-	﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ ...﴾	٤٩-٥٠	١٠٦
٦١-	﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ ...﴾	٥٩-٦٠	١٢٧
٦٢-	﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا ...﴾	٦٧	١٠٣
٦٣-	﴿يَا أَهْلَ الكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ ...﴾	٧٠	١٠٧
٦٤-	﴿يَا أَهْلَ الكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الحَقَّ بِالبَاطِلِ ...﴾	٧١	١٠٩
٦٥-	﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِينًا ...﴾	٨٥	١٠٣
٦٦-	﴿قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ ...﴾	٩٩	١٠٧
٦٧-	﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾	١١٠	٢٢٠
٦٨-	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ...﴾	١١٨	٩٦
٦٩-	﴿إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ...﴾	١٢٠	٩٦
٧٠-	﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ ...﴾	١٢٣-١٢٥	٢١٠
٧١-	﴿وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ ...﴾	١٢٦	١٧٣
٧٢-	﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ...﴾	١٣٣	٢٦٧
٧٣-	﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ ...﴾	١٣٧	٢١٦
٧٤-	﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ ...﴾	١٥٩	٦١
٧٥-	﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى المُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا ...﴾	١٦٤	٢٢٠

-١١٢	﴿أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ ...﴾	٣٢	٧٤
-١١٣	﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ ...﴾	٣٣-٣٤	٤١
-١١٤	﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ﴾	٤٤	٩١
-١١٥	﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ...﴾	٤٤	١٠٩
-١١٦	﴿وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ﴾	٤٥	١٦٧
-١١٧	﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ ...﴾	٤٧	١١٠
-١١٨	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا اليَهُودَ وَالنَّصَارَى ...﴾	٥١	١٠٩
-١١٩	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا ...﴾	٥٤	٦٢
-١٢٠	﴿قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آَمَنَّا بِاللهِ ...﴾	٥٩	١٠٩
-١٢١	﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ وَالعُدْوَانِ ...﴾	٦٢	٦٨
-١٢٢	﴿وَاللهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾	٦٤	٨٩
-١٢٣	﴿وَقَالَتِ اليَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ ...﴾	٦٤	١٠٥
-١٢٤	﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ...﴾	٦٧	٢١٥، ٢١٧
-١٢٥	﴿قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ ...﴾	٦٨	١٠٩
-١٢٦	﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ المَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ...﴾	٧٢	١٢٩
-١٢٧	﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ...﴾	٧٣	١٢٩
-١٢٨	﴿قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ...﴾	٧٧	١٠٨
-١٢٩	﴿تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الحَقِّ﴾	٨٣	١٧٩
-١٣٠	﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا البَلَاغُ ...﴾	٩٩	٢١٥
-١٣١	﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾	١١٦	٢١
-١٣٢	﴿وَإِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ...﴾	١١٦	١٢٩

١٣٣-	﴿ قَالَ اللهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ... ﴾	١١٩	٦٠
١٣٤-	﴿ لله مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ... ﴾	١٢٠	٤، ٦
سورة الأنعام			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٣٥-	﴿ الحَمْدُ لله الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ ... ﴾	١	١١٨
١٣٦-	﴿ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ ... ﴾	١٠	٢١٩
١٣٧-	﴿ وَمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ ... ﴾	٣٢	٤٦
١٣٨-	﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ المَوْتُ ... ﴾	٦١	٢٢٥
١٣٩-	﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى الله هُوَ الهُدَى ... ﴾	٧١	٤٥
١٤٠-	﴿ وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ ... ﴾	٩١	٣، ٥، ١٦
١٤١-	﴿ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ اليَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الهُونِ ﴾	٩٣	٧٣
١٤٢-	﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ المَوْتِ ... ﴾	٩٣	٢٢٧
١٤٣-	﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا... ﴾	٩٧	٢١٣
١٤٤-	﴿ لَا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ ... ﴾	١٠٣	١٩
١٤٥-	﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ ... ﴾	١٠٤	٧٩
١٤٦-	﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ ... ﴾	١٢٥	١٧١
١٤٧-	﴿ لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ ... ﴾	١٢٧	٢٦١
١٤٨-	﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الأَرْضِ ... ﴾	١٦٥	٤٣
سورة الأعراف			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٤٩-	﴿ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ المُرْسَلِينَ ﴾	٦	٢٥٦

-١٥٠	﴿وَالوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الحَقُّ ...﴾	٨	٢٤٧
-١٥١	﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ ...﴾	٩	٢٤٧
-١٥٢	﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ...﴾	١٤	٥٣
-١٥٣	﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ...﴾	١٤-١٧	٧٨
-١٥٤	﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الجَنَّةَ ...﴾	١٩	٣١
-١٥٥	﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ ...﴾	٢٠	٧٩
-١٥٦	﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾	٢٩	١٦٩
-١٥٧	﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾	٣١	٣١
-١٥٨	﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ ...﴾	٣١	٣٣
-١٥٩	﴿وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾	٥٤	٢١٣، ٢١٤
-١٦٠	﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى ...﴾	١٠٣	٥٢
-١٦١	﴿قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ ...﴾	١١٦	١٧٩
-١٦٢	﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ ...﴾	١٢٩	٤٤
-١٦٣	﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ ...﴾	١٣٣	١٠٥
-١٦٤	﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ البَحْرَ ...﴾	١٣٨	١٠٦
-١٦٥	﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ ...﴾	١٥٧-١٥٩	١٠٣
-١٦٦	﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾	١٥٩	٦٢
-١٦٧	﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ...﴾	١٧٢	٤٤، ٧٤، ١٣٧
-١٦٨	﴿شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ القِيَامَةِ ...﴾	١٧٢	١٣٤
-١٦٩	﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ ...﴾	١٧٩	٨٥
-١٧٠	﴿وَللهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى ...﴾	١٨٠	١٠، ٢٥٢
-١٧١	﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾	١٨٢	٦٦

٢٥٦-	﴿وَأَوْفُوا بِالعَهْدِ إِنَّ العَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾	٣٤	٦٤
٢٥٧-	﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ...﴾	٣٦	١٧٨
٢٥٨-	﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾	٥٣	٧٩
٢٥٩-	﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ...﴾	٦٠	٦٩
٢٦٠-	﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي البَرِّ وَالبَحْرِ ...﴾	٧٠	١٩٨
٢٦١-	﴿فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ...﴾	٧١	٢٥٤
٢٦٢-	﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ...﴾	٨٥	١٢١، ١٥٦، ١٦٣
٢٦٣-	﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾	٨٥	١٦٣
٢٦٤-	﴿وَمَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ المُهْتَدِ ...﴾	٩٧	٢٤٣
٢٦٥-	﴿قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ ...﴾	١١٠	٢٥٢

سورة الكهف

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٦٦-	﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾	١١	١٧٨
٢٦٧-	﴿وَقُلِ الحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ ...﴾	٢٩	٣٦
٢٦٨-	﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا ...﴾	٢٩	٢٧٤
٢٦٩-	﴿وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا﴾	٤٥	٤، ٦، ١٢
٢٧٠-	﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الجِبَالَ وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً ...﴾	٤٧	٢٣٨
٢٧١-	﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾	٤٩	١٢، ٢٥٣
٢٧٢-	﴿وَوُضِعَ الكِتَابُ فَتَرَى المُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ ...﴾	٤٩	٢٥٣
٢٧٣-	﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ...﴾	٥١	١٣٧

٣٠٨-	﴿ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ ... ﴾	٤	٢٧١
٣٠٩-	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ البَعْثِ ... ﴾	٥	٥٣، ١٤٧، ١٤٩، ١٥١
٣١٠-	﴿ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ ﴾	١٩	٢٧٣
٣١١-	﴿ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الحَمِيمُ ... ﴾	١٩-٢٠	١٨٦
٣١٢-	﴿ وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴾	٢١	٢٧٣
٣١٣-	﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ﴾	٢٣	٢٦٦
٣١٤-	﴿ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾	٣٨	٦٧
٣١٥-	﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالعَذَابِ ... ﴾	٤٧	٢٤٤
٣١٦-	﴿ وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ﴾	٦٦	٤٦
٣١٧-	﴿ مَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ ... ﴾	٧٤	١٦

سورة المؤمنون

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٣١٨-	﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾	٨	٦٠
٣١٩-	﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴾	١٢	٢٣، ٧١، ١٢٠، ١٦٥
٣٢٠-	﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ... ﴾	١٢-١٣	٢٨، ١٤٧، ١٤١
٣٢١-	﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴾	١٣	١٤٨
٣٢٢-	﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ... ﴾	١٢-١٤	٢٨، ١٤١، ١٥١، ١٨٢
٣٢٣-	﴿ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ ﴾	١٤	١١٨، ١١٩، ١٥٦، ٢٠٩

٣٤١-	﴿ وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ ... ﴾	٧	٣٢
٣٤٢-	﴿ قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ ... ﴾	١٥	٢٦١
٣٤٣-	﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ... ﴾	٢١	٦٨
٣٤٤-	﴿ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ ... ﴾	٤٠	٥٦
٣٤٥-	﴿ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾	٥٤	١٤، ٢٧
٣٤٦-	﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا ... ﴾	٥٤	٢٧
٣٤٧-	﴿ أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا ... ﴾	٧٥	٢٦١
	سورة الشعراء		
م	**الآية**	**رقم الآية**	**رقم الصفحة**
٣٤٨-	﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴾	١٠٥	٢١٨
٣٤٩-	﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ ﴾	١٢٣	٢١٨
٣٥٠-	﴿ فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ ... ﴾	١٣١-١٣٤	٢١٠
٣٥١-	﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴾	١٤١	٢١٨
٣٥٢-	﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴾	١٦٠	٢١٨
	سورة النمل		
م	**الآية**	**رقم الآية**	**رقم الصفحة**
٣٥٣-	﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ ... ﴾	١٩	١٩٤
	سورة القصص		
م	**الآية**	**رقم الآية**	**رقم الصفحة**
٣٥٤-	﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ ... ﴾	٤	٨٩، ٩٠
٣٥٥-	﴿ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾	٤	٨٩
٣٥٦-	﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ ... ﴾	٢٦	٣٩

-٤٠١	﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ ...﴾	٤٩-٥٠	٢٣٥
-٤٠٢	﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ...﴾	٥١	٢٣٥، ٢٤١
-٤٠٣	﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَ ...﴾	٥١-٥٣	٢٣٥
-٤٠٤	﴿اليَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ ...﴾	٦٥	٢٥٨
-٤٠٥	﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾	٨٢	٦، ١٤
	سورة الصافات		
م	**الآية**	**رقم الآية**	**رقم الصفحة**
-٤٠٦	﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ...﴾	٤٨-٤٩	٢٦٥
-٤٠٧	﴿سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ...﴾	١٠٩-١١٣	٦٣
-٤٠٨	﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ...﴾	١٤٣-١٤٤	٥٤
	سورة ص		
م	**الآية**	**رقم الآية**	**رقم الصفحة**
-٤٠٩	﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الحِكْمَةَ وَفَصْلَ الخِطَابِ﴾	٢٠	١١٣
-٤١٠	﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ ...﴾	٤٢	٣٣
-٤١١	﴿هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾	٥٧	٢٧٤
-٤١٢	﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ...﴾	٧١-٧٥	٢٥، ١٩٨
	سورة الزمر		
م	**الآية**	**رقم الآية**	**رقم الصفحة**
-٤١٣	﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى ...﴾	٣	٨٤
-٤١٤	﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ...﴾	٦	٢٨، ١٢٣، ١٣٥، ١٥٨
-٤١٥	﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ ...﴾	٩	١١٤

٤١٦-	﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾	١٥	٣٧
٤١٧-	﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ ...﴾	٢٠	٢٦٢
٤١٨-	﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ...﴾	٢٢-٢٣	١٨٨
٤١٩-	﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾	٣٠	٥١، ٢٢٤
٤٢٠-	﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللهِ﴾	٣٢	٦٦
٤٢١-	﴿اللهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ...﴾	٤٢	٥٢، ٧٢، ٧٣
٤٢٢-	﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللهِ ...﴾	٦٠	٢٣٣
٤٢٣-	﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ ...﴾	٦٥-٦٦	١٠٤
٤٢٤-	﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ ...﴾	٦٧	١٦
٤٢٥-	﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ ...﴾	٦٨	٢٣٥
٤٢٦-	﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى ...﴾	٦٨	٢٣٧
	سورة غافر		
م	**الآية**	**رقم الآية**	**رقم الصفحة**
٤٢٧-	﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا ...﴾	٤	٨٧
٤٢٨-	﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ ...﴾	١٥	٧٤
٤٢٩-	﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾	٦٧	١٥٨
٤٣٠-	﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا﴾	٦٧	١٦٠
٤٣١-	﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ﴾	٦٧	١٥٩
٤٣٢-	﴿كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ ...﴾	٨٢	٣٩

سورة فصلت			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٤٣٣-	﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ... ﴾	٣٠	٢٢٦
٤٣٤-	﴿ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾	٤٠	٣٧
٤٣٥-	﴿ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ ... ﴾	٤٧	٢٣٤
٤٣٦-	﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ ... ﴾	٥٣	د، ٤٨
سورة الشورى			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٤٣٧-	﴿ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾	١١	١١، ١٦، ١٧، ١٨
٤٣٨-	﴿ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ... ﴾	١٥	٤٥، ٦١
٤٣٩-	﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ... ﴾	٢٩	٤٩
٤٤٠-	﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا ﴾	٥٢	٧٤
سورة الزخرف			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٤٤١-	﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ ... ﴾	٥٤	٩٠
٤٤٢-	﴿ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ ... ﴾	٧١	٢٦٤
سورة الجاثية			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٤٤٣-	﴿ إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ ... ﴾	٣-٤	٤٨
٤٤٤-	﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ... ﴾	١٣	٢٠٧
٤٤٥-	﴿ قُلِ اللهُ يُحْيِيكُمْ ﴾	٢٦	٤٧

سورة نوح			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٥٢٣-	﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ... ﴾	٥-٧	٨٨
٥٢٤-	﴿ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ ... ﴾	١٢	٢١٠
٥٢٥-	﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ... ﴾	١٣-١٤	١٥١
٥٢٦-	﴿ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾	١٤	٢٨
٥٢٧-	﴿ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴾	١٧	٢٩
سورة المدثر			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٥٢٨-	﴿ كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ﴾	٥٣	٦٩
سورة القيامة			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٥٢٩-	﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ... ﴾	١-٢	٧٩، ٨١
٥٣٠-	﴿ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾	٢	٧٣
٥٣١-	﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ ... ﴾	٣-٤	١٨٣
٥٣٢-	﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ... ﴾	٢٢-٢٣	٢٦٧
٥٣٣-	﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ... ﴾	٣٦-٣٨	١٥٠
٥٣٤-	﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى ﴾	٣٧	١٢٥
سورة الإنسان			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٥٣٥-	﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ ... ﴾	١	٤٧، ١١٩
٥٣٦-	﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ ... ﴾	١-٢	١٤، ٤٦

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

١٦-	إن الحمد لله نحمده	أبو داود والترمذي	صححه الألباني	٧٦
١٧-	إن العبد إذا وضع في قبره	البخاري	صحيح	٢٢٩
١٨-	إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم	أحمد	قال الألباني حديث صحيح	١٣٣
١٩-	إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض	أبو داود	صححه الألباني	٢٤
٢٠-	إن الله سيخلِّص رجلاً من أمتي	الترمذي	قال الألباني حديث صحيح	٢٥٠
٢١-	أن النبي ﷺ حينما سئل عن الإحسان فقال: أن تعبد الله كأنه يراك	صحيح البخاري	صحيح	٦٣
٢٢-	إن أهون أهل النَّار عذاباً يوم القيامة	البخاري	صحيح	٢٧٧
٢٣-	أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك	البخاري	صحيح	٦٣، ٢٣٢
٢٤-	إن رسول الله ﷺ كان بين يديه ركوة	البخاري	صحيح	٢٢٤
٢٥-	إن طرف صاحب الصور	الحاكم	صححه الألباني	٢٣٦
٢٦-	إن غلظ جلد الكافر اثنتان وأربعون ذراعاً	الترمذي	قال الألباني حديث صحيح	٢٧٦
٢٧-	إن في الإنسان عظماً لا تأكله الأرض	مسلم	صحيح	٢٣٧
٢٨-	إن في الجنَّة لشجرة	البخاري والترمذي	صحيح	٢٦٨
٢٩-	إن لله تسعة وتسعين اسماً	البخاري والترمذي	قال الألباني حديث صحيح	٢٥٢
٣٠-	إن لي أسماء، أنا محمد، وأنا أحمد	البخاري	صحيح	١٠٧

٣١-	إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة	أبو داود	صححه الألباني	٢٣٦
٣٢-	أن نجعل له نداً وهو خلقك	مسلم	صحيح	٨٤
٣٣-	إنكم محشورون حفاةً عراةً غرلاً	البخاري	صحيح	٢٣٩
٣٤-	إنه ليؤتى بالرجل العظيم السمين	البخاري	صحيح	٢٤٩
٣٥-	أهل الجنة جُردٌ مردٌ كُحلٌ	الترمذي	قال الألباني حديث حسن	٢٦٦
٣٦-	أهون أهل النار عذاباً من له نعلان وشراكان من نار	مسلم	صحيح	٢٧٧
٣٧-	أول زمرة تلج الجنَّة	الترمذي	قال الألباني حديث صحيح	٢٦٩
٣٨-	آية المنافق ثلاث	البخاري ومسلم	صحيح	٩٥
٣٩-	بينما نحن جلوس عند رسول الله	مسلم	صحيح	٢٣٢
٤٠-	تدنو الشمس يوم القيامة	مسلم	صحيح	٢٤٣
٤١-	ثم يفرغ الله تعالى من القضاء بين العباد	البخاري	صحيح	٢٦٩
٤٢-	جئت أسألك عن الولد	مسلم	صحيح	١٤٤
٤٣-	ذاق طعم الإيمان	مسلم	صحيح	١٦٥
٤٤-	ضرس الكافر مثل أحد وفخذه مثل البيضاء وجبينه مثل الورقان	ابن حبان	صححه الألباني	٢٧٦، ٢٧٧
٤٥-	ضرس الكافر يوم القيامة مثل أحد	الترمذي	قال الألباني حديث حسن	٢٧٥
٤٦-	ضرس الكافر يوم القيامة مثل أحد وفخذه مثل البيضاء ..	الترمذي	قال الألباني حديث حسن	٢٧٦
٤٧-	الطهور شطر الإيمان	مسلم	صحيح	٢٤٨

٤٨-	فأين يكون الناس يا رسول الله؟ فقال: على الصراط	مسلم	صحيح	٢٤٠
٤٩-	فقال رسول الله ﷺ: ما غير لونك؟	ابن كثير	قال الحافظ المقدسي: لا بأس بإسناده	٢٠٨
٥٠-	كان إذا قام من الليل يشوص فاه	البخاري	صحيح	١٦٨
٥١-	كل ابن آدم يأكله التراب	مسلم	صحيح	٢٣٧
٥٢-	كلمتان حبيبتان إلى الرحمن	البخاري ومسلم	صحيح	٢٤٨
٥٣-	كنا مع رسول الله ﷺ إذ سمع وجبه	مسلم	صحيح	٢٧٣
٥٤-	كنت مع عمي فسمعت عبد الله بن أبي بن سلول يقول ...	البخاري	صحيح	١٠١
٥٥-	كيف أنعَّم وصاحب القرن قد التقم القرن	الترمذي	صححه الألباني	٢٣٦
٥٦-	لتؤدُّنَّ الحقوق إلى أهلها	الترمذي	قال الألباني حديث صحيح	٢٥٩
٥٧-	لما حضرت أبو بكر الوفاة	ابن حبان	صححه الألباني	٢٢٥
٥٨-	لما خلق الله آدم على ظهره	الحاكم	قال الألباني حديث صحيح	١٣٤
٥٩-	اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء	مسلم	صحيح	١٤، ١٩
٦٠-	لولا أن أشق على أمتي	البخاري	صحيح	١٦٨
٦١-	ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة	البخاري	صحيح	٩٦
٦٢-	ما بين النفختين أربعون	البخاري ومسلم	صحيح	٢٣٧
٦٣-	ما من مولود إلا يولد على الفطرة	البخاري ومسلم	صحيح	٤٤

ثالثاً: فهرس الأعلام المترجم لهم

رابعاً: المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١- إتقان البرهان في علوم القرآن، أ.د. فضل حسن عباس، الجامعة الأردنية، الطبعة الأولى ١٩٩٧م، دار الفرقان.

٢- إحياء علوم الدين، تصنيف الإمام: أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، وبذيله المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الأحياء من الأخبار، العلامة زين الدين أبي الفضل العراقي، اعتنى به وضبطه وراجعه ووضع فهارسه القاضي الشيخ محمد الدالي بلطة، الطبعة ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

٣- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، العلامة "أبو السعود" أحمد بن محي الدين محمد ابن مصطفى العمادي، بلا طبعة ، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت.

٤- أرقام في جسم الإنسان، محمد المُحب، الطبعة ١٩٩٠م، دار الفكر اللبناني، بيروت.

٥- الأساس في التفسير، الشيخ سعيد حوى، الطبعة السادسة، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة.

٦- الأساس في السنة وفقهها، الشيخ سعيد حوى، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة.

٧- أسباب النزول، تأليف: أبي الحسن أحمد الواحدي النيسابوري، طبعة جديدة ومنقحة ومشكولة الآيات ومرقمة، إشراف: مكتب البحوث والدراسات في دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٨- إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن قيم الجوزية، تحقيق وتعليق: عصام الدين الصبابطي، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ-٢٩٩٧م، دار الحديث طبع ونشر وتوزيع.

٩- أعلام مالقة، تأليف: أبي عبد الله بن عسكر، وأبي بكر بن خميس، تقديم وتعليق: د. عبد الله المرابط النزغي، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، دار الغرب الإسلامي، دار الأمان للنشر والتوزيع.

١٠- الأعلام، خير الدين الزركلي، الطبعة الثامنة، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.

١١- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، الإمام أبي عبد الله بن أبي بكر بن أيوب "ابن قيم الجوزية"، راجعه وعلق عليه: محمد الأنور، وأحمد البلتاجي، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، دار التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ميدان المشهد.

١٢- أفلا تتفكرون، عبد العزيز بن ناصر الجُلَيِّل، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض.

١٣- أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات، الإمام زين الدين مرعى بن يوسف الكرميّ المقدسي الحنبلي، حققه، وخرج أحاديثه، وعلق عليه شعيب الأرنؤوط، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ-١٩٨٥م، مؤسسة الرسالة، بيروت.
١٤- الإنسان هذا الكائن العجيب، أطوار خلقه وتصويره في الطب والقرآن، د. تاج الدين محمود الجاعوني، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م، دار عمان، عمان، الأردن.
١٥- أنوار التنزيل وأسرار التأويل المسمى "تفسير البيضاوي"، القاضي ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
١٦- أوجز التفاسير من تفسير ابن كثير، للإمام الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، اختصار الشيخ خالد عبد الرحمن العك، الدرس في إدارة الإفتاء العام، دمشق، ط١، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.
١٧- الآيات العجاب في رحلة الإنجاب، د. حامد أحمد حامد، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، دار القلم، دمشق.
١٨- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر جابر الجزائري، الواعظ بالمسجد النبوي الشريف، الطبعة ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، الناشرون: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
١٩- البحر الزّخار المعروف بمسند البزار، تأليف: الحافظ الإمام أبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق العتكي البزار، تحقيق: د. محفوظ الرحمن زين الله وآخرون، الطبعة ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، مكتبة العلوم والحكم، المملكة العربية السعودية، المدينة المنورة.
٢٠- البعث والدار الآخرة في هدي القرآن الكريم، أ.د. محمد عبد السلام أبو النبيل، أستاذ بجامعة الإمارات بالكويت سابقاً، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع.
٢١- بُغية عباد الرحمن لتحقيق تجويد القرآن، محمد بن شحادة الغول، الطبعة السادسة، دار ابن القيم.
٢٢- البيان لتفسير آي القرآن، شيخ الإسلام الإمام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن عبد السلام الحراني الدمشقي "ابن تيمية"، جمع ودراسة وتحقيق وتخريج: د. أبو سعيد عمر ابن غرامة العمرِّوي، مكتبة دار الصحاوي للنشر والتوزيع.
٢٣- بيولوجيا الإنسان، أ.د. حميد أحمد الحاج، قسم العلوم الحياتية- الجامعة الأردنية، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م-١١٣١هـ، دار المسيرة للنشر والتوزيع.
٢٤- تاج التفاسير، للإمام محمد عثمان عبد الله المرغني، الطبعة الثانية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٢٥- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، الطبعة الأولى بالمطبعة الخيرية، المنشأة بجمالية مصر المحمية، سنة ١٣٠٦هـ، من منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.
٢٦- التبيان شرح أركان الإيمان، د. سعد عبد الله عاشور، الأستاذ المشارك بكلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية بغزة، ط٢، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، مكتبة ومطبعة دار المنارة.
٢٧- التحرير والتنوير، تأليف الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، بلا طبعة، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس.
٢٨- التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، للإمام القرطبي، تحقيق: أحمد عبد الرازق البكري، محمد عادل محمد، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة.
٢٩- التشريح ووظائف الأعضاء، د. كريمان وديع عبد الرَّزَّاق، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م-١٤٣٠هـ، دار المستقبل للنشر والتوزيع، عمان.
٣٠- تفسير ابن أبي زمنين وهو "مختصر تفسير يحي بن سلام"، تأليف أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين المري، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، أحمد مزيد المزيدي، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، منشورات علي بيضون لنشر كتب السنة والجماعة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٣١- تفسير ابن وهب "الواضح في تفسير القرآن الكريم"، أبي محمد عبد الله بن محمد بن وهب الدِّينوري، تحقيق: أحمد مزيد، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠٣م، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٣٢- تفسير الإمام مجاهد، الإمام مجاهد بن جبر، تحقيق: أ.د. محمد عبد السلام أبو النيل، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع.
٣٣- تفسير البحر المحيط، لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، دراسة وتحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، شارك في تحقيقه: د. زكريا عبد المجيد النوتي، أستاذ اللغة العربية بجامعة الأزهر، د. أحمد النجولي الجمل، أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر، قرظه: أ.د. عبد الحي الفرماوي، أستاذ التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين، جامعة الأزهر، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، منشورات علي بيضون لنشر كتب السنة والجماعة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٣٤- تفسير البيضاوي المسمى "أنوار التنزيل وأسرار التأويل"، المحقق: القاضي ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٣٥- تفسير الجلالين، العلامة جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، الحبر جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، بلا طبعة، المكتبة الشعبية، بيروت.
٣٦- تفسير السُّدي، الإمام أبو محمد إسماعيل بن عبد الرحمن السُّدي الكبير، جمع وتوقيق ودراسة: د. محمد عطا يوسف، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة.
٣٧- تفسير السمرقندي المسمى "بحر العلوم"، لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، تحقيق وتعليق: الشيخ علي محمد معوض، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، د. زكريا عبد المجيد النوتي، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٣٨- تفسير الشعراوي، الشيخ محمد متولي الشعراوي، راجع أصله وخرج أحاديثه، أ.د. أحمد عمر هاشم نائب رئيس جامعة الأزهر، بلا طبعة، أخبار اليوم، قطاع الثقافة.
٣٩- تفسير القاسمي "محاسن التأويل"، العلامة محمد جمال الدين القاسمي، وقف على طبعه وتصحيحه، ورقمه وخرج آياته وأحاديثه، وعلق عليه خادم الكتاب والسنة: محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الثانية، دار الفكر، بيروت.
٤٠- تفسير القرآن العظيم، للإمام الحافظ أبي الفداء، إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، قدم له: د. يوسف عبد الرحمن المرعشلي، أستاذ التفسير بالمعهد العالي للدراسات الإسلامية، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
٤١- تفسير القرآن الكريم المسمى "السراج المنير"، للإمام الخطيب الشربيني، الطبعة الثانية، دار المعرفة للطباعة والنشر.
٤٢- تفسير القرآن الكريم، الإمام الشيخ الخطيب الشربيني، الطبعة الثانية، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
٤٣- تفسير القرآن الكريم، د. عبد الله شحاته، بلا طبعة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.
٤٤- تفسير القرآن الكريم، ري العليل من محاسن التأويل مختصر تفسير القاسمي، الشيخ صلاح الدين أرقد دان، بلا طبعة، دار النفائس.
٤٥- تفسير القرآن بكلام الرحمن، تفسير مختصر جامع من تفسير القرآن بالقرآن، تأليف أبي الوفاء ثناء الله الهندي الأمر تَسريِّ، خرج أحاديثه الشيخ عبد القادر الأرنؤوط، تقدم ومراجعة الشيخ صفيّ الرحمن المباركفوري، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، دار السلام للنشر والتوزيع بالرياض.
٤٦- التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، بلا طبعة، دار الفكر العربي.

٤٧- التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، الإمام محمد الرازي فخر الدين بن ضياء الدين بن عمر، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ-١٩٨١م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٤٨- تفسير المراغي، تأليف أحمد مصطفى المراغي، أستاذ الشريعة الإسلامية واللغة العربية بكلية دار العلوم سابقاً، الطبعة الثالثة، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.

٤٩- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، أ.د. وهبة الزحيلي، رئيس قسم الفقه الإسلامي ومذاهبه في جامعة دمشق، الطبعة ١٤١٨هـ-١٩٩٨م، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سورية.

٥٠- التفسير المنير لمعالم التنزيل "قراح لبيد"، لكشف معنى قرآن مجيد، محمد نووي الجاوي، الطبعة ١٤٢٧هـ-١٤٢٨هـ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

٥١- التفسير الميسر، د. عائض القرني، الطبعة الرابعة، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م، مكتبة العبيكان، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض.

٥٢- تفسير النسفي "مدارك التنزيل وحقائق التأويل"، الإمام عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، قدم له: الشيخ قاسم الشماعي الرفاعي، راجعه وضبطه وأشرف عليه: الشيخ إبراهيم رمضان، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ-١٩٨٩م، دار القلم، بيروت.

٥٣- التفسير الواضح، د. محمد محمود حجازي، جامعة الأزهر، كلية أصول الدين، الطبعة السابعة، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، الناشر: دار التفسير للطبع والنشر، القاهرة.

٥٤- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، د. محمد سيد الطنطاوي، عميد كلية الدراسات الإسلامية والعربية، جامعة الأزهر، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، مطبعة السعادة، ميدان أحمد ساهر، شارع الحبراوي.

٥٥- تفسير مقاتل بن سليمان، الإمام أبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي، تحقيق: أحمد مزيد، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ-٢٠٠٢م، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٥٦- تفسير من نسمات القرآن كلمات وبيان، غسان حمدون، راجعه وقدم له: د. جميل غازي، د. عبد الله علوان، د. سليمان الغاوجي، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م، دار السلام للطباعة والنشر والترجمة.

٥٧- تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: أ. عبد السلام هارون، مراجعة: أ. محمد علي النجار، الطبعة ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مطابع سجل العرب.

٥٨- التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، طبعة ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان.

٥٩- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبد الرحمن ناصر السعدي، طبع على نفقة محمد بن صالح بن عبد العزيز الراجحي، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٦٠- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق وإشراف وتقديم: أ. محمود محمد شاكر، الأستاذ بكلية دار العلوم، جامعة القاهرة وعضو مجمع اللغة العربية، وأحمد محمد شاكر، الطبعة الثانية، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة.

٦١- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، راجعه وضبطه وعلق عليه: د. محمد إبراهيم الحفناوي، أستاذ أصول الفقه بكلية الشريعة والقانون بالقاهرة، وخرج أحاديثه: د. محمود حامد عثمان، مدرس أصول الفقه بكلية الشريعة والقانون بطنطا، طبعة ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، دار الحديث، القاهرة.

٦٢- جسم الإنسان دراسات خاصة في التشريح ووظائف الأعضاء، أحمد محمد محمد درباس، الإشراف والتدقيق العلمي أ. محمد الجعاعرة، بكالوريوس علم الأحياء- جامعة اليرموك، دبلوم مختبرات طبية- الكلية العربية، الإشراف والتدقيق اللغوي أ. علي محمد أبو ليلة، بكالوريوس لغة عربية- جامعة الأبرار، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م-١٤٢٨هـ، دار البداية ناشرون وموزعون، عمان شارع الملك حسين.

٦٣- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، الإمام العلامة الشيخ سيدي عبد الرحمن الثعالبي، حققه وخرج أحاديثه ووثق أصوله: أبو محمد الغماري الإدريسي الحسني، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، دار الكتب العلمية.

٦٤- الجواهر في تفسير القرآن الكريم، تأليف الشيخ طنطاوي جوهري، المدرس بالجامعة المصرية ومدرس دار العلوم سابقاً، الطبعة الثانية، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م، الناشر: المكتبة الإسلامية لصاحبها الحاج رياض الشيخ.

٦٥- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر(ابن القيم الجوزية)، حققه وخرج أحاديثه، خالد بن محمد بن عثمان، راجعه وقدم له وعلق عليه، طه عبد الرؤوف سعد، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م، مكتبة الصفا، دار البيان الحديثة.

٦٦- حاشية الشهاب المسماة "عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي"، القاضي عبد الله بن عمر بن محمد بن علي أبو الخير القاضي، بلا طبعة، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان.

٦٧- حاشية القونوي، عصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفي، على تفسير الإمام البيضاوي، ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازين ومعه حاشية ابن التمجيد، مصلح الدين

مصطفى بن إبراهيم الرومي الحنفي، ضبطه وصححه وخرج آياته: عبد الله محمود محمد عمر، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، منشورات محمد علي بيضون لنشر كتب السنة والجماعة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٦٨- الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، إملاء: الإمام الحافظ أبي القاسم إسماعيل ابن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني، تحقيق ودراسة: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ-١٩٩٠م، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض.

٦٩- الحياة وعجائبها، عجائب الجسم البشري، إميل خليل بيدس، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، منشورات دار الآفاق الحديثة، بيروت.

٧٠- خلق الإنسان بين الطب والقرآن، د. محمد علي البار، الطبعة الخامسة، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، الدار السعودية للنشر والتوزيع.

٧١- الدّر المنثور في التفسير بالمأثور، الإمام جلال الدين السيوطي، بلا طبعة، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

٧٢- دراسات في توحيد الأسماء والصفات الإلهية، د. سعد عبد الله عاشور، الأستاذ المشارك بكلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية بغزة، ط٣، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، د. جابر زايد السميري، أستاذ العقيدة بكلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية بغزة.

٧٣- الدلالة العقلية في القرآن الكريم ومكانتها في تقرير مسائل العقيدة الإسلامية، د. عبد الكريم نوفان عبيدات، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن.

٧٤- دورة حياة الإنسان بين العلم والقرآن، د. كريم حسنين، أستاذ مساعد التوليد وأمراض النساء، كلية الطب- جامعة عين شمس، الطبعة الثالثة أكتوبر ٢٠٠٤م، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

٧٥- الرحيق الأهنى تجليات أسماء الله الحُسنى، تأليف: الشيخ سليمان سامي محمود، تحقيق ومراجعة: عمر حافظ سعيدة، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.

٧٦- روح البيان في تفسير القرآن، الشيخ إسماعيل حقي بن مصطفى الحنفي الخلوتي البروسوي، ضبطه وصححه وخرج أحاديثه: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، منشورات محمد علي بيضون لنشر كتب السنة والجماعة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٧٧- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للعلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، الطبعة ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٧٨- زاد المسير في علم التفسير، الإمام أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، حققه وكتب هوامشه: محمد بن عبد الرحمن عبد الله، دكتوراه في علوم القرآن، أستاذ بكلية الدراسات الإسلامية بالأزهر، وخرج أحاديثه: أبو هاجر، السعيد بن بسيوني زغلول، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ-كانون الثاني ١٩٨٧م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٧٩- زُبدة التفاسير، الشيخ محمد متولي الشعراوي، أعده وعلق عليه وقدم له: عبد الرحيم محمد متولي الشعراوي، بلا طبعة، المكتبة التوفيقية.

٨٠- زهرة التفاسير، الإمام محمد أبو زهرة، الطبعة ١٨٩٨هـ-١٩٧٤م، ١٣١٦-١٣٩٤هـ، دار الفكر العربي.

٨١- سلسلة الأحاديث الصحيحة، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، طبعة ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض.

٨٢- سنن ابن ماجة، الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، صححه ورقمه وأخرج أحاديثه وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقي، بلا طبعة، دار إحياء الكتب العربية.

٨٣- سنن الترمذي، الإمام الحافظ محمد بن عيسى بن سَوْرَةَ الترمذي، حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه العلامة المحدث: محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الطبعة الثانية، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض.

٨٤- سننن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، حكم على أحاديثه وعلق عليه: العلامة ناصر الدين الألباني، اعتنى به: أبو عبيدة مهشور بن حسن السلمان، الطبعة الثانية، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٧م، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، لصاحبها سعد الدين عبد الرحمن الراشد، الرياض.

٨٥- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، المؤرخ: أبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي، بلا طبعة، مكتبة القدس للطبع والنشر.

٨٦- شرح أسماء الله الحسنى للرازي، المسمى (لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات)، للإمام الأعظم فخر الدين محمد بن عمر الخطيب، راجعه وقد له وعلق عليه طه عبد الرؤوف سعد، الطبعة ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م، الناشر مكتبة الكليات الأزهرية، الصنادقية، الأزهر، القاهرة.

٨٧- شرح العقيدة الطحاوية، تأليف: الإمام القاضي، علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه وقد له د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، شعيب الأرنؤوط، الطبعة التاسعة، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٨٨- شرح جوهرة التوحيد في عقيدة أهل السنة والجماعة، تأليف: عبد الكريم تتان، إجازة في اللغة العربية في جامعة دمشق، محمد أديب الكيلاني، دبلوم في التربية الإسلامية، راجعه وقدم له الشيخ عبد الكريم الرفاعي، الشيخ وهبي سليمان غاوجي الألباني، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م، دار الناشر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق.

٨٩- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تأليف إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطا، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ-١٩٥٦م، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، بيروت، دار العلم للملايين، بيروت.

٩٠- صحيح البخاري للإمام شيخ الحفاظ محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه، حقق أصوله ووثق نصوصه وكتب مقدماته وضبطه ورقمه ووضع فهارسه طه عبد الرؤوف سعد، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م، الناشر: مكتب الإيمان بالمنصورة.

٩١- صحيح الجامع الصغير، الطبعة المجددة والمزيدة والمنقحة، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، أشرف على طبعه زهير الشاويش، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، المكتب الإسلامي.

٩٢- الصحيح المسند من أسباب النزول، تأليف العلامة أبي عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م، دار ابن حزم، مكتبة دار القدس.

٩٣- صحيح حادي الأرواح، روح وريحان من نعيم الجنان، (لابن القيم الجوزية) شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر، تخريج واختصار: عبد الحميد أحمد الدخاخني، الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م، دار المرابطين للنشر والتوزيع.

٩٤- صحيح مسلم بشرح النووي، الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، دار الريان للتراث، القاهرة.

٩٥- صحيح مسلم للإمام الحافظ أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، رقم كتبه وأبوابه وفقاً للمعجم المفهرس وتحفة الأشراف ووضع فهارسه محمد بن نزار تميم، هيثم بن نزار تميم، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

٩٦- صحيح موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م، دار الصُّميعي، الرياض.

٩٧- صفوة البيان لمعاني القرآن، الشيخ حسنين محمد مخلوف، مفتي الديار المصرية السابق، وعضو جماعة كبار العلماء، الطبعة الأولى، ١٣٧٧هـ-١٩٥٧م، دار الإمارات العربية المتحدة، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية.

٩٨- صفوة التفاسير، الشيخ محمد علي الصابوني، الأستاذ بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة، جامعة الملك عبد العزيز، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ-١٩٨١م، دار القرآن الكريم، بيروت.
٩٩- الطب محراب الإيمان، د. خالص جلبي، الطبعة ١٤٠١هـ-١٩٨١م، مؤسسة الرسالة، بيروت، شارع سوريا. رسالة أعدت لنيل لقب دكتور في الطب تحت إشراف الدكتور والأستاذ محمد فايز المط.
١٠٠- الطبقات الكبرى، (لابن سعد) محمد بن سعد بن مُنيع الهاشمي، تحقيق: محمد عبد القادر عطى، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٠١- طبقات المفسرين، للحافظ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداودي، تحقيق: علي محمد عمر، بمركز تحقيق التراث بدار الكتاب، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م، الناشر مكتبة وهبة، القاهرة.
١٠٢- ظاهرة النفاق وخبائث المنافقين في التاريخ، عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م، دار القلم، دمشق.
١٠٣- ظاهرة النفاق وخبائث المنافقين في التاريخ، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م، دار القلم، دمشق.
١٠٤- العقائد الإسلامية، الشيخ سيد سابق، الأستاذ في جامعة الأزهر، بلا طبعة، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
١٠٥- العقيدة الإسلامية عند الفقهاء الأربعة (أبو حنيفة- مالك- الشافعي- أحمد)، أ.د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي، الأستاذ بكلية دار العلوم جامعة الأزهر، الطبعة الثانية، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة.
١٠٦- العقيدة الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني، الطبعة السادسة، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، دار القلم، دمشق.
١٠٧- علم النسيج، الجزء النظري، د. موفق شريف جنيد، أستاذ مساعد، كلية الطب البيطري- جامعة عمر المختار، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م، منشورات جامعة عمر المختار البيضاء.
١٠٨- علم وظائف الأعضاء، أ.د. شتيوي العبد الله، قسم العلوم الحياتية- الجامعة الأردنية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م-١٤٣٣هـ، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.
١٠٩- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، راجعه: قصي محب الدين الخطيب، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وتصحيح تجاربه وتحقيقه: محب الدين الخطيب، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، دار الريان للتراث.

١١٠- فتح البيان في مقاصد القرآن، العلامة أبي الطيب، صديق بن حسن بن علي الحسين القنوجي البخاري، عني بطبعه وقدم له وراجعه: خادم العلم عبد الله إبراهيم الأنصاري، طبعة ١٤١٠هـ-١٩٨٩م، طبع على نفقة إدارة إحياء التراث الإسلامي بدولة قطر.
١١١- فتح الرحمن في تفسير القرآن، عبد المنعم أحمد تغيلب، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع.
١١٢- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تأليف محمد بن علي بن محمد الشوكاني، حققه وخرج أحاديثه: د. عبد الرحمن عميرة، وضع فهارسه وشارك في تخريج أحاديثه لجنة التحقيق والبحث العلمي بدار الوفاء، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ج.م.ع، المنصورة.
١١٣- الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية، سليمان بن عمر العجيلي الشافعي الشهير بالجمل، بلا طبعة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
١١٤- في ظلال القرآن، المعلم سيد قطب، الطبعة الشرعية التاسعة، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م، دار الشروق.
١١٥- القاموس المحيط، تصنيف: العلامة مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، ضبط وتوثيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، أستاذ في اللغة وآدابها، إشراف: مكتب البحوث والدراسات، الطبعة ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
١١٦- قطر المحيط، المعلم بطرس البستاني، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م، مكتبة لبنان، ناشرون.
١١٧- كتاب الإيمان، العلامة شيخ الإسلام ابن تيمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، الرملة البيضاء، بناية الكارت سنتر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
١١٨- كتاب التعريفات، الشريف علي بن محمد الجرجاني، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
١١٩- كتاب التوحيد، عبد المجيد عزيز الزنداني، الطبعة الرابعة، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.
١٢٠- كتاب الروح، الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية، تحقيق وتعليق الدكتور محمد أنيس عيادة، الأستاذ بجامعة الأزهر، د. محمد فهمي السرجاني، مدرس بكلية الشريعة والقانون جامعة الأزهر، بلا طبعة، الناشر مكتبة نصير بجوار الأزهر الشريف.
١٢١- كتاب الزهد والرقائق، الإمام عبد الله بن المبارك الحنظلي المروزي، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، بلا طبعة، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٢٢- كتاب العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان.

١٢٣- كتاب الفروق، أنوار البُروق في أنواءِ الفروق، العلامة شهاب الدين أبي العباس أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن الصِّنهاجي (القرَّافي)، دراسة وتحقيق: مركز الدراسات الفقهية والاقتصادية، أ.د. محمد أحمد سراج، أ.د. علي جمعة محمد، الطبعة الثانية، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة.

١٢٤- كتاب خلق الإنسان، مع تحقيق كتاب غاية الإحسان في خلق الإنسان، للإمام السيوطي، دراسة وتحقيق: نهاد حسوبي صالح، دار صدام للمخطوطات.

١٢٥- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، الإمام الشيخ إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي الجرّاحي العجلوني الشافعي، طبعه وصححه ووضع حواشيه الشيخ محمد عبد العزيز الخالدي، طبعة ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، منشورات محمد علي بيضون لنشر كتب السنة والجماعة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١٢٦- الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، قابله على نسخة خطية وأعده للطبع ووضع فهارسه: د. عدنان درويش، ومحمد المصري، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

١٢٧- لباب النقول في أسباب النزول، جلال الدين السيوطي، تخريج وتحقيق: محمد علي سمك، الطبعة ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، المكتبة القيمة للطباعة والنشر والتوزيع.

١٢٨- لسان العرب، العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم "ابن منظور الإفريقي المصري"، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

١٢٩- لقاء وجاهي مع الأستاذ الدكتور / ماجد محمد ياسين، أستاذ علم وظائف الأعضاء بكلية الطب بالجامعة الإسلامية.

١٣٠- لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، الإمام موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدس، شرح محمد بن صالح العثيمين، حققه وخرج أحاديثه: أشرف بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الطبعة الثالثة، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، مكتبة دار طبرية، مكتبة أضواء السلف.

١٣١- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدُّرة المضيّة في عقد الفرقة المرضية، الشيخ محمد أحمد السفاريني الأثري الحنبلي، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م، مؤسسة الخافقين، دمشق.

١٣٢- اللؤلؤ والمرجان في تفسير القرآن، كريمان حمزة، الطبعة ١٤٣٢هـ-٢٠١١م، مكتبة الشروق الدولية.
١٣٣- ماذا بعد الموت، شاكر عبد الجبار، دار ومكتبة الهلال.
١٣٤- مباحث في التفسير الموضوعي نظرية وتطبيقاً، إعداد: د. عبد السلام حمدان اللوح الأستاذ المشارك بقسم التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية بغزة ، ود. زكريا إبراهيم الزميلي الأستاذ المساعد بكلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية بغزة، الطبعة الثانية، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
١٣٥- مجمع البيان في تفسير القرآن، تأليف الشيخ أبو علي الفصل بن الحسن الطبرسي، بلا طبعة، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.
١٣٦- مجمل اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس زكريا اللغوي، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، مؤسسة الرسالة.
١٣٧- مجموعة الفتاوى، لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية الحرَّانيّ، اعتنى بها وخرج أحاديثها، عامر الجزار، أنور البار، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ج.م.ع، المنصورة.
١٣٨- محاضرات في علم نفس النمو والصحة النفسية، أ. أسامة عطية المزيني، د. حسن محمود الغلبان.
١٣٩- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، القاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الطبعة ١٤١٣هـ-١٩٩٣م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
١٤٠- المحلى بالآثار، تصنيف الإمام الجليل أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٢م، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
١٤١- المحيط في اللغة، تأليف كافي الكفاة، الصاحب إسماعيل بن عباد، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، عالم الكتاب، بيروت.
١٤٢- مختار الصحاح، للإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، ضبطه وصححه: أحمد شمس الدين، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
١٤٣- مختصر تفسير الخازن المسمى "لباب التأويل في معاني التنزيل"، للإمام علاء الدين بن محمد البغدادي المعروف "بالخازن"، اختصره وهذبه الشيخ عبد الغني الدقر، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، بيروت.

١٤٤- المستدرك على الصحيحين، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، المشرف العام د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، شارك في التحقيق شعيب الأرنؤوط، محمد نعيم العرقسوس، عادل مرشد، إبراهيم الزيبق، محمد رضوان العرقسوس، كامل الخراط، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

١٤٥- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أشرف على تحقيقه الشيخ شعيب الأرنؤوط، تحقيق وتخريج أحاديثه وعلق عليه شعيب الأرنؤوط، عادل مُرشِد، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، مؤسسة الرسالة.

١٤٦- مشكاة المصابيح، تأليف: محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، المكتب الإسلامي، بيروت.

١٤٧- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، العلامة أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، بلا طبعة، دار القلم، بيروت، لبنان.

١٤٨- مصحف الصحابة في شرح كلمات القرآن الكريم، تأليف عبد الله علوان، راجعه: الأستاذ محمد محمد العبد، أ. محمد سنبل، د. صبحي رشاد، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م، دار الصحابة للتراث بطنطا.

١٤٩- مع الطب في القرآن الكريم، تقديم: د. محمد ناظم نسيمي، تأليف: د. عبد الحميد دياب، د. أحمد قرقوز، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م، مؤسسة علوم القرآن- دمشق. رسالة أعدت لنيل إجازة دكتور في الطب M.D.

١٥٠- معارج التفكر ودقائق التدبر، الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، دار القلم، دمشق.

١٥١- معالم التنزيل في التفسير والتأويل "تفسير البغوي"، للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي، الطبعة ١٤١٤هـ-١٩٩٣م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١٥٢- معاني القرآن، لأبي جعفر النحاس، أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، تحقيق: د. يحيى مراد، بلا طبعة، دار الحديث، القاهرة.

١٥٣- معجم البيولوجيا المصور، انكليزي- عربي، تأليف: كورين ستوكلي، ترجمة: د. محمد أحمد شومان، مراجعة وإشراف د. محمد دبس، أكاديميا انترناشيونال، ش.م.م ص-ب ٦٦٦٩-١١٣، بيروت، لبنان.

١٥٤- معجم اللغة العربية المعاصر، أحمد مختار وآخرون، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م، عالم الكتب.

١٥٥- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم بحاشية المصحف الشريف، حققه: محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، دار الحديث، القاهرة.
١٥٦- معجم المقاييس في اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، حققه: شهاب الدين أبو عمرو، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ-١٩٨٤م، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ-١٩٩٨م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
١٥٧- المعجم الوجيز، إعداد مجمع اللغة العربية، ط١، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.
١٥٨- المعجم الوسيط، قام بإخراج الطبعة د. إبراهيم أنيس، وعطية الصوالحي، ود. عبد الحليم منتصر، ومحمد خلف الله أحمد، أشرف على الطبع: حسن علي عطية، محمد شوقي أمين، الطبعة الثانية.
١٥٩- معجم تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم، مجمع البيان الحديث، سميح عاطف الزين، ط٤، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، الدار الأفريقية العربية.
١٦٠- معجم تفسير مفردات ألفاظ القرآن، سميح عاطف الزين، ط٤، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، الدار الأفريقية العربية.
١٦١- معجم غريب القرآن الكريم مستخرجاً من صحيح البخاري، محمود فؤاد عبد الباقي، تشرفت بطباعته مكتبة قرطبة، الإمارات، الشارقة، توزيع مكتبة دار الرياض.
١٦٢- مفردات ألفاظ القرآن، العلامة "الراغب الأصفهاني" الحسين بن محمد بن المفضل، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، الطبعة ١٢٢٣هـ-٢٠٠٢م، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت.
١٦٣- المقتطف من عيون التفاسير، الشيخ مصطفى الحصن المنصوري، حققه وخرج أحاديثه: خادم الكتاب والسنة محمد علي الصابوني، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، دار القلم، دمشق.
١٦٤- المنجد في اللغة والأعلام، الطبعة الثالثة والعشرون، ١٩٨٦م، دار المشرق، بيروت، التوزيع: المكتبة الشرقية.
١٦٥- منهج الإسلام في تزكية النفس، د. أنس أحمد كرزون، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، دار نور المكتبات، جدة، المملكة العربية السعودية، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
١٦٦- موسوعة الحواس، د. خليل كنش البدوي، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م، دار عالم الثقافة للنشر والتوزيع، عمان.
١٦٧- موسوعة جسم الإنسان، د. زينب منصور حبيب، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م، دار الإسرار للنشر والتوزيع.

١٦٨- موسوعة هارون الرشيد، د. سعدي ضناوي، طبعة ٢٠٠١م، دار صادر، بيروت.
١٦٩- موطأ الإمام مالك، أبي عبد الله مالك بن أنس الأصبحي، رواية: محمد بن الحسن الشيباني، تعليق وتحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، أستاذ علم الحديث ورئيس قسم السنة بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر، الطبعة الثانية.
١٧٠- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، الإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم عمر البقاعي، خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
١٧١- النكت والعيون "تفسير الماوردي"، تصنيف: أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، راجعه وعلق عليه: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
١٧٢- النهاية في غريب الحديث والأثر، للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، أشرف عليه وقدم له، علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي الأثري، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ، دار ابن الجوزي.
١٧٣- نواقض الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف، إعداد د. محمد بن عبد الله بن علي الوهيبي، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، دار المسلم للنشر والتوزيع، الرياض.
١٧٤- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الجواد، الشيخ علي محمد معوض، د. أحمد محمد صبرة، د. أحمد عبد الغني الجمل، د. عبد الرحمن يوسف، قدم له وقرظه: د. عبد الحي الفرماوي، كلية أصول الدين، جامعة الأزهر، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
١٧٥- وفي أنفسكم أفلا تبصرون، د. محمد سعد الشويعر، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، دار العرب الإسلامي.
١٧٦- وفي أنفسكم أفلا تبصرون، دليل الأنفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث، محمد عز الدين توفيق، الطبعة الثانية، ١٩٩٨م-١٤١٨هـ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة.
١٧٧- وفيات الأعيان وأنباء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، حققه: د. إحسان عباس، بلا طبعة، دار صادر، بيروت.
١٧٨- اليوم الآخر من الموت إلى الخلود في الجنَّة أو النَّار، د. أحمد جابر محمود العمصي، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

خامساً: فهرس الموضوعات

ملخص الرسالة

القدرة الإلهية في آيات النفس البشرية

بينت هذه الرسالة مفهوم القدرة الإلهية خصائص هذه القدرة، ومن ثمّ مفهوم النّفس البشرية وخصائصها، ثم ذكر الباحث الصفات الإيجابية والسلبية لهذه النفس، وأنواعها في القرآن الكريم والحكمة من تعددها.

وبعد ذلك بين الباحث القدرة الإلهية في خلق النفس البشرية من العدم، وفي خلق الأنثى من الذكر، وخلقها من ذكر وأنثى، وخلق الذكر من الأنثى دون زوج.

ثم انتقل الباحث إلى ذكر آثار وآيات القدرة الإلهية في خلق مكونات وأطوار ومراحل هذه النّفس ابتداءً من الطين مروراً بعالم الذَّر وعالم الأرحام وما بعد الأرحام، مبيناً حقيقة هذه النّفس من الجانب العلمي متطرقاً إلى الآيات التي أودعها الله في هذه النفس التي تدلل على قدرة الله وعظمته مع ذكر آثار هذه القدرة، ثم عرج الباحث على ذكر تكريم وتفضيل النفس البشرية على غيرها من المخلوقات مع ذكر مظاهر هذا التفضيل، ونعم الله عليها والتي منها النعمة الكبرى "العقل" ونعمة الإيجاد والإمداد والهدى والرشاد، وإرسال الرسل، والبعث والحساب على كلٍّ من نفس المؤمن والكافر والمنافق مروراً بنصب الميزان والعدل بين البشر، والحياة الأبدية في الجنة والنار.

وختم الباحث بحثه بخاتمة شملت أهم النتائج والتوصيات.

ABSTRACT

The divine power in the verses about the human being.

This study clarifys the concept of the divine power, the characteristics of it, the concept of human essence and its features. The researcher mentions the positive and negative sides of human nature, the types mentioned in the Holy Quran and the wisdom of being numerous.

The researcher shows how obvious the divine power is in creating human spirit out of nonentity, creating the female out from the male, varying it into male and female, and creating a male from a female without a husband.

The researcher then talks about the effects and verses which show the divine power in creating the components, phases and stages of the human right from mud throughout the world of powdering, that of womb and after wombs. The researcher shows the nature of the human soul scientifically referring to Allah's miracles in creating it proving Allah's mighty and greatness mentioning the effects of this power.

Following, the researcher refers to how human being is honored and prefered over the whole creation pointing out to the phases of this preferences. He also talks about the blessings of Allah given to human being one of which is "reason" as the greatest favors along with faith, creation, supporting, right guidance, sending messengers, the resurrection, accounting each of believers, unbelievers and hypocrites, setting up the scales of justice and the eternal life in either heaven or hell.

The researcher completed his study with a conclusion including the most important out comes and recommendations.